



جامعة أم القري
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الخليفة الأموي
الملك المنصور
٣٥٠ - ٣٦٦ هـ

بحث مقدم

للمنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف
الأستاذ الدكتور أحمد الشريف
٢٦٧٤ / ٦٨٤



بحث الطالب

وفاء عبد الله بن سليمان المزروع

١٤٠٣ / ١٤٠٢ هـ
١٩٨٣ / ١٩٨٢ م

١١٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

{ شكر وتقدير }

فمن الشكر الواجب أن أسجل اعترافى بالجهد الصادق الذى بذله استاذى الفاضل الدكتور / احمد السيد دراج فى الاشراف على هذه الرسالة ، والتوجيه الدقيق المفيد لى فى فصولها ، وما عدل من ميلها حتى استوت على سوقها .

ولئن أستطيع فى هذه الكلمات القليلة ان أوفيه حقه ولكن ابتهل الى الله أن يجزيه أكرم الجزاء ، وأن يوفقنى بتأيينه وأن يشغلنى برعايته وأن يلهمنى الصواب فى طريق البحث والمعرفة حتى أكون قد وفيت بواجب العلم .

المقدمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

الحمد لله حمدا كثيرا يوافي نعمه علينا ويستوجب شكرنا لله
والصلاة والسلام على معلم البشرية محمد .

أما بعد ..

ان الدارسين للتاريخ الأندلسي يجدونه حافلا بالجوانب
المضيئة والخصائص الغريفة والمزايا العديدة . ومن بين تلك الجوانب
والخصائص والمزايا توفيق الاندلسيين بين المحافظة على كل ما هو
أصيل والنزوع الى التجديد والاجتهاد والسعي الحثيث الى الابتكار
والاختراع في كل شأن من شئون الحياة . يتجلى ذلك في تراثهم
الفكري الذي خلفوه وحضارتهم التي لاتزال تتألق بريقا ولمعاناً
على تطاول الأعصر وتراسي الأعوام .

واذا كان هناك عصر في التاريخ الأندلسي يستلزم ان يدرس
ويكتب عنه أكثر من غيره فهو عصر الدولة الأموية في الأندلس لأن هذه
الدولة كثيراً ما صورت على غير حقيقتها أو كتب تاريخها على غير
ما يرضى الحقيقة والعدل . فطالما حمل عليها وأسى* تقدير رجالها
وذلك لأنها قامت نتيجة صراع مع عناصر متعددة متباينة ، ومن ثم
كان لها منذ نشأتها أعداء* كثيرون ، وسازاد الطين بلة أن بعض
الدارسين لتاريخ هذه الدولة بنوا أحكامهم على معلومات سطحية
أو خاطئة وهذا لا يعني انعدام وجود الدراسات المنهجية
الدقيقة عن تاريخ الأندلس ، فقد كتب عن الأندلس ورجالها الكثير .

غير أن جهود الباحثين في التاريخ الأندلسي قد تركزت على دراسة فترات معينة دون غيرها ربما لتوفر المصادر والمراجع لتلك الحقبة من الزمن أو لأسباب موضوعية أخرى يطول شرحها .

ولقد بلغت الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر قمة القوة السياسية في العالم المعروف يومها ، وتقرب إلى الخلافة أقوى الحكام الأوروبيين المعاصرين كإمبراطور أوتو الأول إمبراطور ألمانيا ، والإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع ، فقاموا أرسلوا السفارات إلى قرطبة تخطب ود الخلافة وتسعى إلى صداقتها . فضلا عن هذه العظمة السياسية التي شهدتها الأندلس في عهد هذين العاهلين ، فقد واكب ذلك ازدهارا حضاريا في مختلف جوانب الحضارة .

وبعد عصر الحكم المستنصر بالذات في طليعة عصور الخصب والنماء في تاريخ الأندلس في ميادين العلم ومجالات التفكير ، وفي دنيا الآداب والعلوم المختلفة . فقد نبغ فيه العلماء الأعلام في مختلف مجالات النشاط الفكري والفني من لا يحصون كثرة ولا يدركون عمقا حتى كان للفكر الإسلامي في الأندلس صرح ثابت الدعائم قوى الأركان ينشر نوره شرقا وغربا . كما أن الحكم المستنصر نفسه كان عالما شارك بمواهبه وجهوده العلمية فيما تحقق في الأندلس في عهد من نهضة علمية كبرى . ومن ثم كانت حياة الحكم المستنصر وكذلك تاريخ الأندلس في عهد في حاجة إلى دراسة علمية جادة

تتسم بالشمول والعمق وتوضح جوانب شخصيته وجهوده فيما تحقّق
للأندلس في عهد من عظمة وسياسة ونهضة علمية .

فالحكم المستنصر الذي ندرسه في هذه الرسالة يمثل أحـد
خلفاء الاسلام العظام الذي يرقى الى الصف الأول من بناء المجد
بفضل الله عز وجل ثم بفضل الخدمات الجليلة التي قدّمها لأمتـه
بما وهبه الله من علم وحرية وفكر واتساع افق .

ولقد وقع اختياري على دراسة عهد الحكم المستنصر لما لهذه
الفترة من أهمية بالغة في أحداث الأندلس الداخلية والخارجية ،
وأيضاً لارتباطي وحبّي العميق لغردوسنا المفقود ، فكل مسلم يشعر
بهذه العاطفة الجياشه لهذا المصقّ النائي اعاده الله للاسـلام
والسلمين .

هذا وتضم الرسالة أربعة فصول يحتوي كل فصل على عدّة
مباحث رئيسية ولو رفعت عناوين الفصول والمباحث لاتصل البحث
من أوله الى آخره بشكل مترابط ووثيق . كما قدّمت لهذه الفصول
الأربعة بمقدّمة أوضحت فيها أهمية عهد الحكم المستنصر في تاريخ
الأندلس والدوافع التي دفعتني الى دراسته ثم تلا ذلك عرض
موجز لما تضمنه كل فصل من الفصول من مباحث .

فأما الفصل الأول فقد كان عنوانه : " الخليفة عبد الرحمن الناصر
يحيى " ابنه الحكم للخلافة " ، وفيه تناولت بالبحث نقطتين رئيسيتين :

الأولى : اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة من بعده ، والثانية : تولية الحكم المستنصر الخلافة .

وقد ركزت في النقطة الأولى على حياة الحكم منذ ان كان وليا للعهد وعلى حرص ابيه الناصر على تنشئته نشأة صالحة واعداده ليكون خلفا له ، وعلى أن يذلل له كل العقبات التي اعترضت طريقه في الوصول الى مقام الخلافة ، والقيام بمهامها المختلفة .

أما النقطة الثانية : فكانت عن توليته الخلافة بعد وفاة ابيه في شهر رمضان سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . فبعد ان تربي الحكم في هذه المدرسة العالية وتدرّب على تسيير شئون الخلافة وتنظيم مصالح الشعب والبلاد وتولى الخلافة وهو في الاربعينات من عمره أي في الثامنة والاربعين من عمره تقريبا بعد ان يبيع بها البيعة الخاصة ثم البيعة العامة ، وانصرف بعدها الى ادارة دفة البلاد وادارة شئون الخلافة بكل قوة ونشاط وحكمة واقتدار .

ثم انتقلت الى الفصل الثاني وقد أفردته عن جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك والامارات الاسبانية النصرانية ضد النورمان ، وقد قسمته الى أربعة أجزاء .

الجزء الأول كان بعنوان " نظره عامة عن أحوال الممالك الاسبانية النصرانية وعلاقاتها بالاندلس حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر " ، وتحدث فيه عن كل ملكة وامارة اسبانية ، وعن موقعها وعلاقاتها

بدولة الخلافة في الاندلس في عهد عبدالرحمن الناصر ، وعسسن
خضوع قوادها له واستنجاؤهم به واحدا ضد الآخر .

أما الجزء الثاني فكان عن علاقات الحكم المستنصر بالعمالك
الاسبانية النصرانية ، وتناولت فيه الحديث عن هؤلاء الأسر
وملاقاتهم المتفككة ببعضهم البعض ثم عن حربهم سوية للخلافة
الاسلامية ، وما تلا ذلك من عودتهم الى التفكك والتناحر والانقسام
واستنجاؤ بعضهم بالحكم المستنصر ضد البعض . وقد ركزت في هذا
الجزء على جهاد الحكم المستنصر لمملكة نبره ولا مارة قشتاله واخضاعه
كل منهما تارة بالحرب ، وتارة أخرى بالمعاهدات السلمية .

وأما الجزء الثالث فكان عن نقض ملوك وأسرا النصراني المهوود
والمواثيق وعودتهم الى شن الغارات على الدولة الاسلامية بعد
أن أخذت وفودهم لا تنقطع عن بلاط الحكم المستنصر حاملين لسه
الهدايا والتحف من رؤسائهم .

وفي الجزء الرابع كان الحديث عن جهاد الحكم المستنصر ضد
النورمان ، وفيه تحدثت عن هؤلاء الأقوام واستعرضت تاريخ حياتهم
وأصلهم ، والدوافع التي أدت بهم الى الخروج من موطنهم وغاراتهم
على بلاد الاندلس قبيل عهد الحكم المستنصر وبالتحديد منذ عصر
الامارة في عهد الاسير عبدالرحمن الاوسط وابنه الاسير محمد ، فعهد
الخليفة عبدالرحمن الناصر ثم عهد ابنه الحكم المستنصر .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته للنزاع بين الحكم المستنصر وبين
الفاطميين على المغرب الأقصى ، وقد قسمته الى عدة نقاط رئيسية :
الاولى عن النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على
المغرب الأقصى ، وفيها تحدثت عن مزاحمة الفاطميين للأمويين على
المغرب الأقصى ومحاولة نشرهم للمذهب الشيعي هناك ، ووقف
عبد الرحمن الناصر على وجههم عن طريق تقوية اسطول الاندلس
واعداده العدة لحربهم ، وجذب كبار رؤوسا البربر للوقوف مع
ضد هم ، واستيلائه على معاير الاندلس المهمة مثل سبتة وطنجنة
ومليحة ، وتوطيد علاقاته باعداء الفاطميين ، فضلا عن اهتمامه بموانئ
الاندلس والعناية بها وتطويرها .

ثم انتقلت الى النقطة الثانية وهي النزاع على المغرب الأقصى
بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي . فالمعز لدين الله
الفاطمي بمجرد ولايته باد ربهتدعيم نفوذ الفاطميين على المغربيين
الوسط والأقصى ، وجرد الحملات لتحقيق هذا الهدف والوقوف على
وجه الأمويين ، وبالتالي وجدنا ان الخليفة الحكم المستنصر يعسده
للأمر عدته باهتمامه بالاسطول وتجريد الحملات الى بلاد المغرب
الوسط والأقصى للقضاء على دعوة الفاطميين وتمكنت هذه الحملات
من تحقيق انتصارات عظيمة أدت الى تراجع الفاطميين ثم خروجهم
مرة أخرى للأخذ بالشار واسترداد ماخرج من نفوذهم ، وأخيرا
ما كان من خروج المعز لدين الله الفاطمي الى مصر تاركا بنو زيري

نوابا عنه فى بلاد المغرب يحاربون نيابة عن الفاطميين النفوسون
الأموى هناك .

وأما النقطة الأخيرة فى هذا الفصل فهى عن محاولة آخر أمراء
الادارسة الحسن بن قنون فى استعادة نفوذهم على المغرب الأقصى .
فبعد أن نجح الحكم المستنصر فى توطيد نفوذ الأمويين فى المغرب
الأقصى اضطدم ذلك بمصالح أمراء الادارسة من بنى محمد الذين
طمعوا فى الاستقلال والسيطرة على الجهة الشمالية من المغرب
الأقصى فقرروا القيام بثورة وقطع دعوة الأمويين ، ولكن الحكم المستنصر
كان لهم بالمرصاد فحشد الجيوش الجزاره ، وارسل القواد المهيرة
وأكثر لهم الأموال وأعد لهم العدة لمسيرة الجيوش فسارت لحربهم
واستئصال شأفتهم ونجحت خطته فى القضاء عليهم ، فعاد قسواد
منتصرين ومصطحبين زعيم الادارسة الحسن بن قنون الذى سمح لسه
الحكم المستنصر بالاقامة فى قرطابه .

وبعد تلك الاحداث وقعت بين الحكم المستنصر والحسن بن
قنون جفوة أمر الخليفة على أثرها ابعاد الحسن فتوجه الى تونس
ومنها اتجه الى مصر مستعينا بالفاطميين .

ثم انتقلت الى الفصل الرابع والأخير وكان عن الحياة العلمية
فى الاندلس فى عهد الحكم المستنصر ، وقد قسمته الى ثلاثة أجزاء :
الجزء الاول وهو صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية فى الاندلس

فى عهد عبد الرحمن الناصر . ثم انتقلت الى الجزء الثانى عن الحكم
 المستنصر الخليفة العالم وجهود العلميه والتعليميه وقد فسحه الى
 عدة اقسام تناولت فيها بالحدث عن تشيخته العلميه وهو ولى العهد ،
 وشخصيته العلميه ، وجهوده العلميه والتعليميه بعد ان تولى
 الخلافة ثم انشأه مكتبة القصر والمكتبات الفرعيه بمختلف أقاليم
 الأندلس ، وما قام به رجال الأندلس من انشاء المكتبات الخاصه ،
 وأخيرا توسعته للمسجد الجامع فى قرطبه وتحويله الى جامعه علميه
 ثم أفردت القسم الأخير من هذا الفصل عن الحياة العلميه فى
 الأندلس فى عهد الحكم المستنصر وبخاصة فى مجالات الدراسات
 الشرعيه واللغويه والأدبيه والعلوم التجريبيه .

التعريف بأهم المصادر والمراجع

لقد اعتمدت في كتابة هذه الرسالة على عدد كبير من المصادر القديمة والمراجع الحديثة بجد القارى الكريم ثبثا بها في آخر الرسالة ، غير أننى في هذه المقدمة اقتصر على إبراز أهم هذه المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها بصفة رئيسية ، وفيما يختص بالمصادر يأتى في مقدمتها :

- ١ - المقتبس لابن حيان (٣٣٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦ م) وقد كان اعتمادى فيه على الجزء الذى حققه عبد الرحمن الحجسى ، وتناول فيه تاريخ خمس سنوات من عصر الخليفة الحكم المستنصر . وهذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة عامة له أهمية كبيرة ، فهو يعتمد على المؤرخين الذين سبقوه فيستفيد من أخبارهم وينقله لنا بالإضافة الى ما عنده ، فهو يكتب من الراوى ، ومن محمد بن يوسف البوراق . وبهذه الطريقة يكون قد حفظ لنا نصوصا غاية في الأهمية كان يمكن ان تضيع وتفقده لولا أن حفظها لنا هذا الكتاب . وأما عن الكتاب بالنسبة لموضوع البحث بصفة خاصة فله أهمية كبيرة إذ اعتمدت عليه في تفطيس جوانب عدة من البحث سواء عن جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان ، وحربه مع الأدارسة ومع زعيمهم الحسن بن قسرون وانتصاره عليه ، كما تحدث لنا ابن حيان عن مجالس الحكم

واجتماعاته وتصريفه الأمور وكيفية توزيعه لقادته اشياء المعارك .

٢ - نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، للمقرئ (ت ١٠٤ هـ) .
ولكتاب المقرئ بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة خاصة أهمية كبيرة ،
فلقد حفظ لنا اخبار الأندلس و خلاصة تجاربه وارتحاله السسى
البلاد التى زارها وأمضى فيها وقتا للبحث والعلم ، وهـــــ
سنه جليل مضى عليها معظم المؤرخين والعلماء فى تلك الفترة ،
قدون لنا خلال رحلاته المتكررة معظم ما يخصنا من تلك الفترة
من حكم دولة الاسلام فى الاندلس . وبالنسبة لتاريخ الحكم
المستنصر بصفة خاصة تبدو أهمية هذا الكتاب عظيمة جدا فى
تغطية جوانب كثيرة من البحث فهو يحددنا عن كل ما له علاقة
بالحكم منذ ان كان وليا للعهد حتى تسلم منصب الخلافة ،
ويستعرض لنا اثر توجيه الأب لابنه فى فترة ولايته للعهد ، ومدى
اهتمام الحكم بالعلم وأهله ، ويروى لنا عن حروبه وجهاده مع
الممالك النصرانية ، ويحددنا عن أهم رجال الدولة فى تلك
الفترة ، بالإضافة الى أبرز العلماء الذين قدموا الى الاندلس .
بأسلوب بسيط سهل جدا ولكن لا يخلو من التكرار .

٣ - البيان المغرب لابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ) . وهذا الكتاب
من أهم الكتب فى تاريخ الاندلس بصفة خاصة فهو بما يحوى
من معلومات قيمة من تلك الفترة من حكم الاسلام فى الاندلس
يعمد من أوائل الكتب المعتمدة ، فلقد حفظ لنا الشئ الكثير

عن حكم الامراء والخلفاء في الاندلس وكل ما يخصهم من جهاد وحروب وتطور ونهضة . أما بالنسبة لموضوع البحث بمفئة خاصة فلقد حفظ لنا الشئ الكثير من حياة الحكم المستنصر ، فهسو يذكر لنا أهم أعماله وجهاده وحروبه ، ويعرف رجال دولته البارزين ، وأهم أعماله الانشائية ، ودوره في تشجيع العلماء ، وتطوير قرطبه وتزديدها بكل وسائل التطور والنهضة . ولقد اتبع ابن عذارى في كتابه اسلوبا غاية في الوضوح مع التركيز على أهم الاحداث وتتبع الامور بطريقة متسلسلة بعيدة عن الاستطرادات .

٤ - تاريخ طما الاندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) . وهذا الكتاب بما حوى بين دفتيه من تراجم لعلماء الاندلس يعد من أهم الكتب في تاريخ رجال العلم في الاندلس بمفئة عامة ، فلقد حفظ لنا اخبار هؤلاء العلماء ورحلاتهم ودراستهم ومولفاتهم وعلاقاتهم بالدولة والحكم .

وتبدو أهميته الكبيرة بالنسبة لموضوع البحث بمفئة خاصة فيها حواء من اخبار ومعلومات غاية في الأهمية من الكتب القديمة التي سبقته والتي لولا حفظه لها لضاعت اكثر تلك المعلومات القيمة بضياح تلك الكتب التي فقدت ، بالاضافة الى انه أمدنا بأشهر وأهم العلماء ورجال الفكر المعاصرين لفترة حكم الحكم المستنصر ، فغطى بذلك كثيرا من الجوانب المهمة والمضيئة في حياة أولئك الرجال الافئدة .



٥ - جذوة المقربين - للحميدى (ت ٤٨٨ هـ) . وهذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس يعد من الكتب المهمة التى حفظت لنا تراجم العلماء الذين برزوا فى العلوم الشرعية والأدبية بصفة خاصة . أما بالنسبة لموضوع البحث فالكتاب يعد من المصادر القيمة التى اعتمد عليها فى كتابه عن أشهر رجال وعلماء الأدب بغروعه المتعددة من نحو وشعر ونثر وغيرها .

ويعد الحميدى من المؤرخين القلائل الذين جمعوا فى كتابتهم بين الجانب العلمى والأدبى معا . ويتمثل الجانب الأدبى فى اختياره للقطع الأدبية الشعرية التى تشع وتظلمر بوضوح فى هذا الكتاب . ولقد امتاز الحميدى فى كتابته بالوضوح والتركيز بصورة صادقة .

٦ - بغية المتوسل للضبي (ت ٥٩٩ هـ) . وفى هذا الكتاب تحدث الضبي عن الاندلس منذ فترة الفتح حتى عصره أى القرن السادس الهجرى . ولقد اعتمد الضبي فى كتابه على أكثر ما ذكره من كتاب الجذوة للحميدى ولكنه لم يكتف بذلك بل أضاف عليه الكثير من التراجم ، فلقد كتب عن جميع العلماء البارزين فى العلوم الشرعية من رواة الاحاديث وأهل الفقه ، بالإضافة الى أهل الأدب والشعر . وتبدو أهمية هذا الكتاب بالنسبة لتاريخ الاندلس بصفة عامة فى الترجمة لأبرز العلماء الذين كانوا فى تلك الفترة سواء من رجال الدين أو الأدب أو للزعماء الذين اشتهروا بالرياسة

والحروب ، بالإضافة الى ذكر المشهورين بالعلم سواء داخل
الاندلس أو خارجها . وتبدو أهمية بالنسبة للبحث بصفة خاصة
في ابرار تراجم أهل الادب والشعر والعلم في تلك الفترة من
حكم المستنصر .

٧ - الحلة السيرة - لابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) . ويعد كتاب ابن الأبار
من الكتب المهمة في تاريخ الاندلس ، فلقد حفل كتابه بأهل
العلم في المغرب والاندلس وتاريخ الاسلام عامة ، ويعد بالنسبة
لموضوع البحث من المصادر النادرة التي حفظت لنا نصوصا غاية
في الأهمية عن اهتمام الحكم المستنصر بالعلم ومنافسة أخيه
عبد الله له ، وعن طريقة الحكم العلمية ، ودراسته لكتبه ،
وما حوته مكتبته من ذخائر ونفائس كان لها أثر كبير في تشجيع
العلماء والدارسين على الاستزاد . كل ذلك تم بأسلوب ادبي
قوى جميل ، ويعد ابن الأبار من المؤرخين الثقات الحفاظ
بتناوله للمعلومات بصورة صادقة .

٨ - طبقات الامم لمعاد الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ) . وهذا الكتاب
أيضا من الكتب المهمة في تاريخ علماء أهل الاندلس بصفة
عامة ، وتاريخ الحكم المستنصر بصفة خاصة ، فهو من الكتب
الهامة التي اهتمت عليها في دراسة نهضة وتطور العلوم في
عصر الحكم المستنصر وأبرز العلماء الذين ظهروا في تلك الفترة .
فلقد دون لنا أبرز العلماء في كل من العلوم الرياضية

والتجريبية والانسانية بصورة واضحة ألقت الضوء على جميع العلما*
 في دولة الاسلام بالاندلس بصفة خاصة ، بالاضافة الى علما*
 آخرين في عدد كبير من الاصقاع . ويعتبر كتاب صاعد من
 أهم الكتب لأنه كان معاصرا لفترة الخلافة في الاندلس ، فهو
 ينقل لنا سيرة هؤلاء العلما* ومؤلفاتهم وكأنه واحد منهم .

٩ - العبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) . وابن خلدون غنى عن التعريف
 وقد افادنى كتابه هذا في تغطية جوانب كبيرة في دولته
 الاسلام في الاندلس بصفة عامة ، وعن حكم الخلافة بصفة خاصة
 بأسلوب غاية في الاختصار والتوضيح والتركيز . فلقد حدثنا عن
 جهاد الحكم المستنصر مع النصارى ، وعن حربه مع الادارسة
 وعن كثير من مجهوداته ومحاولاته في تطوير ونضجة بلاده فى
 جميع المجالات .

وبالاضافة الى هذه المصادر الرئيسية ، فهناك عدد آخر
 من المراجع التى تتصل بموضوع البحث اتصالا كبيرا ويأتى على
 رأس هذه المراجع الكتب الآتية :-

١ - كتاب دولة الاسلام فى الاندلس لمحمد عبد الله عشان ، ويعد هذا
 الكتاب موسوعة علمية قيمة عن تاريخ دولة الاسلام فى الاندلس
 بصفة عامة . ولقد اعتمدت عليه بالنسبة لموضوع بحثى فى تغطية
 الكثير من الجوانب المهمة . فلقد كتبت منه عن فترة ازدهار
 عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تمهيدا للدخول فى عهد ابنه

الحكم المستنصر ، ثم غطيت منه جوانب كبيرة عن حياة الحكم
المستنصر الخاصة والعامة ، وجهاده مع الممالك الاسبانية
النصرانية ، والمجوس ، والفاطميين ، ثم عن اهتمامه بالعلوم
والعلماء ، وعن أبرز رجال عصره ، وأقوال المؤرخين والمستشرقين
فى تقييم أعمال الحكم المستنصر ، فكان بذلك كتابا حافلا
استوفى جميع النقاط الهامة عن فترة عهد الحكم المستنصر
الزاهر .

٢ - المغرب الكبير للسيد عبد العزيز سالم ، ويعتبر من أهم الكتب
التي اعتمدت عليها فى الحديث عن جهود عبد الرحمن الناصر
وابنه الحكم المستنصر فى صد أطماع وتوسعات الفاطميين فى
المغرب ، وفى جهاد الحكم بمحنة خاصة معهم ووقوفه فى وجههم
زمنًا طويلًا ، وعن أبرز المعارك التي دار رحاها بين الطرفين
وعن عمق الخلاف بينهما . وهذا الكتاب بحق يعد من الكتب
القيمة بما حوى من معلومات هامة تعتبر مرجعا أساسيا لكل
من طرق موضوع تصدى الخلافة الاسلامية فى الاندلس لا طمع
الفاطميين .

٣ - تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس للسيد عبد العزيز
سالم واحمد مختار العبادى ، وهو من الكتب التى غطت جوانب
كبيرة من البحث من ناحية تآجر البحرية فى الاندلس منذ عهد
الامارة حتى عهد الخلافة . فقد تعرض لنشأة البحرية فى

ببلاد الاندلس وتطورها وأثر تطور البحرية وتفوقها في صد أطماع النورمان والفاطميين على الاندلس فترة طويلة . فهو بما يحوى من معلومات غزيرة استقيت من بعض المراجع الاوربية والعربية كان كافية لتغطية هذه الجوانب المتعددة التى أشرت اليها آنفا .

٤ - في تاريخ المغرب والاندلس ل احمد مختار العبادى ، ويعمد هذا الكتاب من الكتب التى حوت تاريخ دولة الاسلام فى الاندلس سواء فى فترة الامارة أو فى فترة الخلافة بصورة شاملة . ولقد ركز فيه على بعض المظاهر الحضارية والتطورات التى شهدتها فترة حكم الخلافة فى الاندلس بصفة عامة . وأفادنى هذا الكتاب بصفة خاصة بما حوى من معلومات قيمة وواسعة عن فترة جهاد الحكم المستنصر ضد الممالك الاسبانية النصرانية وعن علاقتهما بدولة الخلافة ولجوفهما اليها وفدورها بها وإعلان الحرب عليهما مرات تلو مرات .

٥ - سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد جمال الدين سرور . لاغنى للباحث فى تاريخ الدولة الفاطمية وعلاقتها بدولة الخلافة فى الاندلس عن هذا الكتاب القيم الذى ركز فيه المؤلف على عسق الصراع والحرب والاطماع بين الفاطميين والأيوبيين ومحاولة كسب منهما الاطاحة بأطماع الاخر . ولقد أفادنى هذا الكتاب بصفة خاصة فى تغطية جوانب الصراع بين الطرفين ، وعلاقة خلفاء

الاندلس بخلفاء الدولة الفاطمية وأطماع كل منهما في مالـك
الآخر ، والحروب المتكررة التي لم تتوقف أبدا حتى بعد انتقال
الخلافة الفاطمية إلى القاهرة ، فكان كتابا غزيرا بالمعلومات
القيمة وذو فائدة عظيمة .

٦ - تاريخ التعليم في اسبانيا الاسلامية لمحمد عيسى . وهو رسالة
دكتوراه لم تطبع بعد . ولقد عكست استفادتي من هذه الرسالة
بصفة خاصة في الباب الرابع من الرسالة الذي خصصته للحدوث
عن اهتمامات الحكم المستنصر العلمية ، وتشجيعه لطلاب العلم
للبحث والدراسة وتوفيره المناخ العلمي المناسب لتابعة الدراسة
والبحث واستقطاب العلماء من كل مكان للاندلس ، وتوسيعه
لجامع لقرطبة وتحويله إلى جامعة علمية هامة .

٧ - الاسلام بين العلماء والحكام لعبد العزيز البدرى ، وبعد هذا
الكتاب من الكتب النادرة التي تناولت مواقف الحكام مع العلماء
في توجيههم الوجهة الاسلامية الصحيحة التي يرتضيها الله
ورسوله استنادا على كتاب الله وسنة رسوله . ولقد كان اهتمامى
عليه في تغطية الجانب الاول من البحث وهو مدى استفادة الحكم
المستنصر في حياة ابيه من حيث توجيهه الوجهة السليمة فى
تلقي العيب من بعده . فكان لتوجيه العلماء الصالحين امثال
المذر بن سعيد وغيرهم أثر كبير في حياة عبد الرحمن الناصر
وأثر كبير أيضا في استفادة ابنه الحكم المستنصر من تلك المواقف

التي يبدو فيها أثر الحياة العاصرة بالامان في توجيه «ؤلا»
العلماء للحكام التي مافيه من رفعة وتقدم للدولة .

٨ - الاسلام في اسبانيا المظفى عبدالبديع . وهذا الكتاب رغم صغر
حجمه ذو فائدة علمية كبيرة من حيث تناوله كل الطوم التي عنت
بها وتتطورها دولة الاسلام في الاندلس ، بالاضافة الى التركيز
على أبرز العلماء الذين شهوروا وتفوقوا في كل علم من العلوم .
ولقد استفدت من هذا الكتاب القيم في تغطية جزء ليس بالقليل
في الحديث عن الحياة العلمية في عهد الحكم المستنصر وهن
أبرز العلماء الذين برزوا في تلك الفترة سواء من برز منهم في
العلوم الشرعية أو الانسانية أو التجريبية .

والله الموفق . .

وفاء المزدوع

الفصل الأول

الخليفة عبد الرحمن الناصر بمضى، ابنه الحكم للخلافة

(١) اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم
لعلى الخلافة .

(٢) تولية الحكم المستنصر الخلافة .

(١) أعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة

حرص الخليفة عبد الرحمن الناصر على تنشئة ابنه الحكم تنشئة متازة تؤهله ليكون قائدا عظيما وخلفا أمينيا للاضطلاع بأعمال الخلافة من بعده ، فعنى بتهيئته تربية خاصة منذ حداثة دون بقية أبنائه وخصه بأن يكون خلفا له وهو لم يتجاوز الثامنة من العمر (١) .

كما كان شديد الحرص على استقرار أمور دولته ودولة ابنه من بعده ، فعهد له كل أمور ملكه ليتولى زمام الحكم والبلاد تنعم فسيح بوجوه من الأمن والاستقرار ، وقد بلغ من حرصه على تفضيل الحكم أنه لم يتورع عن قتل ابنه الثاني عبد الله عندما طم بتدبيره لمعارضته ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : [كان الناصر قد رشح ابنه الحكم وجعله ولي عهد وآثره على جميع ولده ودفن اليه كثيرا من التمسرف في دولته ، وكان اخوه عبد الله يساميه في الرتبة فغفل لذلك وأفسراه الحسد بالنكث فنكث ، ودخل في قلبه مرض من أهل دولته فأجابسوه وكان منهم يأسر الفتى ونسي الخبر بذلك إلى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجلس فيه فقبض على ابنه عبد الله وعلى يأسر الفتى

(١) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام في الاندلس ، عصر الخلافة والدولة العامرية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ، الطبعة الرابعة ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٤٨٣ .

سيمون حايك : صبح البشكسيه أو الاندلس على عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٣ .

وطى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين ^(١) .

ولقد حرص عبد الرحمن الناصر منذ البداية على تدريب ابنه الحكيم على إدارة أمور الدولة وخوض الصعاب ، فقد كان يتركه أثناء غيابه في الحروب نائباً عنه في إدارة شئون الدولة ، ويسرى كيف تسير الأمور والأحوال بدونه ، وكيف يتصرف بالحكم وحده . فعندما غزا عبد الرحمن الناصر كورة البصرة ^(٢) تركه في البداية في القصر ليخلفه فيه وليده ، بكل ما يحتاجه أثناء غزوه ، وليطمئن على سير الأعمال وتصريف الأمور في الدولة في يد أمينة هي يد ابنه ^(٣) ، كما اشركه كثيراً معه في خوض غمار الحروب ليصبح محارباً مقداماً . فعندما خرج عبد الرحمن الناصر لغزو مدينة بطليموس ^(٤) لمحاربة أهلها الخارجين عليه ، كان الحكيم معه كعميل له ويده اليمنى في تلك المعركة ^(٥) .

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى المعبرود يوان الجندأ . بيروت - مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .
- (٢) كوره من كور الاندلس ، جليلة القدر ، نزل بها جند دمشق من العسرب وموالي الامير عبد الرحمن بن معاوية ، وهو الذي أسسها وأسكن بها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك .
- () الحميري : صفة جزيرة الاندلس ، منتخبه من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشر وتصحيح وتعليق حواشيه أ . ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٢٩) .
- (٣) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب . تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وليفي بروفنسال - بيروت - دار الثقافة ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .
- (٤) مدينة بالقرب من اقليم ماردة ، وهي حديثة الاتخاذ بناها عبد الرحمن الجليقي ، وهي مدينة جليلة في بسط من الارض وتقع على ضفة نهر الغرور (الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦) .
- (٥) ابن عذاري : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بتقدريم ابنه معه في حروبه فقط ، بل قدمه أيضا في فترات السلم كان كثيرا ما يعهد اليه بالاشراف على تنظيم الأمور وتنسيقها . فمثلا عندما قدم رسل امبراطور الروم (١) أحسب ان يحتفل بهم احتفالا عظيما وان يقوم الخطباء والشعراء بين يديه في ذلك المجلس الحافل بالقاء كلماتهم وقصائد هم ، فطلب الناصر من ابنه الحكم ان يقوم بأعداد هذا المجلس الخطابي الشعري لأظهار عظمة الخليفة ومكانته الكبرى بين شعبة واسام هؤلاء الرسل (٢) . ولقد كان باستطاعته ان يعهد بهذا الأمر الى أي ابن من أبنائه الكثرين أو الى أي رجل من رجال الدولة ، ولكن اختياره للحكم لم يكن حادثة أولأنه أكبر أبنائه ، ولكن لأظهار تفوقه في هذا المجال ولتعويده من جهة أخرى على اختيار الرجل المناسب والكلمات المناسبة للمقام . فصار كان من الحكم الا أن عهد الى الفقيه محمد بن عبد البر الكشكشاني (٣) بأعداد خطبة ليغة تناسب جلال المكان والمناسبة وذلك لتأكده من ان الفقيه محمد هو خير من يقوم بهذا العمل وبهذه المهمة الأدبية الكبيرة . ولم يكتف الحكم بتنظيم هذا الاحتفال بل دعا اليه كتسيرا

(١) هو الامبراطور قسطنطين السابع .

(٢) المقرئ : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، حققه وشيخ غرائب وطسق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت - لبنان - ١٣٦٩ هـ - دار الكتاب العربي ، ج ١ ، القسم الاول ، ص ٣٤٠ . كان معروفا بفصاحته (٣) هو فقيه من أهل قرطبة ، يعرف بابن الكشكشاني ، كان معروفا بفصاحته وبلاغته .

(المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤٥) .

من الخطباء والعلماء والشعراء وكان في مقدمة الجميع أبو طلي القالي (١) ،
والنذر بن سعيد البلوطي (٢) ، وهما من كبار رجالات العلم والدين .
واستعد الجميع لاستقبال أولئك الوفود رسل ملوك الروم واجتمع الجميع
في ذلك الحفل البهيج وقام الفقيه المعهود اليه بالقائه كلمة الافتتاح
(محمد ابن عبد البر) لاداء المهمة فارتج عليه لجلال الموقف ولم يستطع
القيام بالمهمة الموكلة اليه ، فقد هاله ذلك المجلس وما فيه من أبهة
الخلافة وبهره هول المقام . فلم يهتد الى أي لفظ بل سقط مفشياً
عليه . عندها أشار الحكم الى أبي طلي القالي ليحل محله وليصلح من
أفسده الأول ، وكان أبو طلي القالي رجلاً من رجال تلك المواقف
فقد كان أمير الكلام وحرراً في اللغة ، ولكن حدث له ما حدث للفقيه
ابن عبد البر فوقف ساكناً متفكراً لا ناسياً ولا متذكراً . حينئذ قام
النذر بن سعيد وخطب خطبة رائعة أنست الحاضرين مواقف الخطباء

(١) هو اسماعيل بن القاسم أبو طلي اللغوي ، ولد بخارجرد ، من ديار بكر .
نشأ بها ورحل الى العراق وطلب العلم ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة
وسمع من كبار علماءها وأدبائها فقال بطبعه الى اللغة وطوم الأدب فسبر
فيها واستكثر منها . وأقام ببغداد خمسا وعشرين سنة ، ثم خرج قاصداً
الى المغرب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ووصل الى الاندلس سنة ثلاثين
وثلاثمائة في أيام عبد الرحمن الناصر وكان ابنه الأمير الحكم من أحب ملوك
الاندلس للعلم ، فتلقاه بالجميل وحظي عنده وقربه وبالغ في إكرامه . وكان
أماماً في اللغة فاستفاد الناس منه وله عدة مؤلفات تدل على فزارة علمه .

(الضبي : بغية المتلصص في تاريخ رجال أهل الاندلس ، القاهرة ،
١٩٦٧م - دار الكتاب العربي ، ص ٢٣١) .

(٢) قاضي الجماعة بقرطبة وخطيب بلنغ وله كتب مؤلفه في القرآن والسنة والسير
على أهل الأهل ، وهو شاعر بلنغ . ولقد قره الخليفة عبد الرحمن الناصر
الى ان مات ثم ولى ابنه الحكم فأقره على ما هو عليه .

(المقرئ : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٤٨) .

السابقين ، فأبدع في خطبته ايما ابداع حتى اندهش الجميع ببلاغته
وفصاحته (١) .

ولمّا ملنا هذا الموقف لوجدناه كأنه أمر مرتب ومعد له ، وكسأن
الحكم يعلم ما سوف يحدث في ذلك الحفل ، فاحتاط لذلك وأعد للأمير
عدته ، وجمع كل هؤلاء العلماء الأفاضل دفعة واحدة ، فإذا قصر
أحدهم أكمل الآخر . ان هذا الامر وهذا التنظيم ان دل على شيء
فانما يدل على فطنة الحكم وذكائه . ولم يكشف عبد الرحمن الناصر
بأن يعهد الى ابنه الحكم بمثل هذه المهمات فحسب ، بل حرص
على اتمامه في كل مجال ، فنراه يعهد اليه بالاشراف على بناء مدينة
الزهراء ، وكانت من المدن العظيمة الجليلة ذات الشأن الكبير بين المدن
الاسلامية ولقد استغرق بناؤها بقية عهد عبد الرحمن الناصر وكذلك
عهد ابنه الحكم واستمر العمل فيها من عام خمسة وخمسين وثلاثمائة
حتى آخر دولة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم أي نحو من أربعين
عاماً (٢) .

وحرص الناصر في حياته على أن لا تمر حادثة من الحوادث أمام
ابنه الحكم الا ويكون له منها الدرس البليغ المستفاد في حياته ومن

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ . المراكشي :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد
المرين - القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية .
(٢) المقرئ : مصدر سابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ٩٩ .

بعده ، فيدرك كيف يحيط نفسه ودولته بالرجال الحكماء المحنكين وكيف يتصرف في شئون دولته وفي تقدير كافة الأمور .

فعندما اندفع عبد الرحمن الناصر الى عمارة الارض وتشيد القصور وتوفير المياه رغبة في تخليد الآثار الدالة على عظمة ملكه وقوة سلطانه أدى به ذلك الى الانهماك في الناحية العمرانية حتى قامت مدبنة الزهراء بقصورها الشامخة البديعة وانصرف الى زخرفة أعمدها وجدرانها ومداخلها انصرافا أدى به الى أن عطلت صلاة الجمعة بالسجدة (١) . فلما رأى القاضي المنذر بن سعيد من ذلك ما رأى أراد ان يعطيه درسا قاسيا لعله يتعظ ويعتبر ، فبدأ خطبته بقوله تعالى : ﴿ أَتَنْسَوْنَ كُلَّ رَيْحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُدْخِلْتُمْ فِيهَا أَنْفُسَكُمْ إِذْ أَنْتُمْ تُخْلَدُونَ * أَمْ كُمْ يُلَاقِيَنَّكُمْ * وَجَنَّاتٍ وَمِنْ فِيهَا نَاقِرٌ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) . وواصل تلك الآيات بكلام ذم فيه الاسراف في البناء والمغالاة في الزخرفة والتفقه ثم واصل كلامه بذكر قول الله تعالى مرة أخرى حيث قال : ﴿ أَفَمَنْ أَشَسَّ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَشَسَّ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) . وأتمى

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٠٥ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ١٢٨ - ١٣٥ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٩ - ١١٠ .

بخطيب بأشكال هذه المعانى والآيات ومن التخويف بالموت والتحد يسسر
من النار والدعا* الى الله عز وجل فى اعتزال الدنيا الفانية والترغيب
فى الآخرة وما فيها ، والتقليل من طلب الدنيا ونهى النفس عن الشهوات ،
وأكثر من آيات القرآن العظيم ما يوافق كلامه وأورد من الاحاديث والآيات
ما يوافق المقام ، حتى بكى الناس وخشعوا وضجوا بالدعا* والتضرع والتوبة
والانابة الى الله عز وجل .

أدرك الناصر من خطبته انه هو المقصود فندم على ما فرط وتقرب الى
الله عز وجل بالاعمال الصالحة واستعان من سخطه ، الا انه عز طيبه
طريقة المنذر فى توجيهه وقسوة ألفاظه عليه ، فشكا بذلك الى ابنه
الحكم وقال : [والله لقد تعمدنى المنذر بخطبته وأسرف فى ترويعى ،
وأفرط فى تقييى ولم يحسن السياسة فى وعظى فزعزع قلبى ، وكساد
بعضاء يقرئنى ، واستشيط غضبا عليه فأقسم ان لا يلقى خلفه صلاة
الجمعة] (١) . وعندما رأى الحكم كثرة وجد ابنه على المنذر قال له :
[وما الذى يمنعك من عزله والاستبدال به ؟] . ولكن الناصر زجره
بشد ووجه وقال له : [أمثل المنذر بن سعيد فى فضله وخسیره
وعلمه لا أم لك يعزل لرضا* نفسى ناكبة عن الرشيد ، سالكة غير القصد ،
هذا ما لا يكون . وانى لأستحق من الله أن لا أجعل بينى وبينه نفس
صلاة الجمعة شفيما مثل المنذر فى ورعه وصدقته ولكنه اخرجنى ، فأقسمت
ولو ددت أن أجد سبيلا الى كفارة بينى بملكى ، بل يلقى بالناس

(١) المقرئ : صدر سابق ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٦ .

حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى ، فما اظننا نعتاض منه أبدا [(١)] .

تلك صورة رائعة من محاسبة العلماء للحكام ، وتلك هي الطريقة المثلى ، وذلك هو حكم الاسلام المفروض في وجوب محاسبة الحكام وفي تبليان وايضاح عاقبة الله تعالى لمن لم يقم به ويفسخ المجال له ، ولقد تسلك سلفنا الصالح بذلك حكما ومحكوسين فقاموا باداء المهمة على خير قيام .

ان محاسبة الحكام بالانكار على أعمالهم المخالفة لشريعة الله المتناقضة مع دين الاسلام لا تعنى الاساطة الى أشخاصهم لأن كسل البشر معرض للخطأ والزيغ والانحراف عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم . فالانكار عليهم يكون بمحاسبتهم وتقويم اعوجاجهم والسعيد من وعظ فاعتظ . ويكون تقويمهم بقول لبن كما قال تعالى لموسى وأخيه عندما بعثنا الى الطاغية فرعون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ (٢) . وكان الناصر من الناس السعداء ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ ﴾ (٣) . ويقدر اكبارنا لوقوف العالم الخطيب النذر بسن سعيد ، يكون اكبارنا لهذا الخليفة التقى الذى لا يستكبر عن الرجوع

(١) ابن خاقان : مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس ، قسطنطينة ، ١٣٠٢ هـ ، الطبعة الاولى ، مطبعة الجوالب ، ص ٤٠ - ٤١ - التباهى . تاريخ قضاة الاندلس ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٤٥ - ٤٦ . المقرئ : مصدر سابق ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٥ .

(٢) سورة طه : الآية : ٤٣ - ٤٤ .

(٣) سورة الزمر : الآية : ١٨ .

الى الحق رغم قدرته على البطش والعزل ، وكل ما فعله ان لا يخلص
خلفه ولكن سرعان ما ندم على ما قرر فأعطى بذلك لابنه درسا واقعيما
كان فيه لابنه قدوة حسنة ومثلا يحتذى به في الرجوع الى جادة الصواب.

وأحسن الناصر ان المبالغة في الانفاق على مدينة الزهراء بتلك
الصورة كان أمرا ينقصه الصواب ، وان الصواب في البعد عن التصادى في
الاسراف . وإذا لم يكن الحاكم متزنا ومعتدلا فلا أقل في ان يستمع
الى القول الحسن ، فأوضح بتصرفه ان الحريص على مصلحة الدولة
ورئيسها ليس من يداهن ويخادع وإنما الحريص هو الذي يورثه السس
عويبه فكان هذا الموقف درسا رائعا من الخليفة الى ابنه عرفه فيسه
أنواع الرجال ومن الجدير منهم بالادناء أو الاقصاء (١) .

لم يكن هذا الدرس وحده هو الذي تلقاه الحكم من أبيه ففى
حياته بل تكررت المواقف وتعددت التجارب خاصة مع الرجل العالـج
الشذرن سعيد ولكن بطريقة أخرى . فعندما اتخذ الناصر [لسطح
القبيلة المصغرة الاسم للخصوصية التى كانت مثله على الصرح المسرد
المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيما ،
وقرند سقفا به ، وجعل سقفا صفرا فاقعه الى بيضا ناصعة تستلب
الابصار بأشعة نورها] (٢) وجلس بعد اتمامها يوما لأهل ملكته وقسال

(١) عبد العزيز البدرى : الاسلام بين العلماء والحكام ، المدينة المنورة ،
١٩٦٦م ، المكتبة العلمية - بيروت ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ،

ص ٢٥ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ١٠٨ .

لمن حضر مجلسه من الوزراء والاعيان وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما
صنعه من روائع الفن وندائع المنعة : [هل رأيتم أو سمعتم بملك كسان
قبلى فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟] وكعادة المتحذلقين والمداحين من
الحاشية فى كل مكان وزمان ، كان رد هم واجابتهم واحد ، فقالوا له :
انهم لم يسمعوا قط بملك فعل ما فعله . فأبهجه وأعجبه قولهم ودخله
الزهو والكبرياء بما فعل . وبينما هم فى تلك الحالة من الابتهاج
والسرور ان دخل عليهم القاضى المنذر بن سعيد وهو ناكس الرأس حزين
النفى لما رأى وسمع فلما أخذ مجلسه قال له مثلما قال لوزرائه ،
فانهمرت الدسوع على لحيته ورد عليه ردا بليغا كله صدق وايمان ،
قال له : [والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان لعنه الله يبلغ
منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكن مع ما آتاك الله
من فضله ونعمته وَفَضَّلَكَ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، حتى ينزل بك من
الكافرين] (١) . ولكن الناصر انفعّل لقوله وقال له : [وكيف انزلسى
منزلهم ؟] ، فرد عليه المنذر بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونِ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلَيْهَا يَصْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَبَكَّرُونَ * وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ
ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْتَقُونَ ﴾ (٢) .

فوجم الناصر ونكس رأسه ود موه تجسرى على لحيته خوفا وخشوعا لله
عز وجل ، واقبل على المنذر وقال له : [جزاك الله يا قاضى هذا ومن

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) سورة الزخرف : آية ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك ،
 فالذي قلت هو الحق] ، وقام من مجلسه مستغفرا متضرعا إلى الله
 بالتوبة وأمر بنقض القبة وإعادتها ترابا . وندم الناصر وهو أمير المؤمنين
 وأكبر شخصية في الدولة على سابق عمله ولم يتأخر عن الرجوع إلى الحق
 والصواب مثل أي رجل من الرعية (١) .

هكذا كان العلماء مع الحكام حيث برزت ملامتهم في التمسك
 بدينهم والاعتزاز به . لقد هر بالحكم هذا الموقف فوعاه جيدا كدرس
 تربوي على في تراجع الحكام عن أوجاجهم بنصيحة العلماء العاملين
 وصدق إرشادهم إلى الصراط المستقيم . فمثل هذه الدروس العظيمة
 أدرك الحكم أن التقرب لتلك الفئة من المصلحين وسماحه لنماتهم فيه
 الخير والسعادة .

وتمر العبر بجميع صورها ومعانيها ، فتمثل بها الحكم ، سواء
 أيام كان وليا للعهد أم بعد أن صار خليفة حاكما للبلاد .

وتمر حادثة أخرى بالحكم حينما أصيب الناس بقحط شديد فسمى
 أواخر عهد الناصر ، ودعى الناس للخروج لصلاة الاستسقا* طالبيا لرحمة
 الله وضوءه ، وبرز المنذر بن سعيد مرة ثالثة لكي يعلن بالناس صلاة
 الاستسقا* بعد أن استعد لها بالصوم ثلاثة أيام يناجي فيها ربه ويستغفره

(١) النجدي : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٠٩ .

ويتضرع اليه ثم اجتمع الناس في صلى الربيع بقرطبه (١) ، ولكن المنذر الخطيب والامام أحب قبل أن يبدأ صلاته وتضرعه الى الله أن يطلع على حال أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر فقبل له : [ما رأيك في قسط أخشع منه في يومنا هذا فإنه منتبذ حائر منفرد بنفسه لا يمس أخوه الثياب مفتش التراب ، وقد رمى به على رأسه وعلى لحيته ، وكفى واعسترف بذنوبه وهو يقول : هذه ناصيتي بيدك ، أتراك تعذب بنى الرعيعة وأنت أحكم الحاكمين ؟ لن يفوتك شيء منى] (٢) . فعندما علم المنذر بذلك تهلل وجهه بشرا وقام في الناس خطيبا واعظا وأدرك تماما أنه إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السما ، وبشر الناس بالسقيا والفيث ولم ينصرف من صلاة الا والفيث قد هطل دنة ورحمة من الله (٣) .

لقد كان لهذا الموقف أثره الكبير في صقل حسه الديني ، فأدرك جيدا ان صلاح الراعي في قربه من الله ، وعرف ان الرعيعة دائما تكون

-
- (١) اتخذ المسلمون منذ الفتح الاسلامي بقرطبه صلى لهم ، والمصلون في المدن الاسلامية مباركة من ساحة فسيحة يجتمع فيها المسلمون لاداء الصلاة ، كمسجد الاستسقاء ، أيام الجذب والجفاف وصلاة العيد في العراء ، وكان صلى الربيع يومى هذه الوظيفة في تلك الأيام .
(السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، بيروت ، ١٩٧١ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ج ١ ، ص ٢٦ - ٢٧) .
- (٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٠٨ .
- (٣) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ١١٧ - ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ج ٧ ، ص ٨٢ .

على دين ملوكها فان صلحوا صلحت وان فسدوا فسدت . وادرك ان نصائح
 العلماء للحكام هي للحكام أنفسهم لا عليهم وانها تجنبهم الوقوع في
 الاخطاء . فالحاكم المسلم يعلم ان كل خطأ جالب للالتم يسى^(١) للرعية
 التي اولته أمرها ليحسن رعايتها . وهكذا استطاع الحكم ان يدرك ان في
 تقرب أهل العلم والعلماء الفضل الكبير في البعد عن الزيف^(١) ، فأخذ
 يقرب العلماء في عهده الزاهر ويسمى عليهم طائفة ورعايته فكان عهده
 عهد العلم والعلماء . وكان هذا كله ثمرة لما أراد له أبوه —
 ان يكون نعم القدوة لرعيته .

وننتقل الآن وبعد التعرف على الحياة التي عاشها الحكم فسى
 ظل أبيه الى التحدث عن اعتلائه للعرش وتوليته الخلافة .

(١) عبد العزيز البدوي : مرجع سابق ، ص ٩٩ - ١٠١ .

(٢) تولية الحكم المستنصر الخلافة

فى اليوم الذى توفى فيه عبد الرحمن الناصر فى الثانى أو الثالث من شهر رمضان من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، تولى ابنه الحكم الخلافة ، وكان يومئذ فى الثامنة والأربعين من عمره تقريبا ، وبويع البيعة الخاصة من اخوته وكبار رجال الدولة والقصر ، ثم بويع البيعة العامة بعد ذلك .

البيعة الخاصة : وأول من بايعه بالخلافة أكابر الفتيان المقاتلة كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم ، وقد تكفلوا بأخذها على من دونهم وتحت أيديهم ومن طبقتهم وغيرهم ، وبعد ذلك قام الكتاب والوصفا والعرفاء فبايعوه . ولما اكتملت بيعة أهل القصر تقدم الحكم الى كبير دولته جعفر بن عثمان المصطفى (١) يطلب اليه النهوض الى شقيقه أبى مروان حميد الله ليأمره بالحضور ، وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير الى أبى الاصمغ عبد العزيز شقيقه الثانى ، وأمر غيرهم من وجوه القوم باحضار اخوته الباقين فوضوا اليهم بكتيبة

(١) هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيله القيسى ، كان لطيف المنزلة عند الحكم المستنصر بالله ، قديم الصحبة قريب الخاصة ، وكان أول سبب ذلك تأديب والده للحكم فى حياة الناصر ، ولما أفضت الخلافة الى الحكم قلده خطة الوزارة ، وأما على الكتابة الخاصة ثم جمع له الكتابة العليا بالخاصة ، وولى ابنه الاعمال الكبار . وكان جعفر أحد شعراء الاندلس المحسنين .

ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ - الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولادة الاندلس ، القاهرة ١٩٦٦ م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ١٨٧ .

من الجند ليأتوا بهم جميعا الى مدينة الزهراء ، وكان عدد هم يومئذ
ثمانية اخوة فحضرُوا جميعا الى الزهراء ونزلوا في دار الطك . ومعه
ذلك قعد الخليفة المستنصر بالله ووصل اليه اخوته فبايعوه ، واستمعوا
لصحيفة البيعة وتعاهدوا بالايمان المنصوصه . ثم بايع بعد ذلك
الوزراء وأولادهم واخوتهم ، ثم أصحاب الشرطة ، وطبقات أهل الخدمة .
وجلس الاخوة والوزراء ووجوه القوم ، وقام عيسى بن فطيس وهو من كبار
رجال الدولة ليأخذ البيعة من الجميع بعد أن جلسوا في مجلس الخليفة
على حسب مراتبهم في الدولة وأخذت البيعة منهم جميعا . ولما تمت
البيعة انصرف الجميع الا الاخوة والوزراء وأهل الخدمة مكثوا حتى دفن
الناصر . وهذه الصورة انتهت البيعة الخاصة للحكم المستنصر .

البيعة العامة : في شهر ذي الحجة من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، تكاثرت
الوفود من جوانب الاندلس وقواعدها ، واجتمعت بباب الحكم المستنصر
للبيعة ، فأذن لهم بالدخول الى مجلسه بمحضر من جميع الوزراء والقضاة
فأخذت له البيعة (١) .

وهكذا تولى الحكم الخلافة دون ان يقف في وجهه أحد من
أهله أو اخوته أو أقربائه أو غيرهم . وقد جلس في البهو الأوسط من
الابها المذهبة في السطح المرص فبايعه الجميع من رجاله وخاصته
واخوانه والوزراء وأولادهم وأصحاب الشرطة وكبار رجال الدولة في جلسه
يسودها الاخاء والسود .

(١) المقري : المصدر السابق ، ج ١ ، القسم الاول ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٥ .

عقباء ، ولما اكتمل عدد هم وصاروا كالعقد المنظوم تحت البهجة الخاصة له . فهذا موقف ودرس عظيم وعاء المستنصر من أبيه الناصر ، وهو انه ليس في مصلحة الحاكم ان يندو أى خلل في صفوفه امام الرعية ، واذا وجد شئ * من ذلك يجب بتره نهائيا وبصورة سريعة كما فعل الناصر -ع ابنه عبد الله . ولقد حرص المستنصر على ابقاء جهاز الدولة كامسلا مثلما كان في عهد أبيه لثقة بقدره أبيه في اختيار الرجال الافذاذ .

وتولى الحكم المستنصر الخلافة وهي على أسس ثابتة راسخة وطبسي حال من الاستقرار والرخاء لم تعهد لها الدولة قط .

وعقب توليته الخلافة ولي الحكم المستنصر جعفر المصطفى حجابته وقد ظل في منصبه طوال سنوات خلافته . وقد أهدى جعفر المصطفى للحكم المستنصر يوم توليته الحجابة هدية كبيرة شدل على مدى ما كانت عليه الدولة وقتئذ من الرخاء والرفاهية (١) .

ولقد تولى الحكم المستنصر الخلافة وهو في سن الثامنة والاربعين ، أى في الوقت الذي تكاملت له مزايا الرجل الكبير المحضك التي أعطته على تصرف الشئون الخاصة بالخلافة . فضلا عما كانت عليه الدولة من ازدهار واستقرار وقت ان تركها له أبوه فلم تعترضه الشورات الجامحة التي اعترضت أباء في العشرين سنة الأولى من عهده ، بل ورث دولة

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

مؤسسة الأركان تحكمها حكومة مركزية قوية .

وبعد ان بويغ الحكم المستنصر بالخلافة واستقرت له الأمور التفتت
الى أمور ملكته لضبطها ، والى أعدائه لحرثهم ، والى جميع مرافق
الدولة للاشراف عليها والعناية بأمرها .

* *

الفصل الثاني

جهاد الحكم المستنصر ضد المماليك والإمارات

الأسبانية النصرانية وضد النورمان

(١) نظرة عامة من أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وملاقاتها بالأندلس حتى نهاية عبد الرحمن الناصر .

(٢) ملاقات الحكم المستنصر بالممالك الأسبانية النصرانية :-
أ - جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة ليون ، ومملكة نبرة ، وامارة قشتالة .

ب - عهود السلام بين الحكم المستنصر وملوك الأسبان وأمراءهم النصراني .

ج - نقض ملوك وأمراء الأسبان النصراني لعهود السلام وعودتهم الى شن الغارات على الاراضي الاسلامية .

(٣) جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان :-
أ - النورمان وغاراتهم على الأندلس قبل عهد الحكم المستنصر .
ب - غارات النورمان على الأندلس في عهد الحكم المستنصر .

(١) نظرة عامة عن أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها

بالأندلس حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر

لو تتبعنا بداية ظهور خطر الامارات الأسبانية النصرانية لوجدنا أنها في بداية الأمر قد استقرت واعتصمت بالجبال ، ولم تستطع التوسع والانتشار جنوبا بسبب خوفها من المسلمين الأقوياء في تلك الفترة الأولى من حكمهم ، ولكن بمرور الوقت واختلاف الأوضاع تجددت الأطماع مسرة أخرى بسبب انشغال المسلمين وانقسامهم على أنفسهم ، فبدأ الأسبان بالتطلع الى الامتداد الى المناطق المجاورة ، وخصوصا أن تلك الامارات النصرانية كانت قريبة من أوروبا وعلى اتصال بفرنسا والبابوية والعالم الكاثوليكي . ولقد ساعدها هذا الاتصال والقرب على تدعيم قواها من الناحيتين المادية والروحية ضد دولة الاسلام في الأندلس . ففي جليقية (فالسيا) تلك المنطقة الجبلية التي تقع في شمال غرب شبه جزيرة ايبيريا قامت الانطلاقة الأولى لحركة الاسترداد الأسبانية تحت راية النصرانية ، وظهر ذلك جليا في حروب الأسبان النصارى للمسلمين في الأندلس التي طفحت بكل صور العداوة والكراهية المتمثلة في نفوسهم للمسلمين (١) .

وفي أواخر عصر الامارة بالأندلس ضعفت سلطة أمراء بني أمية وانقسمت الأندلس الى امارات مستقلة ، وقام الصراع بين هذه الامارات

(١) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ٢٠٩ .

ضد بعضها البعض، وحينما آخر بينها وبين حكومة قرطبة . أما بالنسبة للممالك الأسبانية النصرانية فقد انقسمت ملكة جليقية النصرانية واستقل عنها الباسك والنافازيون وكونوا ملكة نبرة (نافار) ، وظهرت إمارة قطلونية في الشمال الشرقي لأسبانيا النصرانية ، ثم قام الصراع بين هذه الدويلات المسيحية ، واستعان بعضها بالمسلمين في الأندلس ، أما البعض الآخر فقد استعان بالفرنجة في صراعهم ضد بعضهم الآخر . ولقد أدى هذا التشابه في الأوضاع السياسية لكل من الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية في أواخر عصر الإمارة إلى وجود توازن بينهما على الصعيد العسكري والسياسي .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تغيرت الموازين وتبدلت الأمور ومال الميزان والقوة إلى جانب الممالك الأسبانية النصرانية ، حتى وصلت حدودها إلى نهر دويرة ، برغم محاولة الإمارة الأموية القيام لصد هجمات النصارى على الأندلس (١) .

وبعد تولى الأمير عبد الرحمن الناصر وإعلانه للخلافة تحول الميزان السياسي طوال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في جانب دولة الإسلام في الأندلس ، وذلك لعدة أسباب منها : أن دولة الإسلام في الأندلس أصبحت في عصر الخلافة دولة موحدة ، تسيطر على كافة أراضيها حكومة واحدة هي الخلافة الأموية في عهد عبد الرحمن الناصر

(١) على عبد الله القحطاني : الدولة العامية في الأندلس . دراسة سياسية وحضارية ، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٢٢ .

الذي استطاع ان يقضى على الثورات في الأندلس ، ووجد الاراضى
الأندلسية وجعلها تحت حكمه . وقد استمرت وحدة الأندلس وتوحيدها
العسكري على الممالك الأسبانية النصرانية طوال عهد الخلفين عبدالرحمن
الناصر وابنه الحكيم المستنصر ، وما ساعد على ذلك انقطاع ساعد
ملوك الفرنجة لسيحي شمال اسبانيا ، بسبب ما عقد بين أسراء بني أمية
وبين ملوك فرنسا من معاهدات تنص على ألا يتدخل أى منهما فى
شؤون الآخر نظير أن يتخلى المسلمون عن برشلونة . ومن هذه الأسباب
أيضا انقطاع أسراء الثغر الأعلى الأندلسي (١) عن مساعدة نصارى الشمال ،
ما ساعد على ازدياد ضعفهم ، وبالتالي ساعد على قوة الخلافة الأموية
وسيطرتها على الأندلس .

وكانت الخلافة الأموية مطبوعة فى شخص عبدالرحمن الناصر قد نجحت
فى أن تسيطر على أسراء المسلمين ، وقامت على نفوذهم سواء كانوا من
العرب أم البهرا أم العولدين ، بعكس الشمال النصراني الذي كان فيه

(١) الثغر : مفرد ما ثغر وهو كل موضع قريب من ارض العدو يسمى ثغرا ،
كأنه مأخوذ من الثغرة أى الفرجة فى الحائط . وكان يدير مناطق الثغور
ويشرف عليها لبعدها النسبي عن قرابه وقربها من ارض العدو وقبوان
عسكريون تحت امرتهم جيش يلقى عليه جيش الثغر وهم دافعا على أهبة
الاستعداد ان وكلت اليهم مهمة مراقبة تحركات الاعداء وصد جيشهم وكان
فى الأندلس فى عهد الامارة ثلاثة ثغور :-

أ (الثغر الاطلى أو الاقصى ويواجه مدينة برشلونة ومملكة نافار وعاصمته سرقسطة

ب (الثغر الادنى : وكان يواجه منطقة جليقية النصرانية وكانت عاصمته
مدينة بلبوس .

ج (الثغر الاوسط : يواجه مملكة ليون وقشتالة وعاصمته طليطلة .

ولكن فى عصر الخلافة لم يكن يوجد الا ثغران وهما الاطلى والاوسط ،
وللمزيد من المعلومات انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٦ ، ٣٤٢ -

٣٤٣ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ
١٩٧٧ م ، دار صادر ، ج ٣ ، ص

النبلاء بقومون بدور كبير في مساعدة امير غند آخر ، وفي اذ كـ...
 الاضطرابات والفتن ، وخصوصا في سلطنة ليون . وقد تمثلت قوة النبلاء
 في كونت قشتالا الذي استطاع الاستقلال بامارتها ومحاربة ملكتي نبرة
 (ناغار) وليون طوال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . هذه
 الاسباب مجتمعة أدت الى قوة الخلافة الأيوبية وازدهار نفوذها سواء
 في الاندلس أم في دول الشمال النصراني (١) .

وفي شىء من الاجاز نتعرف على أحوال هذه الممالك الاسبانية
 النصرانية في هذه الفترة المعاصرة لموضوع بحثي حتى تتضح لنا
 علاقاتها بالاندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر .

سلطنة ليون :- وتقع في الشمال الغربي بين المحيط ونهر دويرة ،
 وكانت من الممالك القوية التي تولت قيادة اسبانية النصرانية في فـ...
 أراضي المسلمين ، وخصوصا في فترة انقسامهم . وفي بداية القرن
 الرابع الهجري / العاشر الميلادي كانت هذه السلطنة تهدد وجـ...
 الخلافة الاسلامية ، وخاصة بعد ان تولى عرش ليون اردون بن الفونشسي
 الثالث الذي أغار على الثغور الاسلامية وعقد حلفا مع سلطنة نبرة . ولكن
 ما لبث ان توفي ، فاشتعلت الحروب بين ابنائه ، وكانت فرصة عظيمة

(١) رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الاندلس والممالك النصرانية
 منذ عصر الامارة حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه مقدمة
 الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

استغلها عبد الرحمن الناصر في القضاء عليهم . ثم ما لبثت ان عادت الحرب الاهلية بينهم من جديد بسبب تنازل الفونس الرابع ابن اردون لأخيه ردمير الثاني (٣٢٠ - ٣٤٠ هـ / ٩٣٢ - ٩٥١ م) (١) .

وكان ردمير ملكا حاقدا على الاسلام وأهله فقام بمواصلة الحرب ضد الخليفة عبد الرحمن الناصر تعاوناً مع حلفائه في ملكه . وهنا وللأسرة الثانية قام عبد الرحمن الناصر لحربهم ، وانتهت تلك الحرب للأسف بهزيمة المسلمين في موقعة الخندق التي وقعت ضد خندق مدنيّة شنقة (شنت منكش) . وفي سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م خرج عبد الرحمن الناصر لحربهم ، لان تلك الهزيمة لم يكن لها تأثير عليه ، فقد استمر في صراعه مع نصارى الشمال الاسباني حتى انتصر عليهم ، وأبعدهم عن موئدهم . ولقد استمرت الحرب الاهلية في ملكة ليون بسبب قيام كونت قشتالة فرنان جونزالث في عام ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م بحركة انفصالية عن ملكة ليون ، ولكن تلك الحركة منيت بالافاق ووقع الكونت في الأسر ، فقامت في قشتالة ثورة أخرى ضد ملكة ليون ، انتهت بنجاح القشتاليين في فك أسر زعيمهم الذي ارتبط مع ملكة ليون بحقد مصاهرة . ثم توفي ردمير عام ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ، ونشبت الحرب الاهلية مرة أخرى ، واستغل عبد الرحمن الناصر تلك الظروف وأطس عليهم شروطه كما يريد ، خصوصا لأن الحرب كانت قائمة بين ردمير وهمسنا

(١) محمد عبد الله عان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج ٢ ، القسم الاول ، ص ٩٣١ - رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

اردون وشانجه ، وهذا قدم شانجه الى الخليفة عبدالرحمن الناصر
 مع جدته طوطة آسلا في المساعدة لاسترداد عرشه ، اضطرا اردون ابن
 ردميران يطلب الهدنة وان يعقد معاهدة مع الخليفة تعهد له فيها
 بالطاعة والولاء ، وكان ذلك في عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م . ثم تفسرت
 الاحداث بموت اردون وتولى شانجه العرش ونقضه معاهدته مع الناصر .
 كما انتهزت اشارة قشتاله تلك الاهداف ، وطاوت الشوار في ملكة ليون
 طى الخروج طى ملكهم شانجه مما اضطره الى الالتجاء الى الناصر
 مرة أخرى . وقد أدت تطورات الاحداث في ملكة ليون طى هذا
 النحو ان تعلن اشارة قشتاله استقلالها عنها (١) ، وانفصال اشارة قشتاله
 عن ملكة ليون تشجع بعض النبلاء لنيل استقلالهم ، وكان ذلك منذ
 بداية النصف الثاني من القرن ٤ هـ / ١٠ م . ولكن الملك شانجه كان
 لهم بالمرصاد . بعد تلك الاحداث تولى شانجه تاركا طى عرشه
 طفلا لم يتجاوز الخامسة من عمره ، حكم باسم ردمير الثالث (٣٥٤ -
 ٥٣٧ هـ / ٩٦٦ - ٩٨٢ م) تحت وصاية عمه البيرة التي قدست طى الخليفة
 الحكم المستنصر وهذا ما سنفعله فيما بعد .

ونستطيع ان نقول ان ملكة ليون انقسمت بين عدد من النبلاء ،
 مما أدى الى ضياع مكانتها وهيبتها بين الأسبان ، وقد استمر الصراع
 بين الأخوة المتنازعين طى عرش المملكة ، واستمر كذلك تدخل النبلاء

(١) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٣ -
 رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

الى جانب هذا وذاك من الاخوة المتنافسين على عرش المملكة تبارا بالود وثارة بالمصاهرة الاجبارية ، مما أدى الى ان دب الوهن والضعف فى جسم المملكة حتى ان معظم ملوكها لم يحكموا الا بعد خضوعهم لـ خلفاء بنى امية ودفعهم الجزية وتقرهم للخلافة التى أصبحت ذات الكلمة العليا فى شؤون شبه الجزيرة الأيبيرية (١) .

أما ملكة نبرة (ناقار) ، وطاحتها مدينة بعلونة فقد كانت تتمتع بموقع جغرافى ممتاز بسبب قيامها فى منطقة المعابر الجبلية التى كانت تربط اسبانيا بأوروبا ، كما كانت على اتصال بفرنسا وبالبابوية . وفى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر كان فى حكم نبرة شانجة ابن غرسية الأول (٢٩٢ - ٣١٣ هـ / ٩٠٥ - ٩٢٥ م) ، وهو أول من اطلق انه ملك من امراء نبرة ، وبه بدأت ملكة نبرة الحقيقية واليه تنتمى الاسرة الملكية التى ضمت اليها ليون وقشتالة ، وكان ذلك فى الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ولقد تميز وضع ملكة نبرة عن الممالك والامارات الاسبانية الأخرى ، ان تميزت باستقرار الحكم فيها وعدم قيام نبلاتها بالتمرد ضد ملوكها . كما ارتبطت بعلاقات مصاهرة مع كل من ملوك ليون وكونتات قشتالة وامراء بنى قسى المسلمين ، فساعدوا ذلك على الوقوف امام اطماع جيرانها سواء كانوا من المسلمين أم من الأسبان النصارى . ولم يقتصر نشاط شانجة الأول على

(١) Abdurrahman Ali El-Hajji : Andalusian diplomatic relations with western Europe during the Umayyad Period (A. H- 138-366/ A. D. 755-976), Dar Al-Irshad, Beirut, 1970, P. 70.

الهجوم على المناطق الإسلامية فحسب بل كان كثيرا ما يتدخل فسي
أسور ملكة ليون عن طريق مساعدة امير غند آخر ، ووفاته ترك طمس
عرشه طفلا صغيرا يسمى غرسيه (٣١٤ - ٣٥٩ هـ / ٩٢٦ - ٩٦٩ م) قامت
جدته الملكة طوطة بالوصاية عليه كاتبة للملك ، ولقد حاربت هذه
الملكة العنيدة الخلافة ثلاثين عاما ، تحالفت فيها مع ملكة ليمون ،
واشتركت معها ومع امراء النصارى الاسبان الآخرين في هزيمة المسلمين
في معركة الخندق . وقد سبق ان ذكرنا انه بوفاة رديس ملك ليمون
قامت الجرب بين ولديه اردون وشانجه (١) . وقد انتصر اردون في هذه
المعركة ، ثم دعم انتصاره بتحالفه مع عبد الرحمن الناصر ، اما شانجه ففسر
الى جدته طوطة التي دعمت مركزه بالصلح أيضا مع الخليفة عبد الرحمن
الناصر واعادته الى حكم ليون بعد وفاة اردون في عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٦ م .
ولم تنته المشاكل عند هذا الحد بسبب منافسة ابن عمه اردون الرابع
له الذي استطاع بمساعدة القشتاليين طرده ، فعاد مرة أخرى الى
جدته الملكة طوطة . ولما كانت ملكة نبرة لا تستأيع مواجهة ملكة ليون
وقشتالة بفرد ها فقد رأت الملكة طوطة في الخلافة الإسلامية خير منقذ
لها من تلك المشاكل ، فتناست عدايتها وخلافاتها وكراهيتها للمسلمين
وقبرت اللجوء اليها ، وكان عبد الرحمن الناصر آنذاك أقوى رجل في
اسبانيا كلها ، واصطحبت معها شانجه (٢) . ويروى ان شانجه هذا

(١) وكان اردون هذا من أم جليقية وشانجه من أم ناكاره هي ابنة الملكة
طوطة .

(٢) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٣ - رجب
محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢ .

كان رجلا مفرط السعة لدرجة انه كان لا يستطيع ركوب الخيل ، ممسا
 جعل شخصيته ضحكة في نظر شعبه ، وقد أدى ذلك الى فقـدان
 عرشه وتفوق اخيه عليه . وكان عليه لاسترداد مكانته ان يعمل طـوس
 تحقيق أمرين :

(١) علاجه من تلك السعة .

(٢) تكوين جيش يساعد على استرداد عرشه .

ورأى شانجه ان هذين الأمرين لا يمكن تحقيقهما الا في مكان واحد وهذا
 رجل واحد هو الخليفة عبدالرحمن الناصر وخصوصا ان قرطبة كانت
 متقدمة في الطب عن أي بلد آخر (١) . وهكذا استطاعت جدته الملكة
 طوطة ان تقدم له العون فأرسلت مبعوثين للخليفة عبدالرحمن الناصر
 ليوضحا له الأمور . ولقد اشترط الخليفة عليهما تسليم بعض القلاع
 لقرطبة ، ثم تلا ذلك حضور الملكة وابنها وحفيدا في عام ٣٤٧ هـ /
 ٩٥٨ م لوضع المعاهدة في شكلها النهائي ولا تمام علاج شانجه السذي
 كان قد بدأ . في نبرة طوس يد طبيب عبدالرحمن الناصر وهو حسداي
 ابن شبروط . ولقد احتفل لقدومهم وهدت بينهم اتفاقية اتفق بمقتضاها
 على :

(١) تسليم عشرة قلاع طوس الحدود .

(٢) عدم مهاجمة أراضي المسلمين .

(٣) مساعدة شانجه على استرداد عرشه .

وهكذا تمت المعاهدة واستطاع شانجه استرداد عرشه ، وكان ذلك في عام ٣٤٩ هـ بمساعدة الرجل الأول والسيد الطاع في اسبانيا كلها عبد الرحمن الناصر (١) .

امارة قشتالة : وكانت قشتالة ولاية من ولايات ملكة ليون ، وكانت تقع بين ملكة نبرة وملكة ليون والثغور الاسلامية من ناحية الجنوب ، وبواجهتها من الثغور الاسلامية قلعة ايوب ، ومدينة سالم ، والثغور الأوسط ، وكانت بسبب موقعها المتوسط معبرا للجنود الاندلسيين في عصرى الامارة والخلافة عند مهاجمتهم لملكة ليون أو نبرة . ولقد سميت قشتالة في الروايات الاسلامية بمنطقة البية والقلاع بسبب وجود العديد من الكبر من القلاع فيها (Casteles) التي انشأها القشتاليون لمصد الهجمات عليهم ، ومنها جاء اسم المنطقة نفسها ، فسميت بمنطقة قشتالة (Castilia) . وظهرت أهمية قشتالة نتيجة لتوسع ملكية ليون جنوبا وشرقا في عهد الملك الفونس الثالث الذي وصل بجذود ملكه الى نهر دويرة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وقامت امارة قشتالة على اتباع اسلوب المصاهرة مع كل من نبرة وليون لكن تضمن لها حليفا اذا ما احتدى عليها أحد الطرفين . كما تمسرت

قشتاله بمميزات لم تتوفر في ملكتي ليون ونبرة ، فكان الحكم فيها وراثيا لا يتخلله صراع ، وقد رأس امارة قشتالة مؤسسها فرنان جونزالس الذي قاد الصراع مع ملكتي ليون ونبرة حتى احصره القشتاليون بـطـسـلا قومييا وخلصوا اسمه في اشعارهم وأساطيرهم . وكانت بداية المشاكل بين ملكة ليون وقشتالة عندما قام الملك الفونش الثالث ملك ليون بتوزيع ملكته بين ابناؤه الثلاثة في عام ٢٩٦ هـ / ٩١٠ م ، وضم قشتالة الى أحد أبنائه بفرض كسر شوكة القشتاليين ، ولم يكف بذلك بل قسم باعداد كثير من نبلائهم وزعمائهم . ولقد صحت قشتالة على مضر حتى استطاع زعمائها فرنان جونزالس ان يستغل الاوضاع السيئة التي تمر بها ملكة ليون ، فعمل على توحيد قشتالة عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م وجعلها امارة مستقلة بحدودها وكيانها . وبعد انتهاء الحروب الأهلية الليونية بقي رد مير الثالث امام امير قشتالة ، فلم يجد سواه ليتحالف معه ضد هجمات المسلمين في الاندلس . ولقد كان هذا هو الوضع السائد حينما تولى الخليفة عبد الرحمن الناصر الحكم ، فوجد نفسه امام حلف قوى يجمع بين ملكتي ليون وقشتالة اللتين تناسبتا احقادهما ، وقررتا حرب المسلمين . واستغل هذا الحلف فترة انشغال عبد الرحمن الناصر في توطيد امور دولته ، فاحتل بعض اراضي المسلمين ، وقام بمهاجمة الشنفر الأعلى سرقسطة ، فقرر عبد الرحمن الناصر الخروج لحرب الليونيين والقشتاليين فلحقهم دروسا قاسية ، ان هاجم بلادهم وهبدم حصونهم واستعاد منهم كثيرا من بلاد المسلمين (١) .

(١) احمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٩١٠ - رجب محمد

عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - Abdurrahman Ali

El-hajji: Op. Cit., P. 70.

وهكذا نرى ان الأوضاع الداخلية السيئة التي كانت تمر بها الممالك
 الأسبانية النصرانية في شمال اسبانيا كانت تساعد خلفاء بني أمية
 في الاندلس على القيام بدورهم على أتم وجه . هذه هي صورة مختصرة
 عن العلاقات بين هذه الممالك الأسبانية النصرانية والاندلس قبيل عهد
 الخليفة الحكم المستنصر .

(٢) علاقات الحكم المستنصر بالممالك الاسبانية النصرانية

أ - جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة ليون ، ومملكة نبرة ، وإمارة قشتالة :

عرفنا كيف ان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد اعان الملك شانجه ملك ليون وابن اردون الثاني على استرداد عرشه مقابل تسليم عدة حصون استراتيجية على الحدود للخليفة . ولكن بوفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وتولى ابنه الحكم المستنصر ظن شانجه ان الظروف قد تغيرت ، والاحوال قد تبدلت وانه أصبح في حل من العهود التي قطعها على نفسه ، وأن له الحرية في الخروج على المسلمين ، فأخذ يماطل في تسليم الحصون اعتقاداً منه ان الخليفة الجديد ربما يكون رجلاً ضعيفاً ليس له في أمور الحرب والفروخبرة . وبينما كان شانجه يعتقد العزم على نقض ما قام به والخدرة على ما أوتى عليه ، وفسد على الخليفة الحكم المستنصر اردون الرابع ملك المخلوع الذي كان قد خلعه أبوه عبد الرحمن الناصر ليثبت حكم شانجه (١) .

وكان اردون الرابع قد لجأ الى الحكم المستنصر ليعاونه على استرداد عرشه خصوصاً بعد ان ظم بنية شانجه على الخدرة وعدم تسليم

(١) محمد عبد الله غان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ٤٨٤ - أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والاندلس ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٢٣٤ - Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 76-77.

الحصون ، وانه بدأ في الاستعداد لحرب المسلمين ، حيث تحالف مع ملكة نبرة ، وامارة قشتالة (١) . اما عن التجاء اردون الى الحكم المستنصر فيروى لنا ابن عذارى عن احداث سنة ٣٥١ هـ [وفد على المستنصر بالله اردون بن اذفونش الاحدب من ملوك الجلالقة المنازع لابن عمه شانجه بن ردمير سابقه التي ولاية ملكهم فبالغ في اكرامه في خبر طويل وكان للفصحاء في ذلك مقامات واشعار يطول الكتاب بذكرها . فمن قول عبد الملك بن سعيد في قصيدة :

مَلَكُ الْخِلَافَةِ اَيَّةُ الْاَقْبَالِ	وَسَعْدُ ، مَوْضُوءٌ بِتَوَالِيهِ
فَالسَّلْمُونَ بِعِزِّهِ وَبِرَفْعِهِ	وَالشُّرُكُونَ بِذِلَّةٍ وَسَفَالِ
الْقَتِّ بِأَيْدِيهَا الْاَعْجَمُ نَحْوَهُ	مَتَوَقِّعِينَ لَصَوْلَةِ الرَّثْبَالِ
هَذَا امِيرُهُمْ اَتَاهُ آخِذًا	مِنْهُ اَوْاصِرُ نَمَةٍ وَحِبَالِ [(٢)

وتفيض الرواية الاسلامية في مقدم اردون ومشولة بين يدي الخليفة الحكم المستنصر وطريقة استقباله له ، فيقول المقرئ [فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به ، فاحتفل لقدمه وعسى العساكر ليوم وفادته ، وكان يوما مشهودا ، وصفه ابن حيان كما وصف ايام الوفادات قبله . ووصل الى الحكم واجلسه ووعد بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦ - ابن عذارى : البيان المغرب ،

ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

ملقيا بنفسه (١) ، وعاقده على سؤالات الاسلام وقاطعة فردلند القوميس ،
واعطى على ذلك صفقة يمينه ، ورهن ولده غرسيه ودفع الملات والحملان
له ولأصحابه ، وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة
عند رعيته ويقبضوا رهنه [(٢)] .

لوثنا بتعمن ، وحللنا ما فعله اردون مع عبد الرحمن الناصر ثم مع
ابنه الحكم المستنصر لأدركنا ان اردون لم يفد على الحكم المستنصر
الا لعلمه بقوته وقدرته على أن يكبح جماح شانه خصوصا ان اردون أصبح
فى مركز الضعف ، فلجأ الى الاسلوب الأكثر نفعا فتهزأ فرصة الخروج
شانه على العهد ليتقرب وليحظى بمساعدة الخليفة بدلا من حربه
والخروج عليه . وبالفعل ففى نهاية شهر صفر من عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م
وصل الى قرطبة اردون واستقبله الخليفة كما ذكرنا استقبالا فخما ، وعبر
عن مجده ورغبته فى الاتحاد مع المسلمين وتقوية روابط المحبة والصداقة
معه ومساعدته على استرداد عرشه ، وعهد ان اطمأن على تحقيق
أغراضه عاد من حيث أتى محاطا بالحفاوة والترحيب محملا بالهدايا
التي أمر بها الخليفة بعد ان ألقى عليه شرواه وهى :-

(١) ان يضع نفسه ولاده تحت رعاية الخليفة الحكم المستنصر .

(٢) ان يقدم ولده غرسيه رهينه لوفائه (٣) .

ولقد نجحت خطة الخليفة الحكم المستنصر وسياسته فى تخويف شانه بعد

(١) ملقيا بنفسه : أى ستنجدا به طالبا عونه .

(٢) المقرئ : نفع الطبيب ، ص ٣٦٠ وللزيد من المعلومات ارجع الى نفس
الطبيب ص ٣٦٥ - ٣٧١ .

(٣) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 77-78.

سماعه بسفارة اردون ، فقام بارسال سفارة هو الآخر الى الخليفة . وعن هذه السفارة يقول ابن عذارى : [وصل قرطاية ارسال شانجه بن رد مير منازع الطاغية اردون ابن عمه ملك الجلالقة ومعهم عبد الرحمن بن جحساف قاضى بلنسية وايوب بن الطويل وغيرهما ، فتوصلوا اليهم الى الحكم المستنصر فى ربيع الآخر ، ووصلوا كتاب شانجه بن رد مير بجواب ماخطب فيه ويحثه على عقد ها على نفسه وجميع أهل ملكته لأمر المؤمنين المستنصر بالله] (١) . وبعد تلك السفارة حدث ما لم يكن فى الحساب ان توفى اردون فى نهاية عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م وعاد شانجه لتكسره لوعوده مرة أخرى بعد ان تددت مخاوفه . وبعد تلك الاحداث شعر الاسراة النصارى الاسبان انه لا بد لهم من التكتل والتحالف سوريا والقيام فى جبهة واحدة ونسيان شاكلهم وحروبهم خصوصا بعد أن أصبح شانجه أقوى شخصية بين ملوك وأسراة الاسبان (٢) . وكان شانجه ممن أكبر المحسنين للقيام بدور صليبي ليعزز موقفه وليرحمى زعامته بريقا وجاذبية فى العالم المسيحى بأجمع ، لذلك عزم على عقد محالفات مع الاسراة النصارى وبدأ يعقد حلف مع قومين قشتالة وملاك نبرة وقوميين برشلونة وآخرين غيرهم . وامام هذا التحدى الطاهر قرر الخليفة الحكم المستنصر الخروج وعلان الحرب ضده بعد ان شاهد بنفسه نكته وتحالفه

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ - وانظر فى هذا المدد المقربى : نفح الطيب ، ص ٣٦ - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٥ .
(٢) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٢ .

مع الاسراء الاسبان النصرى (١) . وفى خلال تلك الاحداث خرجت اسارة
 قشتاله على ملكة ليون تطالب باستقلالها بزعامه فرنان جونزالث السندى
 خرج على شانجه ، واطن استقلال بلاده ، ونصب نفسه زعيما عليهم
 واخذ فى الاغارة على اراضى المسلمين المجاورة له وانضم اليه كثير من
 الاسراء المتعصبين الكارهين للمسلمين . وبعد هذا المدوان الصاخ
 هاجم المسلمون قشتاله ، فغمرت قشتاله نسيان خلافاتها والوقوف صفيا
 واحدا مع ملكة ليون بزعامه شانجه ، وانضم اليها غرسيه ملك نبرة
 (ناكار) وكونت برشلونه ، وبذلك أصبح المسلمون امام كتلة قوية تضم
 النصرى بأجمعهم فى حلف واحد (٢) . وازاء هذا التحالف قرر الحكم
 المستنصر اعلان الجهاد ، وبدأ الاستعداد للخروج لقتالهم عام ٣٥٢ هـ /
 ٩٦٣ م ، واجتمعت جيوشه ورجاله فى البالية ، وكانت اول غزوة لـه
 هى غزوة شنت استبن (Sante Steban) على نهر دويره ، فحاصر
 المسلمون قلعتها واستولوا عليها (٣) . وبعد ذلك حاول فرنان جونزالث
 كونت قشتاله ان يقف جاهدا فى وجه المسلمين ولكنه لم يستطع ، فاجتاح
 المسلمون أرضه ومزقوا قواته كل ممزق حتى اضطر للخضوع والى الملوك
 بنفسه فصالحوه ، ولكنه كان ملحا وقتيا لأنه لم يلبث ان نكث كعادته
 الأسبان النصرى فى الغدر وعدم الوفاء بالعهود ، فقام وهاجم المسلمين
 مرة أخرى . وكانت معاهدات السلام مع ملوك واسراء النصرى الاسبان

(١) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا والفتح حتى سقوط الخلافة ،

بيروت ، ١٩٨٠ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٧٢ .

(٢) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ .

(٣) ابن هزاري : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

سرعان ما تنقض بسبب عدم احترام هؤلاء لهذه المعاهدات (١) . ولذلك
 ما لبثت الحرب ان استعرت مرة أخرى وشن المسلمون سلسلة من الهجمات
 على قشتالة في السنوات التالية (٢) . ولم يكف المسلمون وعلى رأسهم
 الخليفة الحكم المستنصر بما أحرزوه من نصر وانفخر على أعداء الاسلام
 النصارى بل نراهم يهاجمون بلادهم مرة أخرى ، واستباحوا ان يستولوا
 على بلدة انتيسة الحصينة . . وارسل الخليفة جيشا كبيرا بقيادة يحيى
 ابن محمد التجيبي حاكم سرفسطة في اتجاه نبرة ، وكان ملكا غريسيه
 قد أغار على أراضي المسلمين ناكثا لعهد ، مع المسلمين ، فخرج خليفه
 وموئده شانه ملك ليون ليمد له يد العون ضد المسلمين ، فنشب
 بين الفريقين معركة هزم فيها النصارى ، وتحصنوا بالجبال ، وانتصر
 المسلمون انتصارا باهرا حتى عادت فتوحات الحكم المستنصر وقواد الثغور
 في كل ناحية ، وقد أصبحوا ينتقلون من ثغر الى ثغر ومن نصر الى
 نصر . وكان من أعظم الفتوحات أيضا في ملكته فتح مدينة قلمرية
 أو (قلمريه) (٣) من بلاد البشكنس وقد تم فتحها على يد القائد غالب
 مولى الحكم المستنصر ، ودخلها المسلمون وأمر الحكم المستنصر بتعميرها

(١) محمد عبدالله طان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ - ابراهيم
 بيشون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣١١ .

(٢) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 79-80.

(٣) قلمريه : بالميم بلد بالاندلس من بلاد البرتغال ، بينها وبين قوره أربعة
 ايام وهي تقع على جبل مستدير ولها سور حصين .
 (الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦٤) .

وتحصينها وشحنها بالرجال والعدد ، وصار فتحها فتحاً عظيماً (١) . ثم
كان فتح قادشيه أو (قطلونية) (٢) على يد القائد وشقه ، ولقد حقق
المسلمون في هذا الفتح نصراً عظيماً ، وضموا غنائم كثيرة من الأموال
والسلاح والاقوات والأثاث ومن البهائم والغنم والبقرة والرمك (٣) (الفرس)
وكذلك أنواع عديدة من الأطعمة أما السبي فقد غنموا منه عدداً لا يحصى .

وفي سنة ٣٥٤ هـ سار القائد غالب مع القائد يحيى النجيبى ، وقاسم
ابن ذى النون وتوجهوا إلى بلاد البه لفتحها . ولقد دخلها المسلمون
وفتحوها واستولوا على أعظم ما فيها وهو حصنها المعروف بحصن فرماج ،
وضموه إلى حوزتهم . وكان للتفوق الحرس لجيش الحكم المستنصر اعظم
الأثر في إعادة الأمن والاستقرار إلى ثغور الاندلس وأطرافها ، وهيباً
لدولة الاسلام في الاندلس التفوق على الممالك والامارات الاسبانية
النصرانية (٤) .

-
- (١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٥ .
(١) قطلونية : هذه البلاد قائمة بذاتها من قديم الدهر ، وكثيراً ما كانت
مستقلة عن اسبانيا اما حدودها فهي تقع بين جبال البرانس من الشمال ،
وبلاد ارغون من الغرب ، وولاية بلنسية من الجنوب والبحر المتوسط من
الشرق .
(٢) شكيب ارسلان : الحلل الهندسية في الاخبار والآثار الاندلسية ، بيروت ،
دار مكتبة الحياة ، المجلد الثاني ، ص ١٩٩ .
(٣) الرمك : الفرس أو البرذونه تتخذ للنسل وجمعه رمك ورمك .
(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤٥ - المقرئ : المصدر السابق ،
ص ٣٥٩ .

ب - عهد السلام بين الحكم المستنصر وملكوك
واسرا* الاسبان النصارى :

بلغت هيئة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بين ملكوك الاسبان النصارى وامرائهم بعد الحروب والمعارك التى دارت رحاها بين الطرفين شأننا كبيرا لدرجة انهم أصبحوا حريصين كل الحرص على اكتساب مودتهما باكثر ارسال الرسل اليهما فى قرطبة لعقد معاهدات الصداقة معهما (١) كما كانت الوفود الاسبانية النصرانية تسعى لنيل رضى دولة الخلافة فى الاندلس ، وعلى رأس تلك الوفود وفد ملكة ليون طالبا من الخليفة الحكم المستنصر العمون المادى والعسكرى والتأييد السياسى واستمرار الاتفاقيات التى أبرمت معه . كما عقدت معاهدة سلام بين الحكم المستنصر واردون بن اذفونشش ليون ، وبناء على هذه المعاهدة بعث اردون ابن عمه شانجه بن ردمير الى الخليفة ليعلم له طاعته وطاعة اهالى جليقيه وسجوره (٢) ، ورغبتهم جميعا فى قبول وفادتهم واستمرار وبقا* العهد كما كانت فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فتقبل الحكم المستنصر طلبهم ، ولكن بعد ان اطمى عليهم شروط المسلمين وهى ان تهدم الابراج والحصون القريبة من ثغور المسلمين حتى لا تشكل أى خطر عليهم . ثم استقبل الحكم المستنصر بعد ذلك رسولى ملك

(١) Abdurrahman Ali El-hajji : Op. Cit., P. 81

(٢) وهى دار ملكة الجلالقة ، تقع على ضفة نهر كبير ، وهى مدينة جليقية وقاعدة من قواعد الروم .

(الحميرى : المصدر السابق ، ص ٩٨) .

برشلونه وطركونه ، وقد صحبهم قوم من الفرنجة راغبين في تجديد عهد
المسيحية واقرارهم على ماكانوا عليه من حسن الجوار ، وحاملين معهم
هدية للحكم المستنصر حرصا منهم على التقرب والتودد اليه . وكانت
هذه الهدية مكونة من :-

- (١) عشرين صبا من الصقالبة .
 - (٢) عشرين قنطارا من الصوف السمور .
 - (٣) خمسة قناطير من القصدير .
 - (٤) عشرة ادرع صقلية ومائتي سيف افرنجية .
- ولقد قبل الحكم المستنصر هديتهم تلك ولكن بشروط هي :-

- (١) ان يهدموا الحصون التي بالقرب من ثغور المسلمين .
- (٢) ان لا يظاهروا عليه أهل ملتهم .
- (٣) ان يغبروه بما يكون من النصارى في الخروج على المسلمين (١) .

هكذا كان الخليفة المسلم يلقى شروطه وهو في موقف القوى على
هؤلاء النصارى الاسبان مراعيًا فيها مصلحة المسلمين . ثم توالى الوفود
بعد ذلك على الحكم المستنصر فوصلت رسل غرسية بن شاذي ملك نسيبة
في جماعة من الاساقفة والقواميس يسألون تجديد الصلح معهم ، بعهد
ان كان الحكم المستنصر قد توقف عن موافتهم ، ثم وافقهم فرجعوا الى
بلادهم مسرورين (٢) .

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٦١ - ابن خلدون : المصدر السابق ،
ج ٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤٥ - المقرئ : المصدر السابق ،
ص ٣٦١ .

وهكذا أصبحت قرطبة في عهد الحكم المستنصر مركزا للتوجيه
والاشعاع في شبه جزيرة ايبيريا ، وغدت مقصدا لملوك اسبانيا
النصرانية ، يغدون اليها ، ويقدمون لها عنود الطاعة والسلا ،
ويلتصون منها العون والقوة ، وذلك منذ عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م (١) .

وهنا لنا وقفة صغيرة ، فعند ذكر وفود النصارى القادمين طس
الحكم المستنصر يستحسن أن نقف قليلا لنرى ما وقع من تغيرات فس
الممالك الاسبانية النصرانية بسوت بعضهم وتولى بعضهم الآخر . فقد
توفى شاذة سوما سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م ، وخلفه على العرش الأفضل
رد سير الثالث الذى كان تحت وصاية عمه البيرة . وكان من نتيجة تولى
هذا الطفل الصغير ان طمع كثير من النبلاء فى ملكة ليون لتحقيق
استقلالهم الشخصى ومطامعهم الذاتية . ثم توفى الكونت فرنان جونثالث
أمير قشتالة سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م وخلفه ولده غرسيه . وكان تأثير هذه
الاحداث على اسبانيا المسيحية عظيما جدا فقد شجعت هذه الاحداث
على قيام كثير من الامارات الاسبانية المستقلة ، مما أدى الى اتساع
الخلافات بين الامراء الاسبان النصارى ، وكثرت المشاكل فيما بينهم ،
مما أدى الى تفرقهم شيئا واحزابا . وكانت الحالة بعكس ذلك فس
قرطبة التى استمرت فى تقدمها ونهضتها حتى أصبحت منبعا للعلم
ومركزا لوفود السفارات السياسية التى تسعى اليها طالبيه ودعا وداقتها (٢)

(١) محمد عبد الله خان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .

(٢) Abdurrahman Ali El-Hajji: Op.Cit., P. 79 - 80 — محمد

عبد الله خان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

ولقد أدت هذه الخلافات القائمة بين ملوك وامراة اسبانيا النصرانية
الى توالى وفودهم على الخليفة الحكم المستنصر ، فقد وفدت عليه
وفود امير جليقية ، وأسير اشتوريش ، وملك نبرة شانجه بن غرسية ،
يسألون الصلح فأجابهم الخليفة الى طلبهم . ثم وفدت رسل أمير
برشلونة (١) الكونت بورييل شونير Berrell Sunier لتجديد المصودة
والصداقة ومعهم ثلاثون أسيرا من أسرى جمعهم في قاعدته وأطراف
دولته من الذكور والاناث لعلمه بأن خليفة المسلمين يسره رجوعهم الى
مواطنهم وعودتهم الى أهاليهم . ويقص طينا ابن حيان كيف ان أمير
المؤمنين استقبل تلك الوفادة أعظم استقبال ، وكيف تم اللقاء الحافل
بينهم ، وانتهوا منه الى نتائج هامة كانت كالتالى :-

(١) معاونتهم ورغبتهم في طلب السلام واتمام معاهدة المداقصة
مع الحكم المستنصر .

(٢) عزم الخليفة الحكم المستنصر على مساعدتهم في حالة احتياجهم
له على ان يطلب منهم مساعدته في حالة احتياجهم لهم .

(٣) سيطرته على القلاع التى تعتبر خطرا على الحدود الاسلامية .

(٤) الامتناع عن مساعدة جماعاتهم الدينية .

(٥) ان يحذروا المسلمين من أى اطماع أو هجوم أو أى خطة تحاك
ضدهم .

(١) وهى مدينة للسروم بينها وبين طركونه خمسون ميلا تقع على البحر .
(الحسيرى : المصدر السابق ، ص ٤٢) .

وهكذا اتفق الحكم المستنصر مع مبعوث حاكم برشلونة الذي كان
 يصحبه مجموعة من الفرسان ، كما كان بصحبته رسول غيتار Guitardo
 وغيتار هذا يبدو انه حاكم مدينة برشلونة ، اما بوريل فكان حاكما لامارة
 تعتبر برشلونة عاصمة لها . وقد احضر هؤلاء معهم الهدايا الكثيرة
 لأمير المؤمنين لأن هدفهم كان هو عقد معاهدة سلام وصداقة بين امارة
 برشلونة وقرطبة ، فاستجاب أمير المؤمنين لطلبهم واستقبلهم أحسن استقبال ،
 وانزلهم في منية نصر (١) ، وودعهم بأحسن ما استقبلوا به (٢) . ولقد أبدع
 الشعراء في وصف ذلك الاستقبال البهيج من تزييف وتقرب رسل النصارى
 الى الخليفة الحكم المستنصر لنيل رضاه ، فقال احمد بن ابراهيم الخازن
 بالزهراء في شعر طويل :

ليهنك أن لم يبق في الأرض ناكثٌ
 ولا مشركٌ إلا أتاك بلا عهدٍ
 فهذا ابن شيخ وهو طاغية لهم
 رأى الرشيد في التحكيم والأمن في القصد
 والقت يدا افرنجة وعيد هـ
 ولولا يدُ اللقاء جاعك في قـ
 وهذا لمن في الشرق والغرب مؤذن
 كما ان خطف البرق يؤذن بالرعـد (٣)

(١) مكان يقع خارج قرطبة على نهر الوادي الكبير، بناها الأمير عبد الله بن محمد
 في موضع جميل .

(الحميري : الروض المعطار : ص ١٨٧) .

(٢) ابن حيان : المقتبس : ص ٢٠ - ٢٢ -

Abdurrahman Ali El-Hajji: Op. Cit., P. 81-81 -

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

وفى السادس من ذى الحجة من عام ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م وفدت الراهبة
الجيرة عمة ملك ليون ردمير الثالث والوصية عليه والتي يسميها العرب
(حلويره) ، بنت الملك ردمير وحاضنة الملك الجديد ردمير بن شانجسة
صاحب جليقية ، فاستقبلها الحكم المستنصر أعظم استقبال ، واحتفل
بقدومها فى الزهراء احتفالا جليلاً ، وأمر بأن تحمل على بغلة فارهسة
بسرج ولجام مثقلين بالذهب وطحفه بديهاج (١) .

وهكذا بالغ الخليفة الحكم المستنصر فى اكرام هذه الوفادات والحفاوة
بها رغم ان جميع تلك الوفادات كان أصحابها أعداء قدما للخلافة
الاسلامية منذ عهد ابيه عبد الرحمن الناصر ، وكان بإمكانه ان يناصرهم
العداء ويرفض سفاراتهم ، الا انه لم يتصرف معهم الا بالتصرف اللائق
بمن كان فى خلقه وورعه وتقواه .

واستمرت الوفادات تفد عليه ، فوصل اسنة بن غرسية بن شانجسة
الذى كان رهينة عند اخيه شانجسة بن غرسية صاحب بجلونه Pamplona
ثم وصل خميس بن ابوسليط صاحب قشتيلة ، كما وصل ديدقة بن شبريط .
وصحب هؤلاء النصارى بعض من القضاء والاساقفة الذين قاموا بالترجمة
بينهم وبين الخليفة ، وقد استقبلهم جميعا بالاكرام ، وقيل وفادتهم
ورد هم الى بلادهم مكرمين (٢) . ولم تقتصر تلك الوفادات على الممالك

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ - المقرئ : المصدر السابق ،
ص ٣٦١ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

الاسبانية النصرانية بل هناك وفادات أخرى جاءت اليه تجديدا للعهد
واكتسابا للمودة والصداقة . ومن أهم هذه الوفادات تلك التي وصلت
من قسطنطين السابع امبراطور الروم ، ومن اوتو الثاني امبراطور المانيا
الذي كان قد خلف ابيه اوتو الأول بجدد علاقة المودة والصداقة التي
بدأت بينه وبين أبيه عبد الرحمن الناصر . فتلقى الحكم المستنصر رسول
كل منهما كمادته بالحفاوة والترحيب (١) .

وهذه السفارات انما تدل على ما وصلت اليه الخلافة الاسلامية في
الاندلس في عهد الحكم المستنصر من قوة وعظمة وذى يوقع في الصيت ،
ان استطاعت الاندلس في عهده ان تبسط سيادتها على معظم انحاء
اسبانيا ، كما ضمنت وكفلت الاستقرار والسكينة لها ولتلك الاسسارات
الاسبانية النصرانية الفادرة .

ولم تكن عهد السلام التي عقدتها الحكم المستنصر مع ملوك واسرا
الاسبان النصراني تجعله يأمنهم ، لأن نقضهم للعهد اذا ما اتسبوا
في أنفسهم القوة امر تعود عليه امراء وخلفاء الاندلس ، ولأنه وهو
بما جبل عليه من تمسك بالدين ومعرفة بطوائف هؤلاء الامراء لم يكسب
ليأمن الا من تبع ملته ودينه . فلم يعقد الحكم المستنصر تلك المعاهدات
ويستقبل أولئك الرسل الا حقنا لدماء المسلمين وتنفيذا للشرعة الاسلامية
التي تنهى عن الجنوح للسلم ان جنح العدو له ، كما قال تعالى :
:

(١) محمد عبدالله خان : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ - ٤٩١ .

وَأَنْ يَجْتَنُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْنَحَ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ (١) .

ولكن الخليفة المسلم الحكم المستنصر استطاع بواسطة العبيــون
والجواسيس الذين بثهم لمراقبة هؤلاء النصارى ان يتتبع حركاتهم
وان يتصرف فى الوقت المناسب على استعدادتهم لشن حرب جديدة
عليه وهزمهم على ان ينقضوا ما أبرموه معه من عهود وعقود ، فيبادر بشن
الحرب عليهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

جـ - نقض ملوك وامراة الاسبان النصارى عهود السلام
وعودتهم الى شن الغارات على الاراضى الاسلامية :-

بعد رحيل تلك الوفود التى قدمت على الخليفة المستنصر ، وحينما
كان الخليفة يعد للأمر عدته للحرب مع الفاطميين فى بلاد المغرب ،
استغل النصارى ذلك الوقت وتلك الفرصة للخروج والتمرد عليه . ولكن
الحكم المستنصر استطاع برغم انشغاله ان يعد للأمر عدته لقتالهم
وتأديبهم . فلهؤلاء النصارى وان اختلفت أوطانهم أمة واحدة ، نشأت
على الفدر ، ونبتت على نقض العهود والخنوع والخضوع للقوى ، حتى
اذا ما حانت أى بادرة ضعف أو انشغال استغلوها من فورهم لصالحهم
وأغراضهم .

وفى عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٤ م قام غرسيه بن فرنان جونثالث صاحب

قشتالة بالاغارة على أراضي المسلمين ، واقتحم بجيشه ديارهم ، ودخل
 حصن دسة الواقع شمال شرق مدينة سالم ، وقام باحراق المزروعات
 والاستيلاء على المواشي . ولكن المسلمين القريبون من تلك المناطق
 ردوهم ، واستردوا بعض ما استولوا عليه ، وكان هذا الاتحاد الأثم
 قد تم والوفود النصرانية لم تنزل في طريق عودتها الى ديارهم .
 حينذاك أدرك المستنصر خطة النصارى وبكرهم في كسب الوقت والخروج
 والتآمر عليه ، فأمر بالقاء القبض على الرسل والنزج بهم في السجون
 معاقبة لهم على عدوان ملوكهم وأمرائهم . وهذا أحسن المستنصر
 بتأهب الاسبان النصارى واستعدادهم للعدوان بعث في طلب أكابر
 رجال دولته لحشهم على الاستعداد والتعبئة لعلان الجهاد ضد
 المعتدين الغادرين ، فقدم اليه يحيى بن عبد الله بن يحيى فبعث به
 الى كسور الجوف ، ثم وفد اليه امير البهر عبد الرحمن بن رماح فبعث
 به الى كور الشرق ، وبعث باحمد بن محمد بن سعد الجعفرى الى كور
 الغرب ، بعد ان أوصاهم ، وأغدى عليهم النج ، واکرمهم وبالغ في
 الحفاوة بهم ، لما كان من عظيم شأنهم في رد العدوان والذود عن
 الأوطان (١) .

وفي النصف من رجب من سنة ٣٦٤ هـ يقول ابن حبان : [توالست
 الأخبار باحتلال جيش العدو من الشرکین أهلکهم الله في جمع كثير
 من الجلائقة والبشکس من أهل قشتالة ونبيلونة - دمرها الله - بخصم

(١) ابن حبان : المقتبس ، ص ٢١٨ .

(١) غراماج من شطاط مدينة سالم واحاطتهم غادرهم بذمتهم ناقضين لعهدهم
 وبعد ذلك احاط المسلمون بهم ، واستطاعوا ان يستولوا على مافى
 أيديهم . وكان من نتيجة ذلك ان نشبت بين حاميه المسلمين والنصارى
 حرب عنيفة ، وكان للامدادات السريعة التى وافقت المسلمين أثرها ففسى
 شد أزهرهم وتقوية عزيمتهم ، فلم يلبث الحكم المستنصر ان ارسل احمالا
 من المال بعثها مع الوزير القائد الأطفى غالب بن عبد الرحمن وأمسده
 بالعدو والعتاد ، وارسله الى اعداء الله ، واستمر حصار النصارى
 للحصن حتى شهر شوال . كما أمد النصارى بعضهم بعضا بالامدادات ،
 فوصل المدد من مملكة ليون ، ارسلته الراهبة البيرة . وهاجم النصارى
 المسلمين دفعة واحدة ، وكانوا حوالى ستين الفا ، ونشبت بين الطرفين
 معركة حامية انتهت ولله الحمد بهزيمة النصارى وفقدانهم لمعظم
 ما يملكون ، فقد انتصر المسلمون انتصارا باهرا وضموا فيه الغنائم العظيمة
 وامتلكوا اراضى النصارى (١) .

وهكذا اذن الله لجنوده بالنصر ان هم اطاعوه ونصروه ، فكان نصرا
 مهيئا لم يرجع النصارى بعده الى النكث ففى عهد الحكم المستنصر
 ولقد تنبه المسلمون بعد تلك المعارك والهجمات المفاجئة من جانب
 الاسبان النصارى الى ضرورة الاستعداد الدائم وتحصين الثغور والحصون
 بكل ما تحتاجه من عدة وحاد .

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢١٨ - ٢٢٢ .

وهكذا انتهت الحرب بنصر المسلمين واکرام القواد الذين استسلموا
 في الذود عن أراضى المسلمين ومن أرواحهم . وصدق الله العظيم
 الذى قال : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١)

(١) سورة آل عمران : آية ٢٠٠ .

(٣٠) جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان

أ - النورمان وغاراتهم على الاندلس قبل عهد الحكم المستنصر :

ان الباحث في موضوع غارات النورمان على الاندلس يجد ان هؤلاء الاقوام قد ذكروا بعدة اسماء منها : النورمان ، الأردمانيون ، الفيكيج ، المجوس . فلفظ النورمان من المرجح ان يكون مخرفا من لفظ Northmen أى سكان الشمال ، وكذلك لفظ الأردمانيين بمعنى الشماليين ، فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Nordmanni وهذا اللفظ مخرف من لفظ النورد مانين وفقا لعادة الاندلسيين في قلب النون الى همزة ، مثل أريونة ونربونة (١) .

ومن الجدير بالذكر ان العرب قد عرفوهم بهذا الاسم ، وغامر شاهد على ذلك ما جاء في اشعارهم عندما أغار هؤلاء الاقوام على الاندلس ، فوجد الشاعر الاندلسي عثمان بن المثنى يقول :-

يقولون ان الأردمانيين اقبلسوا فقلت اذا جاءوا بعثا لهم نصرا (٢)

وقد اطلق عليهم اسم الفيكيج (Vikings) بمعنى سكان الخلجان التى تتأربها شواطىء الجهات الشمالية الغربية من أوروبا (٣) .

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٥٢ .

(٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقي غميسف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

أما عن سبب تسمية العرب لهم مجوساً أى عبدة النار فلأنهم كانوا يشعلون النار فى الأماكن التى ينزلون بها ، فظن العرب أنهم من عبدة النار (١) ، ومن المرجح أن هؤلاء الأقوام كانوا يعبدون النار قبل اعتناقهم النصرانية والدخول فيها (٢) .

وينتسب النورمان من الناحية الجنسية الى الجنس الآرى ، وينقسمون الى ثلاث مجموعات : السويدون ، النرويجيون ، والدانمركيون . وموطنهم الأول شبه جزيرة اسكديناوة وشبه جزيرة جوتلند وما يجاورها من الجزر (٣) ، وهناك من يقول انهم من شواطئ ألمانيا الشمالية (٤) .

وبالنسبة لمعتقدهم الدينى فقد كانوا قبل اعتناقهم النصرانية وثنيين ، ومن آلهتهم (ادون) رمز الحرب والملاحم ، وكانوا مولعين بالحروب والخمور والنساء والنهب والسلب والقتل (٥) . وقد استمر هؤلاء المجوس طوي وثنتهم حتى استطاع لويس التاسع ملك النورمان باعتراف النصرانية سنة ٨٢٦ م (٦) .

وكان النورمان محاربين من الطراز الأول ، وكانت عدة المحارب منهم

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٥٢ .

(٢) محمد عبدالله خان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٢٦٢ .

(٣) سعيد عبدالفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٤) محمد عبدالله خان : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٥) هـ . أ . ل . فشر : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة محمى مصطفى زيادة والسيد البار العربى ، دار المعارف بمصر ، ط ٥ ، ص ١١٥ .

(٦) سعيد عبدالفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

تتكون من قِياس وحربة طويلة ودرع من حديد (١) . وكانوا يخرجون فِسي مجموعات من المراكب لا تقل عن أربعين مركبا ، وكانت مراكبهم تتصف بطولها وقلة عرضها وسرعة تحركها وخوضها البحار (٢) .

وقد بدأت غارات النورمان منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى على شواطئ فرنسا ومسب نهر اللوار والجارون حتى استطاعوا انشاء عدد من القواعد والمراكز لهم فى تلك المناطق .

اما خروجهم وغاراتهم على شواطئ أوروبا الغربية فترجع الى عدة عوامل منها : ان بلادهم لكثرة الجبال والمستنقعات لا توجد بهما الا سهول ضيقة لا يمكن استغلالها والاستفادة منها فاتجهوا لذلك الى البحر .

ولعل استبداد بعض زعمائهم وظلمهم لهم دفع بهم الى الهجرة الى بلاد أخرى ، كما ان تزايد عدد السكان أيضا اضطرهم الى الخروج من بلادهم ، والافارة على شواطئ غرب أوروبا ، ويمكن ان يضاف الى هذه العوامل عامل آخر هو حب المال والغنيمة ضد الشعوب الهذائية ، والكوارث الطبيعية التى كانت كثيرا ما تقضى على المحصولات الزراعية ، وتجبرهم على الخروج والافارة على الثغور المجاورة .

هذا ومن الناحية الاجتماعية والنفسية كان عامل الحسد

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .
 (٢) عبد الحميد الشرقاوى : الملاحة البحرية الاندلسية فى القرنين الثالث والرابع الهجرى ، القاهرة ، ١٩٣٥ م ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٥ - ٣٦ .

الشعوب المتأخرة البدائية يدفعها إلى الاغارة على هذا النحو المخرب والمدمر للشعوب الأكثر منها تحضرا ورقيا (١) .

وفي أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وصلت حملات الجيوش إلى شواطئ بلاد الفرنج (فرنسا) ، ثم تسربت مجموعة أخرى من هؤلاء إلى غرب فرنسا ، فغزوا مصب نهر اللوار والجارون وأقاموا لهم هناك عدة مراكز ، ثم أخذوا يتطلعون إلى إسبانيا أو إلى الأندلس بنوع خاص وذلك لما اشتهرت به هذه البلاد من الخيرات والغرائب والفنى والثراء ، ما اثار اطماع هؤلاء الغزاة المغامرين ، فهبوا اليها سراطا (٢) ، وبدأت غاراتهم على شواطئ بلاد الأندلس على سواحل اشترش الشمالية فنزلوا بالساحل عدة بلدة جيحون ، ونهبوا اقليمها ، فتصدى لهم ملك اشترش (رن سور) وأجبرهم على الرجوع ، فلجسأوا مضطرين إلى ما تبقى لديهم من مراكب ، وساروا باتجاه الساحل الغربي والجنوبي للأندلس ، وظهروا امام اشبونة (٣) مرة أخرى ، وفي أول ذي الحجة

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - فشر : المرجع السابق ، ص ١١٨ - عبد الحميد الشرقاوي : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٢) محمد عبد الله خان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .
 (٣) من كورباجه المختلطة بها ، وهي مدينة قديمة تقع على سف البحر وسورها رافع البنيان وبابها الغربي من أكبر أبوابها وبابها القبلي يسمى بباب البحر والشرقي بباب الحمد . والمدينة ممتدة مع النهر وبها قصبة ضخمة وهي مدينة لشبونة الحالية عاصمة البرتغال والعرب حرفوا اسمها إلى اشبونة .
 (الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦) .

عام ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م . ولم تكند طلائع النورمان تظهر مرة أخرى أمام أشبونه حتى وصل كتاب وهب الله بن حزم عامل الامير عبد الرحمن الأوسط على أشبونه يذكر فيه : انه حل بالساحل أربعة وخمسون مركبا من مراكب النورمان ومعها خمسون قاربا . فأمر الامير عبد الرحمن عماله على السواحل بالتحفظ والاحتياط ، ولبث النورمانيون في مياه اشبونة ثلاثة عشر يوما ، اشتبكوا فيها مع المسلمين في عدة وقائع ، ثم اتجهوا بأسطولهم جنوبا الى مدينة قادس . ثم الى مدينة شذونة . ثم الوادي الكبير ثم مدينة اشبيلية . وكانت اشبيلية في ذلك الوقت دون أسوار تحيط بها وتحميها من الاعتداءات ، فكانت مفاجأة مروعة ومذهلة لسكانها ، ثم اتجه النورمان بعد ذلك الى طلياطة (١) ، حيث وقعت بينهم وبين الاندلسيين بضعة معارك محلية تفوق فيها الغزاة وانتصروا (٢) .

وفي الخامس والعشرين من صفر سنة ٤٣٠ هـ نشبت بين الفريقين معركة كبيرة فاصله ارتد فيها النورمانيون ، وتحصنوا بسفنهم ، ثم هاجموا مدينة لبله (٣) حتى وصلوا الى ثغر اشبونه ، ثم غادروا مياه الاندلس مع سفنهم المتبقية . ورأى السلجون في هذه المعارك البحرية والبرية شدايد عظيمة يصفها لنا ابن عذارى في البيان المغرب وصفنا

(١) مدينة بالاندلس بينها وبين اشبيلية عشرون ميلا .

(الحميري : المصدر السابق ، ص ١٢٨) .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(٣) مدينة قديمة في غرب الاندلس تبعد عن طلياطة عشرين ميلا ، وهي مشهورة بكثرة ثمارها وحسنها .

(الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦٩) .

دقيقا ، فيقول : [فخرج المجوس في نحو ثمانين مركبا كأنما ملأت البحر طيرا جونا (١) . كما ملأت القلوب شجوا وشجونا ، فحلوا بأشبونة ، ثم اقبلوا الى قادس ثم الى شذونه ثم قدموا على اشبيلية فاحتلوا بها احتلالا ، ونازلوها نزالا الى ان دخلوها قسرا واستأصلوا أهلها قتلا وأسرا ...] (٢)

ولم يستمر وجود النورمان في اشبيلية الا اثنين وأربعين يوما ، اما مدة اقامتهم في الاندلس منذ ظهورهم امام اشبونة في ذي الحجة سنة ٢٢٩ هـ حتى خروجهم منها فبلغ نحو مئة يوم . وبعد خروجهم ارسل الأمير عبد الرحمن الاوسط الرسل يحطون الرسائل الى مدينته طنجة ، يشر فيها رجال قبيلة صنهاجة اتباعه بما كان من عون الله لهم في المجوس وما انزل الله فيهم من النعمة والهلكة . كما بعث اليهم برأس أسير المجوس ومائتي رأس من أعوانه (٣) .

أ - الاهتمام بالأساطيل البحرية :

لم يكن المسلمون ضد افتتاح الاندلس يظنون اسطولا بحريا ، بل لم يفكروا في انشائه وقتذاك بسبب انشغالهم بالشورات الداخلية والحروب مع الممالك الاسبانية النصرانية . ويعتبر الأمير عبد الرحمن الأوسط أول أسراء بني أمية في الاندلس الذي فكر في حاجة المسلمين

-
- (١) يقصد الاشارة الى أشعة مراكب المجوس وكانت سودا* .
 (٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٧ .
 (٣) عن تفاصيل هذه الفارة انظر ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ٨٧ - ٨٨ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٧٢ .

الى اسطول بحرى منظم يساعد هم على صد الهجمات خصوصا بعد غزو النورمان لبلاد سنة ٢٢٩ هـ - ٢٣٠ هـ ، ان أدرك مدى حاجة بلادهم للأسطول (١) . كما أمر بإنشاء مراقب ومخارج على طول الساحل المطل على المحيط ، وشحنها بالمرايطيين الذين كانوا على أتم استعداد لمراقبة سواحلهم مراقبة جيدة ومعرفة الاخبار والتخطيط لأي هجوم .

كذلك دعت هذه الغارة النورمانية حكومة الاندلس الى الاهتمام بالبحرية ، وذلك بإنشاء دور لصناعة السفن ، لتزويد البلاد بأعداد كبيرة من السفن لمواجهة أى غارة بحرية ، فأمر الأمير عبد الرحمن بأقامة دار صناعة بأشبيلية لإنشاء المراكب ، واستعد برجال النفط . ولمعنى هذا ان الاهتمام بالبحرية اقتصر على تلك الفترة فقط بل كان موجودا منذ أيام الأمير الحكم الرشيد ، ولكن عهد الأمير عبد الرحمن الاوسط شهد الاهتمام ببناء البحرية الاسلامية في الاندلس وتنظيمها لخدمة الأغراض الحربية البحرية دائما (٢) .

ولم يكف يحمي على غزوة النورمان الأولى في عهد عبد الرحمن الاوسط خمس عشرة سنة حتى تعرضت الاندلس لغزوة نورمانية جديدة في عهد ابنه الأمير محمد ، الذى كان يتوقع غزوهم لبلاد مرة أخرى بعد وفاة أبيه عبد الرحمن سنة ٢٣٨ هـ ، فأعد للأسر عدته . واستعد لصد هجم

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرسية ، ص ٣٣ .
 (٢) السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية ، ص ١٦٠ - السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٢٣٧ .

والوقوف في وجههم ، فأقام سياجا ضخما من الوحدات المقاتلة الستة
تتحرك باستمرار ولا تقف عن التجوال في سواحل افرنجة المطلة على
المحيط الى سواحل جليقية بقصد ترقبهم أو وصول سفنهم اليها .

ويجمع المؤرخون على ظهور النورمان امام شواطئ " الاندلس عام
٢٤٥ هـ (١) . ولكن ابن عذارى يرى ان خروجهم كان في عام ٢٤٠ هـ ،
فيقول في هذا الصدد : [خرج المجوس أيضا الى ساحل البحر
بالغرب في اثنين وستين مركبا ، فوجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين
معدة تجرى من حائط افرنجة الى حائط جليقية في الغرب الأقصى ،
فتقدم مركبان من مراكب المجوس فتلاقت بهم المراكب المعدة ، فوافسوا
هذين المركبين في بعض كور باجة ، فأخذوهما بما كان فيهما من الذهب
والفضة والسبي والعدة ، ومرت سائر مراكب المجوس في الريف حتى
انتهت الى مصب نهر اشبيلية في البحر] (٢) .

والتأمل لرواية ابن عذارى يلاحظ ان أهل الاندلس في هذه المرة
كانوا على أتم استعداد وأهبت له لمقاومة العدو ، وانهم كانوا يراقبون
السواحل مراقبة دقيقة ، بل انطلقت سفنهم الى اشترش لتراقب النورمان
عند خروجهم من شواطئ " فرنسا لتتصدى لهم قبل توغلهم الى الجنوب .
وبهذا نستطيع أن نقول بأن الغزوة النورمانية الاولى لم تذهب سدى ،
بل أدت الى دراسة ثانية ودقيقة ، استطاع بها الاندلسيون ان يحددوا

(١) السيد عبدالعزيز سالم واحد مختار العبادي : تاريخ البحرية ، ص ١٦٢ -

١٦٣ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

الناطق التي يأتى منها النورمان ، فيحكموا مراقبتها بوضع العيون
الساخرة فيها .

ويواصل ابن عذارى وصفه لهذه الفارة بقوله : [وتقدمت المراكب
من مصب نهر اشبيلية حتى حلت بالجزيرة الخضراء (١) ، فتغلبوا عليها
وأحرقوا المسجد الجامع بها ثم جازوا الى العدو (٢) ، فاستباحوا
أريافها ، ثم عادوا الى ريف الاندلس ، وتوافوا بساحل تدسير (٣) ، ثم
انتبهوا الى حصن اوربولة (٤) ، ثم تقدموا الى افرنجة فشتوا بها ، وأصابوا
بها الذرارى والأموال وتغلبوا بها على مدينة سكوها ، فهي منسوبة
اليهم الى اليوم حتى انصرفوا الى ريف بحر الاندلس ، وقد ذهب
من مراكبهم أكثر من أربعين مركبا ، ولقيهم مراكب الأمير محمد ، فأصابوا
منها مركبين بريف شذونة ، فيها الأموال العظيمة وضت بقية مراكب
المجوس] (٥) . وينقل لنا عبدالرحمن الحجي عن ابن حيان خبر هجوم
ثالث للنورمان على الاندلس فى عام ٢٤٧ هـ . فيذكر لنا انه خرج فسى
هذه السنة ستون مركبا للنورمان فوجدوا البحر محروسا ، فتابعوا سيرهم
حتى انتهت بهم الابحار الى مصب نهر اشبيلية ، وهذا قام الأمير

(١) الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة ام حكيم وهي جارية طارق بن زياد موسى
موسى بن نصير ، وهي على رهوة مشرفة على البحر سورها متصل به وشرقها
خندق وغربها اشجار وانهار ، وسورها من الحجارة وفيها جامع فى وسط
المدينة .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) وهي العدو المغربية .

(٤) من كور الاندلس سميت باسم ملكها تدسير .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٦) حصن بالاندلس وهو من كور تدسير ، وهي مدينة قديمة كانت قاعدة العجم .

(٧) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

محمد بتجريد الجيوش واخراج القواد لطردهم عن الاندلس . وبعد هذا الهجوم الذى كان عام ٢٤٧ هـ توقف النورمان عن أية غارة على الاندلس مدة تزيد على قرن أى حتى أوائل النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، حيث عادوا بعدها للهجوم ثانية على الاندلس فى السنوات الآتية : ٣٥٥ هـ ، ٣٦٠ هـ ، ٣٦١ هـ ، وهذا ما سنفصل الحديث عنه فى الصفحات التالية (١) .

كان لغارات النورمان على الاندلس آثار هامة جدا ، فقد نهبت المسلمين لاتخاذ استعدادات هامة لمجابهة الغزوات البحرية أو البرية منها :-

١ - تحصين السواحل التى يمكن ان يطرقتها الغزاة الشماليون من الغرب أو الجنوب الغربى ، واعدادها بوسائل الدفاع ، واصلاح ما خربه النورمان فى غزواتهم الأولى . كما قاموا بتجهيز مدينة اشبيلية بالجند والعتاد للمحافظة عليها ، وذلك فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط .

٢ - بناء سور من الحجارة حول مدينة اشبيلية ، واعادة بناء جامعها بشكل بديع وله مئذنة جميلة شامخة .

(١) عبد الرحمن الحجى : تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، دمشق ، دار العلم - الكويت ، دار القلم ، الرياض ، دار القلم ، ص ٢٣٩ - (نقلا عن ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٣ - ٢٤) .

٣ - نمو البحرية الاندلسية نموا سريعا وقويا ، فعجز عن الوقوف أمامها النورمان في هجومهم الثاني ، ونشأ بخسائر فادحة ، وأصبح الاسطول الاندلسي بعد زيادة قطعه على أهله تامة لرد أى هجوم بحرى .

٤ - وللمحافظة على الاسطول الاندلسي واستمرار حفظ قوته انشئت دور للصناعة ، أشهرها دار الصناعة باشبيلية لبناء المراكب والسفن الحربية الكبيرة وأصبحت اشبيلية منذ ذلك الحين الميناء الأول فى الاندلس ، ثم انشئت دار أخرى لصناعة المراكب فى قرمونة (١) .

٥ - قيام الأمير عبد الرحمن الأوسط بتزويد الاسطول الاندلسي بالرجال المدربين وتشجيعهم على العمل فى المراكب باجزال العطا لهم وتزويدهم بالآلات الحربية اللازمة والأسلحة النفطيه .

٦ - إقامة المعاقل على امتداد الشواطىء على مسافات متقاربة للاستعداد فى حالة هجوم مفاجىء ، وخصص الأمير عبد الرحمن الأوسط للمعاقل المنتد على السواحل قوادا مهرة لمساعدة القوات البحرية فى مناطقهم ، وأمرهم بالتعاون ضد أى هجوم .

وقد أشارت هذه الاحتياطات والاستعدادات فى نفوس المجوس رعبا وخوفا دفعهم الى الابتعاد عن غزو شواطىء الاندلس وعدم الاقتراب

(١) مدينة بالاندلس فى الشرق من مدينة اشبيلية وهى مدينة كبيرة وقد يسمي (الحيرى : المصدر السابق ، ص ١٥٨) .

منها لمدة طويلة جدا (١) .

وواصل أمراء الاندلس بعد الأمير محمد بن عبد الرحمن غايتهم بالبحرية ، كما اهتموا بها وانشاء اسطول قوى فى الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط لدفع الاخطار الخارجية التى يمكن ان تتعرض لها الاندلس سواء أكانت من النورمان أو من الفاطميين بلاد المغرب . ويذكر ابن خلدون ان اسطول الاندلس انتهى فى أيام الناصر الى مائتى مركب أو نحوها ، وكذلك اسطول المغرب (٢) . ويعتبر عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عهد نشاط حركة انشاء السفن وصناعتها . فلقد نشطت نشاطا ملموسا واسعا ان انشأ عددا كبيرا من دور الصناعة فى المريه والجزيرة ، واستخدم أجود أنواع الخشب لاعداد اسطول ضخم قوى يستطيع ان يدفع به الاخطار الخارجية المحيطة بالاندلس ، فأصبح الاسطول فى عهده من أقوى وأضخم الأساطيل ، يسيطر على مياه الاندلس الجنوبية والشرقية ، كما يهدد سيادة الفاطميين فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط . واخبر ميناء المريه من أهم موانئ الاندلس فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، لاتساع خليجه الذى كان يضم معظم وحدات الاسطول ، ومنه تبحر المراكب واليه تعود . وتقوم دار صناعتها بعمل جميع الأجهزة والالات اللازمة لقطع الاسطول (٣) .

-
- (١) محمد عبد الله خان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٣٧ - عبد الحميد الشرقاوى : الملاحة البحرية فى الاندلس ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .
 (٢) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٤ (نقلا عن ابن خلدون : المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦٢٩) .
 (٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٣٦ .

ب- غارات النورمان على الاندلس
في عهد الخليفة الحكم المستنصر :-

زادت قطع الاسطول الاندلسي كما ذكرنا في عهد الخليفة
 عبد الرحمن الناصر الى مائتي سفينة ثم الى ثلثائة ثم تضاعف عدد هـ
 في بداية عهد الخليفة الحكم الى ستمائة جفن (١) بين غزوى وغيره .
 وكانت معظم وحدات الاسطول الاندلسي مستقرة في ميناء المرين
 لمواجهة أى خطر يحيق بالاندلس .

لقد عمل الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم القواعد
 البحرية ، لتكون على أتم استعداد واهبة لرد أى هجوم أو اعتداء على
 الاندلس وسواحلها . ويرى ان ريكاردو الاول زعيم النورمان قد أمر
 اسطوله بالتوجه نحو اسبانيا ، فخرجت المراكب على شكل مجموعات
 واتجهت الى السواحل الغربية لاسبانيا ، ولكن الاندلسيين كانوا لهم
 بالمرصاد لوجود الحراس والمراقبين الذين يرقبون ويرصدون أحوالهم
 ويرسلون بها الى الخليفة . كما ان الحكم المستنصر تحالف مع بعض
 حكام الاسبان في غرب جليقية ليكونوا له عينا على المجوس وروصد
 تحركاتهم (٢) .

- (١) وجمعها اجقان وهي سفينة حربية بطايفة الحركة لكبر حجمها .
 (سعاد ماهر : البحرية الاسلامية واثارها الباقية ، جده ، ١٣٩٩ هـ /
 ١٩٧٩ م ، دار المجمع العلمي بجد ، ط ٢ ، ص ٣٣٦) .
 (٢) احمد مختار العبادى : في التاريخ العباسي والاندلس ، بيروت ،
 ١٩٧٢ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ٤٢٩ .

ويسرى لنا ابن عذارى ان الخليفة الحكم المستنصر أمر [باقامة
الاسطول بنهر قرطبة ، واتخاذ المراكب على هيئة مراكب المجوس (اهلكهم
الله) تأميلا لركوبهم اليها . (١) . والحقيقة ان كل شيء كان معدا
لدرء أى هجوم ، واحباط أى خطر يخطط له المجوس . وفى سنة ٣٥٥ هـ
قدمت سفن المجوس الى مياه غرب الاندلس ، وفى هذا الصدد يقول ابن
عذارى : [وفى أول رجب منها ورد من قصر ابى دانس (٢) على المستنصر
بالله يذكر فيه ظهور اسطول المجوس ببحر الغرب بقرب من هذا المكان ،
واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك ، لتقدم عادتهم بطروق الاندلس
من قتله فيما سلف ، وكانوا فى ثمانية وعشرين مركبا ، ثم ترادفت الكسب
من تلك السواحل بأخبارهم ، وأنهم قد أضروا بها ، ووصلوا الى بسط
اشبونه فخرج اليهم المسلمون ، ودارت بينهم حرب ، استشهد فيها من
المسلمين وقتل فيها من الكافرين . وخرست اسطول اشبيلية ، فاقحموا
عليهم يوادى شلب وحطموا عده من مراكبهم . واستنقذوا من كان فيها
من المسلمين ، وقتلوا جملة من المشركين ، وانهمزموا اثر ذلك خاسرين ،
ولم تنزل اخبار المجوس تصل الى قرطبة فى كل وقت من ساحل الغرب
الى أن صرفهم الله تعالى] (٣) .

وبعد هذا الانتصار الذى حققه المسلمون على المجوس أمر الحكم

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٢) ثغر يقع بفرس بلاد الاندلس .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ، ص (١٦١) .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .

المستنصر قواد ، بالاستعداد ، والأهبة خوفا من هجوم آخر مباغت ، وقد كانت مخاوفه في محلها فلم تضر خمس سنوات على ذلك الهجوم الأول حتى كان هجوم آخر لهم في سنة ٣٦٠ هـ ، إذ ورد كتاب إلى الخليفة يحمله رسول من القوم عند شلب يخبره فيه بنزول النورمان بجليقية وانصرافهم مهزومين (١) . ضد ذلك أعد المستنصر عدته ، فانفذ مبارك ومبشرا وهما من رجاله إلى كوره ربه وشذونه لشحن الامة منها وارسالها إلى الأسطول في اشبيلية (٢) . وفي أواخر شهر رمضان سار القائد عبد الرحمن بن رماح قائد أساطيل الأندلس من المربة ليتوجه إلى البحر الشمالي الذي ظهر فيه النورمان . . وما أن وصل ابن رماح بأسطوله المربة إلى اشبيلية حتى بدأ استعداد ، التام لملاقاة النورمان وحربهم ، ولكن الأخبار كانت قد وردت بعودة سفن النورمان بعد أن تأكد لديهم قيام المسلمين لحربهم ، وخروجهم لهم بالقوة والعدة ، فرجع ابن رماح مرة أخرى (٣) . وفي ذلك يقول ابن حيان : [وفي يوم الاثنين لا ريب بقيت من ذي القعدة منها وافى الخبر باقتلاع صاحب الشرطة العليها قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماح من مدينة اشبيلية بالأسطول منصرفا إلى المربة ، عافا عن أجرائه إلى جهة المجوس والناهريين فسي البحر الشمالي ، إذ وردت الأنباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد اقدامهم وتلجيجهم في البحر الشمالي ليلسبون على شىء بحسن دفاع المسلمين

(١) ابن حيان : المقبس ، ص ٢٧ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

عن المسلمين ، ان اتصل بهم وصح لديهم ضد الخليفة المستنصر
لحربهم ، ونصبه التدبير عليهم ، وتجريده القائد الوزير غالب بن عبد الرحمن
مدبر حربه نحوهم ، وقصد هم في البر ، ونهوض القواد بالاساطيل التي
ناحتهم ، وتحريكه نحوهم الجنود الحسنة ، والاساطيل الثقيلة التي
لم يجد أعداء الله عند سماعهم بها من نفوسهم معينا على التعرض
لملاقاتها ، والانبساط في السواحل التي احسوا بهم فيها ، فولسوا
على أعقابهم ناكسين ، وما رجوه من انتهاز فرصة من المسلمين خائبين ،
وَكَفَى اللَّهَ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا هـ [(١)] .

هكذا أوجس النورمان خيفة بعد طمطمهم بعدى استعداد الخلافة
الاندلسية لهم ، وتم بفضل الله صرفهم بعد ان القى الرعب في قلوبهم ،
وعاد رجال المستنصر الى قرطبة لمقابلته وتبشيره بما فتح الله عليهم
وما تم لهم من نصر وظفر على اعدائه ، فأكرمهم ، وخلق عليهم الخلع ،
وانطلقوا الى أماكنهم محمودا وشكورا سعيدهم (٢) .

وفي سنة ٣٦١ هـ استدعى الخليفة الحكم المستنصر الى مجلسه
الخاص كبار رجال دولته وحمايتها ، وأمرهم بالاستعداد والتأهب للخروج
الى الجبوس لما يتوقع منهم من مباغته وهجوم ، فاستعد الرجال لذلك ،
وانطلقوا مغورين بالهدايا والخلع ، تحفهم الدعوات والشراعة الى الله
في رجوعهم منتصرين (٣) . ولكن الجيش الهام عادة مرة أخرى من حيث

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٢) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٦٦ .

(٣) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٧٨ .

أتى ، لأن النورمان قد نكسوا على أعقابهم عند سماعهم بخروج المسلمين .
 وللمرة الثانية يعود الجيش الاندلسى المسلم دون لقاء مع النورمان
 - اهلكهم الله - بعد ان يقرروا الانسحاب والرجوع خوفا من قوة
 المسلمين . وكان لحسن اعداد الحكم المستنصر فى رسم خططه وفى
 بث الميون والجواسيس لمعرفة اخبارهم كل الخير فى نكوص اعداء الله
 وفى عودة جيش الاسلام منتصرا بعد أن كفى الله المؤمنين القتال ،
 وكان الله رؤوفا رحيمًا بعباده الصالحين (١) .

هكذا عشنا مع الجيوش فى موطنهم الأول ، وعرفنا أصلهم وسبب
 تسميتهم ، وواكبناهم فى غاراتهم ، ورأينا المواسل التى تضافرت لخروجهم
 من موطنهم الاصلى وتوجههم نحو بلاد الاندلس ، فنزلوا فى مدنها
 واستباحوها فى زمن الأمير عبد الرحمن الاوسط . وحاولوا اعادة الكرة
 فى زمن ابنه الأمير محمد ، ولكنهم لم يحققوا النجاح الذى حققوه
 فى المرة الاولى لأن أهالى الاندلس لم يتركوا الهجمة الاولى دون
 دراسة وتحليل ، فاستناعوا الوصول الى العلاج المناسب ، وهوانشأ
 الاسطول الاندلسى القوى الذى أخذ يلعب دورا هاما فى حراسة
 الشواطىء الاندلسية ، حتى بلغ فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر
 زهاء مائتى سفينة . كما تابع الخليفة الحكم المستنصر جهود ابائهم
 من حيث الاهتمام بأمر الاسطول والقيام بالحراسة التامة للشواطىء
 الاندلسية عن طريق بث الميون والجواسيس لمعرفة اخبار النورمان

(١) ابن حيان : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ .

وتتبع حركاتهم ، حتى استطاع ان ينزل بهم الهزائم ، وان يذب الرعب
 في قلوبهم ، فصاروا يحسبون لدولة الاسلام ألف حساب ، وأصبحوا
 ينكصون عن الخروج عليهم لعلمهم بتفوقهم وقوتهم عليهم . وهكذا
 استطاع الخليفة الحكم المستنصر ان يعد للأمر عدته ، وأن يكبح جماح
 عدوه ، وجعله مستعبدا لخروجه وحربه مع دولة الخلافة في الاندلس .
 وهذا بطبيعة الأمر يمثل قمة انتصاره عليهم ، ومكانة عظيمة للدولة
 الاسلام في الاندلس ومدى ما وصلت اليه في عهد الحكم المستنصر .

* * *

الفصل الثالث

النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والفاطحيين

- ١ - النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على المغرب الأقصى .
- ٢ - النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر والمعز لدين الله الفاطمي .
- ٣ - الحكم المستنصر يقضى على محاولة آخر امراء الادارسة الحسن ابن قنون في استعادة نفوذ الادارسة على المغرب الأقصى .

(١) النزاع بين عبد الرحمن الناصر

وخلفاء الفاطميين على المغرب الأقصى

لم يشعر الأمويون في الأندلس بالراحة والاستقرار بعد قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب . فقد كانت هذه الدولة تشكل خطرا كبيرا على دولتهم ، فمنذ خلافة عبد الله المهدى أول خلفائهم أخذ الفاطميون يربنون بأبصارهم إلى مصر وإلى الأندلس . وقد أقلق نجاح الفاطميين في إقامة دولتهم في بلاد المغرب وفرض سيادتهم ومذهبهم الشيعي على معظم بلاد المغرب أقلق الدولة الأموية في قرطبة وخصوصا لأن العدو المغربي تعتبر قاعدة الأندلس الأولى وخط دفاعها ومطعمها لجميع التأثيرين عليها والطامعين فيها سواء كانوا من داخل الأندلس أو من المغرب . فمن العدو المغربية تطلع الفاطميون إلى نشر التشيع في الأندلس وتوطئة لغزوها ، كما تطلعوا في نفس الوقت إلى مصر باب المشرق الإسلامي وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو تحقيق وحدة العالم الإسلامي مشرقه ومغربيه في ظل خلافتهم التي كانوا يرون أحقيتها في حكم المسلمين دون الخلافتين العباسية في الشرق والأموية في الأندلس . وشعوره بأهداف السياسة الفاطمية في العدو المغربية حرص عبد الرحمن الناصر منذ توليه إمارة الأندلس ثم بعد تلقيه بالخلافة على وجهه التخصيص على التصدي لأطماع الفاطميين في رأس العدو المغربية ، فقرر منذ توليه إمارة الأندلس الاهتمام بالأسطول وإعداده حتى توفر لديه أسطول بحري قوى وأمر بفرض حراسة شديدة على مضيق جبل طارق

لمنع وصول امدادات الفاطميين الى الطائر عليه ابن حفصون (١) . ولم يكف
 عبد الرحمن الناصر بذلك بل عمل على تحصين سواحله وشموره ولا سيما
 في المنطقة الجنوبية التي كانت معرضة لهجوم الفاطميين من المغرب .
 ولقد حرص على ان يشرف بنفسه على الاعمال الدفاعية سواء كانت في
 جزيرة طريف (٢) أو الجزيرة الخضراء ، لانهما كانتا مفتاح الاندلس من
 العدو المغربي ، ثم انتقل بعد ذلك للاستيلاء على الثغور المغربية
 المطلة على المضيق فقام في عام ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م بالاستيلاء على مدينة
 مليلة ، وبنى سورها وجعلها معقلا ومقرا لموسى بن أبي العافيه الذي
 دخل في طاعته ، وخلق طاعة الفاطميين . ولم يكف بذلك بل نجده
 في عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م يستولي على مدينة سبتة من ولايتها البربر

(١) هو اخطر طائر عرفته الاندلس منذ الفتح وكانت ثورته تمثل اخطار العناصر
 التي لا تدين بالولاة لحكومة قرطبة وفي مقدمتها طائفة المولدين التي ينتمى
 اليهم ، وهم من سلالة القوط والنصارى الاسبان الذين اسلموا منذ الفتح ،
 وكانت طائفة المولدين تتعاون مع زملائها الاسبان النصارى . ولقد اعتبر
 يوم وفاته فاتحة اقبال وطالع سعد للمسلمين ، وتنفست حكومة قرطبة بعهد
 ان شغلها زهاء ثلاثين عاما وكانت وفاته سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م .
 (للمزيد من التفاصيل انظر : محمد عبد الله خان : المرجع السابق ، ج ٢ ،
 ص ٣٨٢) .

(٢) مدينة صغيرة عليها سور تراب ويشقها نهر صغير ، ومن جزيرة طريف الى
 الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا . وهو خليج يتبين للناظر ما خلفه .
 (الحميري : الروض المعطار ، ص ١٢٧) .
 اما المقرئ فيقول فيها :-

اما جزيرة طريف فليست بجزيرة وانما سميت بذلك للجزيرة التي امامها في
 البحر مثل الجزيرة الخضراء ، وطريف المنسوب اليه من موالى موسى
 ابن نصير يقال ان موسى بعث الى اسبانيا لاستكشاف احوالها قبل قدوم
 طارق بن زياد فنزل هذه الجزيرة .

(المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٢) .

بنى عصام «لغفا» الفاطميين ، ويعمل على تحصينها والاهتمام بها لأنها مفتاح المغرب والاندلس أيضا . ثم انتقل الى مدينة طنجة وكان يسكنها الاشراف الحسينيون (الادارسة) بزطمة أبي العيش احمد بن القاسم بن قنون ، وكان أحمد هذا فقيها ورعا فخلع طاعة الفاطميين وانضم الى الامويين ، فأمره عبد الرحمن الناصر بالتنازل عن طنجة ليضمها الى سبتة فرفض ، فأرسل له اسطولا ضخما فوافق على ضمها له ، ويقع ابو العيش مسجعا اخوته وبني عمه من الادارسة بمدينة البصرة (١) واصيلا (٢) تحت بيعمة عبد الرحمن الناصر . وكانت قوات عبد الرحمن الناصر في ذلك الوقت على حد قول السلاوي] تجيز من الاندلس الى العدو ، يقاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم ، والناصر مدد لمن عجز منهم برجاله . مقولم ضعف بماله حتى ملك اكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر ، وخطب له على منابر من تاهرت الى طنجة [(٣) .

(١) أسست البصرة في الوقت الذي أسست فيه (اصيلا) وعلى ثمانية اميال منها جبل يقال له صرصر . كان كثير المياه والثمار يسكنه معموده وأول من ملكها ابراهيم بن القاسم بن ادريس نحو أربعين سنة .
(ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٣٥) .

(٢) تعتبر من المدن القديمة التي تقع على ساحل بحر العرب ، وهي مدينة ساحلية (كانت مدينة للاوائل) ثم تقلب عليها البحر ثم بنيت بعد ذلك ويقال ان سبب بنائها أن المجوس خرجوا في مرساها مرتين الاولى زاعمين ان لهم بها أموالا وكنوزا ، والثانية ان الريح قد فتت بها اليهم ، حتى انه بها بابا يعرف بباب المجوس وأول من ملكها قبائل لواتة .
(ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣) .

(٣) السلاوي : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ولدي المؤلف الاستاذ جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، مطبعة دار الكتاب ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

وهكذا استطاع عبد الرحمن الناصر ان يهبط سيادته على مضيق جبل طارق عن طريق احتلال القواعد الرئيسية الهامة مثل سبتة وتنجسة ومليلة لكي يتدخل في سياسة المغرب بإشارة قبائله ضد الدولة الفاطمية (١) ، ونتيجة لاستيلائه على تلك المواقع المهمة قام زعماء الجبهة بالتقرب منه والدخول في طاعته حتى امتدت دعوته الى فاس . ولم تقتصر دعوته على المدن التي استولى عليها بل نجد ان أمير مكاسة موسى بن ابي العافية يطلب الانضمام اليه والانضواء تحت لوائه ، فأجاب عبد الرحمن الناصر الى طلبه (٢) . وكرر فعل لما فعله عبد الرحمن الناصر قسما حميد الله المهدي بتجريد حطة لبلاد المغرب الأقصى للقضاء على دعوة الأيوبيين بها ، وكانت بقيادة طلم على تاهرت حميد بن يصال ، وكانت بينهم حرب سجال ، ولكن هذا الجيش هزم على يد موسى بن ابي العافية سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م . وفي عام ٣٢٣ هـ وبعد وفاة حميد الله المهدي وخلفه ابنه أبو القاسم الذي واصل سيرة ابيه في التصدي لنفوذ الأيوبيين في المغرب الأقصى ، فجرّد أبو القاسم حطة أخرى بقيادة ميسور الصقلي الذي استطاع ان يفرض الحصار على موسى بن ابي العافية ويطارد حتى الصحراء وبعد ذلك استولى الادارة خلفاء الفاطميين على

(١) احمد مختار المبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ،

مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس من الفتح

العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت ، ١٩٨١ م ، دار النهضة العربية

للطباعة والنشر ، ص ٢٨٧ - صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية في

حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني للهجرة حتى نهاية العصر

الفاطمي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، الطبعة الاولى ، عالم الكتب ، ص ١١٧ .

دولته . (١)

ولقد حرص كل من الأمويين والفاطميين على محاولة اجتذاب البربر الى جانب كل منهم ، فاستمال عبد الرحمن الناصر قبيلة زناتة بينما استمال الفاطميون قبيلة منهاجة وكثامة . وقد وضع عبد الرحمن الناصر خطة محكمة للقضاء على الفاطميين ونفوذهم في المغرب ، وهذه الخطة تتلخص فيما يأتي :-

١ - استمالة وجذب كل طائر وحاقد وخارج على الدولة الفاطمية من البربر ، فاعترف بسيادة محمد بن الخنز زعيم مغراوه ، وموسى بن ابي العافية زعيم مكثاسة ، كما قام بمساعدة ابن كيدان (صاحب الحمار) الذي كان خارجا على الفاطميين وبسر له كل السبل للاستمرار في ثورته عليهم (٢) ، كما نجح في اشارة حميد بن يصال

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٦٦م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ - صابر دياب : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢) هو مخلد بن كيدان بن سعد الله بن مغيث . ظهر بعد موت عبد الله الشيعي في ولاية ابي القاسم فخرج يدعو الناس الى القيام بالسنة والخروج على الشيعة ودخل افريقية وحرب مدنها ودوخها وقتل من أهلها ما لا يحصى وفي عام ٣٣٢ هـ اشتد امره بأفريقية . وكان ابو يزيد يخفي مذهبه الأباضي ، وكان يركب الحمار في تنقلاته فاطلق عليه صاحب الحمار . وكان يظهر الزهد والتشف . ولقد مثل ابا يزيد سيره الفتي قائد ابي القاسم الشيعي ، وكان بين ابي القاسم وابي يزيد حروب كثيرة - للمزيد من التفاصيل عند ثورته انظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٦ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر الاسلامي ، ص ٦٢٣ - احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٩ - ٣٠ .

عامل تاهرت ويعلى بن محمد الزناتى على سادتهم الفاطميين حتى أصبحت قرطبة مركزا للتآمر والدسائس على الدولة الفاطمية ، وبسبب بذور الفتنة والشقاق بين معظم قبائل البربر فى بلاد المغرب .

٢ - تلقب الأسير عبد الرحمن بن محمد فى ٢٨ ذى القعدة من سنة ٣١٦ هـ بألقاب الخلافة ليدعم مركزه فى الأندلس ، ليصبغه بالصبغة الشرعية ويفرض هيئته على النفوس وأصدر مرسوما بذلك .

٣ - استيلاؤه على معاير الأندلس المهمة سبته وطعته ومليته .

٤ - توطيد علاقته مع أعداء الفاطميين متحالفا مع هيج دى بروفانس ملك إيطاليا Hugues de Province الذى كان حاقدا على الفاطميين بسبب استيلائهم على ميناء جنوة . كما عقد أواصر الصداقة عام ٣٤٤ هـ مع امبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذى كان يأمل فى استرداد صقلية من الفاطميين . وعمل على توطيد علاقته بالآخشيديين فى مصر ، فأرسل فقهاء المالكية الى مصر لمحاربة المذهب الشيعى الذى كان يعمل دعاة الفاطميين على نشره فيها .

٦ - الاهتمام بأمر الاسطول حتى استطاع ان يكون له اسطول قوي بما بلغ عدد قطعه مائتين ليصد به أى خطر يتهدد الأندلس ، وهكذا حرص عبد الرحمن الناصر على طرد كل باب يعرقل خوار الفاطميين ويشل تحركهم فادت هذه السياسة الى انصراف الفاطميين عن فتح بلاد الأندلس الى مصر (١) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٤ - ٦١٥ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ٢١٧ - صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١١٣ - ١١٤ -

واذاً ذلك قام الفاطميون بمعارضة الأيوبيين بنفس الأسلوب فعمدوا

الى :-

١ - تشجيع وتدعيم الثوار في الاندلس ، فقاموا بمعاونة ابن حفصون الثائر على عبد الرحمن الناصر ، وأمدوه بالأسلحة والذخائر للاستمرار في دعوته .

٢ - لعب الجواسيس والعيون الذين بثهم الفاطميون في الاندلس دوراً هاماً للدعاية للفاطميين والذهب الشيعي هناك ، وللتجسس من ناحية أخرى لمعرفة أحوال بلاد الاندلس ومواطن القوة والضعف فيها ، وإعدادهم بمعلومات عنها من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولقد دخل هؤلاء الجواسيس والعيون الاندلس امسا عن طريق العلم كابن هارون وأبي اليسر الرضا ، واما بغرض التجارة كابن حوقل (١) .

وأخيراً نقول انه ما لاشك فيه ان قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ونشاط دعاتها لنشر مذهبها في الاندلس أصبح مشاراً خطراً كبير على الأيوبيين بالاندلس .

(=) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ، القاهرة ،

١٣٩٣ هـ ، ط ٤ ، دار الفكر العربي ، ص ٢٢١ .

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٠٨ - احمد مختار

المبادئ : تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٩٤ .

وقد شغلت ثورة ابي يزيد بن كيداد (صاحب الحمار) الفاطميين عن بسط نفوذهم الكامل على المغرب الأقصى ، واستغل الامويون تلك الفرصة وأقاموا قواعدهم العسكرية بطليطة وسبتة وطنجة في رأس العدو المغربية ، وادكموا سيطرتهم البحرية على مضيق جبل طارق . كما نجح عبد الرحمن الناصر في جذب كبار رؤساء البربر الى صفه (١) .

ولما تولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، كان سلطان الفاطميين في بلاد المغرب لا يتعدى مدينة ايفكان في المغرب الاوسط . وقد بادر المعز لدين الله بمجرد توليته الخلافة الى استعادة النفوذ الفاطمي في المغربين الأوسط والأقصى . ففي عامي ٣٤٢ و ٣٤٣ هـ / ٩٥٣ و ٩٥٤ م جرد الحملات لتحقيق هذا الهدف وتمكن من استعادة سلطان الفاطميين على المغربين الأوسط والأقصى ما عدا رأس العدو المغربية ومدينة فاس ، فدخل في طاحته بربر جبل أوراس ، ومحمد بن خنزر أمير مغراوة ، ويعلى بن محمد اليفرنى الذى عينه من قبله على تاهرت ، وزهرى بن ضاد المنهاجى الذى ولاه اشير ، وجعفر بن على الأندلسى الذى ولاه المسيلة ، وقبصر المقللى الذى ولاه باغايسة ، واحمد بن بكر بن ابنى سهيل الجذامى الذى ولاه على مدينة فاس . الا ان أهل فاس سرعان ما خرجوا عن طاعة المعز لدين الله ، وكذلك يعلى بن محمد اليفرنى وأهل تاهرت وعادوا الى مبايعة عبد الرحمن الناصر (٢) .

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر الاسلامى ، ص ٦٣٢ - محمد جمال الدين سري ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٠ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ - ٦٣٣ .

وفى الوقت الذى أخذ الصراع بين العالمين يزداد حدة فى بلاد المغرب وقع فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م حادث أدى الى اشتعال الموقف ونشوب الحرب بينهما ، وفى هذه السنة قدم من بلاد الشرق مركب لبنى امية ، فلما صار بين صقلية وافريقية سر جزيرة صادف فيها قاربا قادم من صقلية يريد افريقية وبه عدة أشخاص ومعهم كتاب من عامل الفاطميين على صقلية وهو الحسن بن على بن أبى الحسن الكلبى الذى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، فخاف الاندلسيون ان يخبروا عنهم الفاطميين قبل وصولهم الى الاندلس فقطعوا عليهم الطريق ، وأخذوا ما معهم من المكاتبات ، وتركوا من بقى فى الجزيرة لا يجدون ما يوصلهم الى افريقية حتى سربهم مركب فحملهم ، وساروا الى المعز لدين الله الفاطمى ، وأطلعوه على ما حدث لهم . ولما علم المعز لدين الله بما حدث أمر قائد اسطوله بتتبع المركب الأسوى وحرقه ، وكان المركب الأسوى قد وصل الى مرسى المربة قاعدة الاسطول الاندلسى ، فقامت المراكب الفاطمية بتدبيره واحرقه وكذلك كل ما كان فى مرسى المربة من مراكب أخرى ، ثم نزلوا الى المدينة ينهبون ويسلبون ويقتلون ، وبعد ما عادوا الى المهدية (١) .

وكان هذا الحادث سببا فى زيادة اهتمام عبد الرحمن الناصر

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٢ - ٦١٣ - محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٠ - ٢٢٣ - احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ - محمد صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١١٢ .

بميناء المرية التى أصبحت القاعدة البحرية الرئيسية للأمويين فى الجنوب الشرقى للأندلس يعتمدون عليها فى مواجهة الخطر الفاطمى .

وتعتبر المرية مرفأ ممتازا ، يقع على شاطئ خليج واسع وعميق يحسبها من الرياح وسمى بخليج المرية . واسم المرية مشتق من وظيفتها أو من الغرض الذى أنشئت من أجله إذ كانت تتخذ مرفأ ومحرسا بحريا لمدينة بجاية (١) . وقد أصبحت فى مطلع القرن الرابع الهجرى القاعدة البحرية الرئيسية للأسطول الأندلسى فى الحوض الغربى للبحر المتوسط . وكان عبد الرحمن الناصر قد بدأ يهتم بالمرية منذ سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م لتصبح القاعدة الرئيسية للأسطول الأندلسى بدلا من بجاية لأن بجاية واقعة الى الداخل ، والمرية التى كانت محرسا بحريا لها تطل على الساحل ، ويتفتح خليجها باتساعه وعمقه فضلا عن هدوء مياهه وقلة أمواجه ، وكذلك وقوعها على مصب نهر بجاية الذى يسهل للسفن الأندلسية عملية التزود بالمياه العذبة ، ووجود عدد من الحصون والقلاع حولها ما يزيد من قوة الدفاع عنها . كل هذه العوامل دفعت عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م الى اتخاذ المرية قاعدة رئيسية للأسطول الأندلسى بدلا من بجاية ، فبنى سورا حولها وأقام على أحد جبالها قصبتها التى عرفت بقلعة خيران ، وأنشأ بها دارا للصناعة . وقصد ازدياد شهرة ميناء المرية فيما بعد ، فبالإضافة الى كونها قد أصبحت

(١) مدينة بجاية عن المرية على بعد ستة أميال شمالا عن هذه المدينة وأهمية مينائها انظر : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق وتعليق د . شوقى ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ج ٢ ، ص ١١١ .

القاعدة الرئيسية للأسطول الاندلسي فقد اكتسبت شهرة كبيرة في مجال التجارة العالمية بين الشرق والغرب إذ أصبحت محطة للسفن الآتية من الشرق الاسلامي ومن بلاد الاندلس كما غدت مركزا ماليا وتجاريا (١) .

وكان قائد أسطول المريه يتمتع بمركز خاص في الأندلس في عصر الخلافة ، إذ لم يكن خلفاء بني أمية يبتون في أمر ما من الأمور إلا بعد استشارة قائد الجيش بسرقسطة الثغر الأعلى ، وقاضي قرطبه ، وقائد أسطول المريه (٢) ، وقد تعاقبت في قيادة المريه اسرة الرماحى في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر وإلى رجالها يرجع الفضل في صد الهجمات البحرية على الأندلس ، وفي تنفيذ سياسة عبد الرحمن وابنه الحكم المستنصر في المغرب الأقصى وسط سلطان الأمويين عليه (٣) .

ولم يكن عبد الرحمن الناصر ، ومن بعده ابنه الحكم المستنصر يعتمد على أسطول المريه فقط في تنفيذ الخطط البحرية ومواجهة الفاطميين في المغرب الأقصى وإنما كان يعتمد أيضا على وحدات الأسطول الاندلسي المرابطة في موانئ الأندلس الأخرى ، وفي مراسيلها المتمركزة

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه قاعدة الأسطول الاندلسي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، ص ١٣-١٧-٣٣-٣٦-٤١-٤٢ - السيد عبد العزيز سالم واحد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلاميه في المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٧٤ - ابراهيم العدوي : الأساطيل العربية في البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، دار المعارف ، ص ١٤٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم واحد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلاميه ، ص ١٧٢ - ١٨٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٤٨ - ارشيبالك لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ص ٢٤٢ - محمد عبد الله شان : دولة الاسلام في الأندلس ، ص ٤٨٨ .

مثل دانية ، وطارطوشة ، واشبيلية ، وقصرا بى دانس ، والجزيرة الخضراء ، والمنكب ، ومالقة ، وقادش ، وشلب ، ولنسبة وغيرها من الموانئ والمراسى التى تقع على السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للأندلس (١) .

وردا على غارة الأسطول الفاطمى على ميناء المرية ارسل عبد الرحمن الناصر فى السنة التالية (٣٤٥ هـ) أسطولاً مكوناً من ٧٠ سفينة بقيادة القائد غالب السواحل افرقية لمهاجمة ميناء سوسة ، فأغار الاندلسيون عليها وعاثوا فيها فساداً وقتلاً ونهباً وتدميراً ، وفى نفس الوقت زاد عبد الرحمن الناصر من بناء السفن فى دور الصناعة الأندلسية كما اهتم بتشديد مراقبة الأسطول الأندلسى للسواحل الأندلسية ومينائها سبتة فى رأس المدوة المغربية خاصة (٢) .

كما أمر عبد الرحمن الناصر بلعبن الفاطميين على المناير ، ولكن هذه الحركة لم تضعف من نشاط الفاطميين بل أدت الى زيادة التوتر والخلاف بين الطرفين لدرجة ان المعز لدين الله أمر بارسال عساكر الى كل مرسى بطريق الأندلس لقتال سفن الامويين ، وفى هذه المناوشات البحرية بين السفن الفاطمية والأمية كان النصر لحليف الفاطميين (٣) .

-
- (١) هشام ابو رميله : نظم الحكم فى الأندلس فى عصر الخلافة ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٨ .
 (٢) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦١٣ .
 (٣) صابر دياب : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر

والمعز لدين الله الفاطمي

غضب المعز لدين الله الفاطمي غضبا شديدا لخروج المغرب الأقصى من يده ، ودخوله تحت سيطرة الأيوبيين في الأندلس ، فأرسل جوهرا الملقب في جيش عظيم يصحبه البربر من قبيلتي كتامة ومنهاجه ، وخارج معه جعفر بن علي صاحب المسيلة ، وزيري بن مناد صاحب اششير ، واستطاع جوهرا أن يوقع بعلي بن محمد اليفرنسي صاحب طنجة ، ثم توجه إلى فاس ثم إلى سجلماسة فاستولى عليها ، وقبض على أميرها ، وفتحها عام ٣٤٨ هـ . وبذلك استطاع جوهرا أن يعيد نفوذ الفاطميين على معظم المغرب الأقصى ، أما اتباع الأيوبيين وأعداء الفاطميين ففسدوا لجأوا إلى الأندلس مثل علي اليفرنسي وغيره (١) .

ويعتبر عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ١٩٧٦ م) امتدادا لعهد أبيه عبدالرحمن الناصر من حيث استمرار سياسته نحو المغرب الأقصى وإزالة الخطر الفاطمي في بلاد المغرب عامة (٢) . وقد قام الحكم منذ عام ٣٦٠ هـ بالتحالف مع امراء زناتة وبعد سنتين أي في عام ٣٦٢ هـ أرسل حملة إلى بلاد المغرب الأوسط والأقصى للقضاء على دعوة الفاطميين التي عادت إلى الانتشار هناك .

(١) السلاوي : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ .

وتمكنت هذه الحملة من تحقيق أغراضها ، فاستطاع الأمويون استعادة نفوذهم في هذه البلاد ، فخرج زعماؤ زناتة ومغراوياء ومكناسة على طاعة خليفتهم المعز لدين الله ، وانضموا إلى دعوة الحكم المستنصر . وفي ذلك يقول ابن خلدون : [وأوطأ العساكر أرض العدو من المغرب الأقصى والأوسط وتلقى دعوتهم ملوك زناتة ومغراوياء ومكناسة ، فبشهم نفس أعمالهم ، وخطبوا بها على شيوخهم ، وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما يليهم] (١) . وكانت بقايا الإدارة (٢) بزعامة آخر ملوكهم الحسن بن قنون الذي أظهر رغبته في إعادة سلطانهم في المغرب الأقصى بعد أن انتقلت الخلافة الفاطمية إلى القاهرة . كما أن قبيلة زناتة تحالفت مع حكام المسيلة من بني حمدون (٣) ، فأصبح هناك

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٢) عند ما خرج أبو العيش من الأندلس للجهاد ومات شهيدا عام ٣٤٨ هـ استخلف على علمه أخاه الحسن بن قنون وهو آخر ملوك الإدارة بالمغرب ، ولم يزل مواليا للمروانيين متسككا بدعوتهم إلى أن قدم جوهر على المغرب فبايعه وكان ذلك في عهد عبد الرحمن الناصر ، ولكنه رجع عن عهده وبهتته لهم في عام ٣٤٩ هـ ثم انضم إلى بني أمية في خلافة الحكم المستنصر ، ولقد تقلص نفوذ الإدارة إلى منطقة الريف الشمالية وجعلوا لهم قاعدة تسمى حجر النسر وكانت قلعه منيعة تقع جنوب تطوان ، ولم يكن لهم دولة مستقلة وإنما كانوا يتبعون لولا الدولة التغلبية على المغرب سوا كانت الدولة الفاطمية أو الأموية . وللمزيد من المعلومات انظر السلاوي : الاستقصا ، ص ١٩٢ - ٢٠٠ .

(٣) بني حمدون حكام المسيلة ، وهما جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون وكان جدهما حمدون من المقربين لدى الخلفاء الفاطميين . وحظى ابناؤه بعنده بنفس المكانة ، واستقروا حكاما في المسيلة ، ثم اتهم زعيمهم جعفر بالاتصال ببني خرز ، فتوعدهم الخليفة الفاطمي المعز بالشر ، ففر هو وأخوه السبي بن خرز وامراؤ زناتة واتباع الأمويين وانضموا إلى الحكم المستنصر . وهذا ما سنقتاوله بالتفصيل عن قريب . انظر محمد عبد الله غان : دولة الاسلام ، العصر الأول - القسم الثاني ، ص ٤٩٣ .

وتشجيع وتأيد الحكم المستنصر وحزب كبير مكون من الادارسة والزناديقين
وحكام السيلة ضد الدولة الفاطمية . ففي سنة ٣٦٠ هـ نشبت الحرب بين
الطرفين الفاطميين والأمويين وانصار كل منهما ، وكان الطرف الأول
بقيادة زهرى بن مناد الصنهاجى عامل الفاطميين لتحرير المغرب من
قبضة الأمويين ، والطرف الثانى مؤلفا من الادارسة والزناديقين وحكسام
السيلة اتباع الأمويين ، ودارت رحى الحرب بين الطرفين ، ودفع
زهرى الثمن غالبا جزاء وقوفه مع الفاطميين ، وانتهت المعركة بالهزيمة
القاسية للفاطميين ، ويقتل زعيمهم زهرى بن مناد الصنهاجى وباستيلاء
الزناديقين على معسكره انهار سلطان الشيعة فى المغرب ، وكان ذلك
فى العاشر من رمضان سنة ٣٦٠ هـ ، وقطع المنتصرون رأس زهرى بمن
مناد وأخذ يحيى وجعفر ابنا طى بن حمدون الى الخليفة الحكم
المستنصر فحظيا لديه وغرهما بعطفه وصلاته . وفى ذلك يقول ابن
حيان : [وفى يوم الاثنين لثلاث خلون من ذى القعدة خوطب القواد
والعمال بكور الاندلس المجندة فى استقدام بياضها وأعلام رجالها
لشاهدة دخول يحيى بن طى وبنى خضر القاديين برأس زهرى بن مناد
الصنهاجى قائد معده صاحب افريقية] (١) .

ثم أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب شرطته بالقيام مع جنوده
وحرسه ورجالهم للاستعداد والتعبئة للتوجه الى استقبال جعفر ويحيى
ومن معهما من اعيان اصحابهما وادخالهم الى قرطبة ، وانزالهم فى

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٤٦ .

مكان يدعى بمنية عبد العزيز ، فتوجه اليهما ، واستقبلهما أحسن
استقبال ، وعاد بهما وقد رفعوا رأس زهرى بن مناد صاحب افريقية
فى قناه عاليه ، وحفه برووس اصحابه الخارجين معه على أهل السنة ،
وكان عددهم مائة رأس . فتوجهوا جميعا الى قرطبة فى موكب عظيم
للدخول والسلام على الخليفة الحكم المستنصر وعلان انضمامهم اليه ^(١) .

ويسترسل ابن حيان فى صفحات أوليه فى ذكر صفه ترتيب الخروج
المعد لدخول هذين الرئيسين يوم قدومهما قرطبة حتى وصلا إلى
مجلس الخلافة فيقول :] ثم استنبضوا إلى المجلس الذى قعد فيه
الخليفة ، فلما نهضوا إلى بابه قبلوا البساط مرة بعد أخرى ، ثم
تقدم بهم إلى السرير وناولهم الخليفة يده ، فتقدم بهم جعفر بالتقدم
والتسليم ، ثم تلاه يحيى أخوه ، ثم قدم بنو خنز الأسن فالأسن
فقتضوا ما عليهم من ذلك ، وأمرهم الخليفة بالقعود اكراما لهم وقدم
اصحابهم اثرهم الأسن فالأسن فقبلوا وسلموا ، وشافه الخليفة جعفر
أقبلهم فأوسع يسأله عما لديه ويسطه ، وفعل ذلك بأخيه يحيى بنى خنز
أصحابهما ، ونطق بتقبل نزوعهم وتحقيق رجائهم واعتقاد مكافأتهم
على محبتهم وصياغتهم ، ووعدهم بالاحسان اليهم والتشريف لهم ،
فأطنوا الشكر ، واستهلوا بالدعاء ، واكثروا من الثناء ، وحمدوا الله
تعالى على ما منحهم اياه وألهمهم له من تجد يد اسلامهم وتأكيدهم

(١) ابن حيان : نفس المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

ايمانهم في قصد هم حرم أمير المؤمنين واسناد هم الى عزل سلطانهم
ونبه هم لدعوة الضلال وشيعة الكفار واعتياضهم عن ذلك بالسنة والجماعة
والعز والطاعة [(١)] .

هكذا أصبح بنو حمدون حكام السيلية مقربين من الخليفة الحكم
المستنصر بعد أن توسع عليهم في الارزاق ، وأغدق عليهم بالمنح . ونعود
فنقول انه كان لهزيمة الفاطميين بقيادة زيرى بن مناد على يد الزناتيين
والادارسة وحلفائهم من البربر أثر كبير في نفوس الشيعة ، فكانت هذه
النكبة دافعا قويا للخليفة المعز لدين الله الفاطمي أن يأمر في أوائل
سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م بأن يسير ابن زيرى بلكين غازيا المغرب الأقصى ،
لينتقم من قبيلة زناتة الخارجة عليهم ، ولينتقم لمقتل ابيه زيرى وليعهد
الأمر الى مكانها الحقيقي .

خرج زيرى بن مناد الصنهاجي قائد الفاطميين ، وانزل ضرباته
القوية بقبيلة زناتة وطلح كل من تبعها وساندها ، وتتبع الزناتيين في
كل مكان يجد هم فيه سواء كانوا في (بجاية) أو (السيلية) أو
(تاهرت) وغيرها ، فقتل ودمر حتى وصل الى المغرب الأقصى ،
فاستعد بنو خزر للقائه ووقعت الحرب بين الطرفين والحق بقبيلة
زناتة هزيمة منكرة لدرجة أن أميرها محمد بن الخير بن خزر أقدم على
الانتحار خوفا من سطوة بلكين (٢) . وفي ذلك يقول ابن الاثير :

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٢ - ٥٠ .

(٢) محمد عبدالله خان : دولة الاسلام ، ص ٤٩٤ .

[قتل يوسف بلكين بن زيرى محمد بن الحسين بن خنزروجماعته من
أهله وبني عمه وكان قد عصى على المعز لدين الله بافريقية وكثر جمعه
من زناتة والبربر ، فأهم المعز أمره لأنه أراد الخروج الى مصر
فخاف أن يخلف محمدا في البلاد عاصيا ، وكان جبارا عاتيا طاغيا .
أما كيفية قتله فانه كان يشرب هو وجماعة من أهله وأصحابه فعلم يوسف
به فسار اليه متخفيا ، فلم يشعر به محمد حتى دخل عليه فلمسا رآه
محمد قتله بسيفه وقتل يوسف الباقيين وأسرى منهم ، فحل بذلك عند
المعز محلا عظيما وقعد للنهضة به ثلاثة أيام] (١) .

وهكذا استطاع يوسف بن زيرى الملقب بـ (بلكين) أن ينزل بقبيلة
زناتة هزيمة قاسية ، وان يخضع وان يهدم بعض مدتهم ، وان يسيطر
سلطان الفاطميين على معظم أنحاء المغرب ، وان يقطع دعوة الامويين
وان يعيد الدعوة لسادته الشيعة به ، وان ينتقم لمقتل ابيه زيرى (٢) .

وحيثما اطمأن المعز لدين الله الفاطمي على المغرب الى حد ما
عزم على الرحيل الى مصر ولكنه كان يفكر قبل انتقاله الى مصر فـ
أن يضمن طاعة الفاطميين في المغرب بسبب بعد المسافة بين المغرب
ومصر ، لأن ذلك سوف يحول دون فرض سلطان الفاطميين على قبائل
البربر الشائرة وما وخصوصا ان المعز لدين الله يعلم جيدا مدى بأس
وقوة تلك القبائل ، ولذلك صمم على تعيين نائب له في المغرب يوافيه

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ٢٤٣ .

بالاخبار ، فيتركه وهو مطمئن على ملكه . فبدأ باستقدام جعفر بن علي بن حمدون . يقول السيد عبدالعزيز سالم نقلاً عن المقرئ : ان المعز قبل رحيله الى مصر استقدم جعفر بن علي بن حمدون ، وعرض عليه ان يكون نائباً عنه في بلاد المغرب ، ولكن جعفر كان رده على المعز بشروط قاسية تضمن استقلاله ، فقال له : [تترك معي احمد أولادك أو اخوتك يجلس في القصر وأنا أدبر ، ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجبيه يكون بازا* ما انفقته ، وإن أردت أسرا فعلته من غير أن انتظر ورود أمرك فيه لئلا يبعد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى] . (١)

وهكذا لم يوفق جعفر بن علي في الرد على المعز لدين الله فغضب منه وقال : [يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت ان تجعل لي فيه شريكاً في امري ، واستبددت بالأعمال والأموال دوني ، قم فقد اخطأت رشديك] (٢) ، وأبعد المعز عن طريقه واستقدم بلكون بن زيري ابن مناد وعرض عليه ولاية المغرب وان يكون نائباً عنه ، فكان رد بلكون رداً ذكياً ، فقال له : [يا مولانا انت وآباؤك الائمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لي وأنا صدها جسي بربري ، قتلتنى يا مولانا بغير سيف ولا رمح] (٣) . ولكن المعز استطاع اقناعه وولاه أمراً إفريقية والمغرب ماعدا صقلية وطرابلس ، وسماه

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ - احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، بيروت ، ١٩٧١ ، دار النهضة العربية ، ص ٣١٥ ، ص ٣١٦ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

(٣) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

يوسف وكناه أبا الفتوح ، ولقبه سيف العزيز بالله ، وأوصاه بوصايا عدة قبل خروجه فقال له : [ان نسيت شيئا مما أوصيتك به فلا تنسى ثلاثة أشياء : لا ترفع الجباية عن أهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تول أحدا من اخوتك وبني عمك فانهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، واستوصى بالحضر خير] (١) . ولقد أوصاه أيضا بأن يفسزو المغرب وان يحاول القضاء على النفوذ الأموي به .

وأشارت ولاية بلقين بن زيري على بلاد المغرب غير منافسة جعفر بن على فخرج على الفاطميين ، ولجأ إلى الحكم المستنصر . وكما علمنا شارت قبيلة زناتة على الفاطميين وخرج عليه أهل تاهرت . وفي أواخر سنة ٣٦١ هـ اتجه المعز لدين الله من المغرب إلى الديار المصرية بعد أن آمن أن متركه من بلاد المغرب في يد أمينه هو يد بلقين بن زيري ولكن تقف قبيلة صنهاجة أمام زحف الأمويين وتقدمهم ، ولكن تكون حجر عثرة في طريقهم وتقدمهم إلى المغرب ونواحيه .

على ان تولية يوسف بن بلقين لم تعط النتائج المتوقعة بالنسبة للفاطميين ، لأن تعيينه منذ البداية قد سبب غير منافسة جعفر بن على الذي لجأ إلى الأمويين فاتخذوه سلاحا جديدا ضد أعدائهم الفاطميين (٢) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٦٤٢ .

(٢) احمد مختار العبادي : فوالتاريخ العباسي والفاطمي ، بـسـيروت ،

١٩٧١ م ، دار النهضة العربية ، ص ٣١٦ .

وما ان باشر يوسف اعماله في المغرب حتى بدأت القلاقل ، فخرجت عليه القبائل بتحريض ودفع من حكام الاندلس . ففي البداية شار عليه الزناتيون الذين هاجموا بلاد المغرب الاوسط وقاسوا بالافساد فيها . فاضطر يوسف ان يتجه لحربهم وطردهم ، وضرب مدينة تاهرت معقل الخارجيين عليه ، ثم اتجه الى تلمسان ليقتل على الزناتيين فحاصرها ودخلها ثم عاد الى القيروان . بعد ان وصله كتاب المعز لدين الله ينهيه فيه عن التوغل في المغرب (١) .

وبعد هذه الاشتباكات الطويلة بين يوسف بن زيري والخارجيين عليه شعر الفاطميون باستحالة غزو الاندلس ، كما أدركوا ان خير وسيلة وأفضل طريقة يتبعونها في المغرب امام غارات البربر وثوراتهم واسام الامويين وهجماتهم القتالية ان يتركوا قبيلة صنهاجة مثلة في بني زيري حلفائهم في وجه الأمويين الى الابد بعد ان استقروا في مصر واتخذوها قاعدة لخلافتهم .

وهكذا استمرت السيادة الاموية والفاطمية قائمة على مبدأ المنافسة بين قبيلتي صنهاجة التابعة للفاطميين وزناتة التابعة للامويين ، وضرب احدهما بالآخرى واثارة المشاكل والفتن من وراء ستار (٢) .

ولم ينته العداء بين الفاطميين والامويين في الاندلس بعد وفاته

(١) السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ - صابر دياب :

مرجع سبق رصده ، ص ١٢٨ .

(٢) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٢٥ .

المعز لدين الله سنة ٣٦٥ هـ ، ويتبين لنا ذلك من أنه عندما تلقى
الحكم المستنصر من الخليفة الفاطمي العزيز بالله بمصر كتابا يسبه فيه
ويهجوه ، كتب اليه الحكم المستنصر ردًا يقول : [قد عرفتنا فهجوتنا
ولو عرفناك لأجبناك (١)]

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٢ - أحمد
سختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٣١٩ .

(٢) الحكم المستنصر يقضى على محاولة آخر امراء الادارسةالحسن بن قنون فى استعادة نفوذ الادارسة على المغرب الاقصى

بعد تلك الحوادث والاشتباكات نلاحظ ان النفوذ الفاطمى على المغرب الاقصى بدأ فى الانحسار والتلاشى بعد ان انتقلت الخلافة الفاطمية الى القاهرة ، كما ظهر فى المدونة المغربية لدى امراء زناتة وبعض امراء الادارسة الرغبة فى الاستقلال عن الدولة الأموية فى الاندلس بعد ان مفا لهم الجواب بتمعاد الخطر الفاطمى عنهم . فسير ان الحكم المستنصر كان يرى ان خطر الفاطميين على المغرب الاقصى لا يزال مستمرا - كما سبق أن رأينا - ولذلك كان يرى ضرورة الاحتفاظ بجبل طارق الذى يمكن عن طريقه الاستيلاء على القواعد المغربية الرئيسية الرئيسية المطلة عليه مثل سبتة ومليلة وطنجة ، والتي عن طريقها يستطيع الاحتفاظ بمد نفوذه على المدونة المغربية . لذلك نجد ، يعمل منذ توليه الحكم عام ٣٥٠ هـ على تدعيم قاعدة المربة واعدادها بكل ما تحتاجه من حصانه ، فنراه ينتقل اليها فى عام ٣٥٣ هـ لمشاهدتها واستكمال حصانتها والا طلاع على حصونها والتأكد من مناعتها لأنه كان يتوقع غزوا لها فأراد أن يشرف بنفسه عليها ، وان يضع الخطط المحكمة لرد أى عدوان عليها ، لأن معظم وحدات الاندلس كانت ترابط فى المربة لمواجهة الأخطار الخارجية (١) . كما زادت قطع الاسطول الاندلسى فى

(١) ابن عذارى : مرجع سبق وصفه ، ص ٢٢٦ .

حصر الخليفة المستنصر حتى بلغت ستمائة قطعة (١) . فقد اهتم الحكيم المستنصر بالاسطول الاندلسي اهتماما كبيرا ، وحرص على أن يوزع وحداته على المربى التى أصبحت قاعدة للأسطول الاندلسي فى البحر الأبيض المتوسط ، وعلى اشبيلية التى كانت قاعدة ثانية للأسطول الاندلسي أيضا . ولقد أدت زيادة عدد وحدات الاسطول فى عهده الى توزيعها على هذا النحو أى على قاعدتى المربى واشبيلية خشية ان تحدث أخطار بسبب تجميع وحدات الاسطول الاندلسي فى قاعدة واحدة ، كما انه كان بالامكان ان تسرع وحدات أى من القاعدتين للانضمام الى وحدات القاعدة الأخرى فى حالة تعرضها لهجوم محتمل . وكانت المهمة الأساسية الأساسية لقاعدة المربى هى الدفاع عن الاندلس من أى هجوم فاطمى عليها واتخاذها قاعدة هجومية للاندلس على بلاد المغرب ، بينما كانت المهمة الأساسية لقاعدة اشبيلية هى حماية السواحل الاندلسية على المحيط الأطلسي (٢) .

غير أن تلك الخطة المحكمة لحماية بلاد اصطدمت بمصالح امراء الادارسة من بنى محمد الذين طمعوا فى الاستقلال واستعادة قوتهم وسيطرتهم على الجهة الشمالية للمغرب ، فقرروا القيام بثورة فى عام

(١) السيد عبد العزيز سالم واحد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١١١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربى ، ص ٤٨ - ارشيدالد لويش : القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٢٤٢ .

٣٦١ هـ / ٩٧٢ م بقيادة زعيمهم الحسن بن قنون الذي قبايع دعوة بسنى
أمية واحتل المناطق الرئيسية والمهمة مثل طنجة وتطوان وأميسلا ،
واتخذ له قاعدة استراتيجية هامة ونخبة واقعة على جبل مرتفع فى
شمال شرق القصر الكبير تسمى حصن الحجر أو حجر النسر ، كايستة
عن علوها وارتفاعها . واما تلك الحالة الخطرة التى فرضها الادارسة
تعين على الدولة الأموية فى الاندلس تغيير سياستها واتباع سياسة
صريحة وواضحة تقوم على التدخل المباشر فى قلب العدو المغريبية
للمحافظة عليها كخط دفاع رئيسى للاندلس ضد أى هجوم يهددها
من بلاد المغرب . وقبل ان نستعرض فى الاحداث عن الادارسة
يجب ان نلقى الضوء على زعيمهم الحسن بن قنون ، فنقول عنه انه
الحسن بن قنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ، تولى الزعامة
بعد أن توفى اخوه فى الجهاد فى عهد عبدالرحمن الناصر عام ٣٤٨ هـ .
ولقد استمر الحسن بن قنون مائعا للمويين فى الاندلس الى ان سمع
بمخرج جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمى لاستعادة نفوذ الفاطميين
على المغرب الاقصى وتثبيت سياستهم عليه ، وما كان من تغلبه على
جميع اتباع المويين به فقرر الخروج على المويين والعودة الى الفاطميين
خوفا منهم لا حبا فيهم . ولكن لما رحل جوهر الصقل عن المغرب
الاقصى عاد الحسن الى دعوة المويين سوا* كما كان فى عهد عبدالرحمن
الناصر أو فى عهد ولده الحكم المستنصر خوفا منهم لقرب بلادهم منهم ،
واستمر على طاعتهم حتى أرسل المعز لدين الله بلعمين بن زيرى لفتح

المغرب الاقصى وأخذ الثأر لمقتل ابيه زيري بن مناد ، فنجح ففى
احتلاك المغرب الاقصى وقطع دعوة المويين وأخذ البيعة للمعز لدين الله
كما فعل جوهري من قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته والى قاطع
دعوة المويين ونصرة الفاطميين هو الحسن بن قنون (١) صاحب مدينة
البصرة فظهر نفسه بتلك الطريقة انه من اتباع الفاطميين فعلم الحكم
المستنصر بنواياه فحقد عليه وعزم على حربه (٢) .

وعند ما عزم الخليفة على حرب الحسن بن قنون أرسل فى طلب
قائده قاسم بن طلس وأسره بالتعبئة والاستعداد للخروج لحرب الحسن
ابن قنون لنبيه لولاية المويين ، وانجرفه الى دعوة الفاطميين المضلة ،
وابطال الدعاء لهم على المنابر . وأوصاه قبل رحيله بعدة وصايا هامة
حين انتصاره وهى : ان يأخذ بالعفو ، ويؤثر الصفح ، ويقبل العذر ،
ويحسن التجاوز ويتحرى العدل فى سيرته ، فكانت وصايا هامة تسدل
على عمق دين المستنصر وخوفه من الله العلى القدير . وودعه بعد
ان خلع عليه بما يستحقه من التكريم فانطلق خارجا من الجزيرة الخضراء
الى سبتة ثم تقدم الى مدينة تطوان فوجدها خالية ثم تقدم نحو
مدينة طنجة فدعا أهلها الى الطاعة والعودة الى الجماعة ، فأساءوا

(١) قنون أو كنون أو حنون - اما قنون وحنون فقد وردتا فى المقتبس لابن حيان ،
اما حنون فقد وردت عند ابن زرع فى روض القرطاس .
(٢) ابن ابن زرع : روض القرطاس ، ص ٨٩ - ٩٠ - السلاوى : الاستقصا ،
ص ٢٠ .

الرد وأعطوا الحرب وكان معهم الحسن بن قنون يشد من عزمهم .
 والتقت الفئتان الأولى بقيادة القائد ابن طلس والثانية بقيادة الحسن
 ابن قنون ، وقد بقي الحسن بالهزيمة فقرر الفرار ، واستسلم أهل
 طنجة وخرج شيخهم ابن الفاضل ناديا بالطاعة لله تعالى ولأمير
 المؤمنين الحكم المستنصر ، ثم استسلم ورغب في الأمان لنفسه وأهله
 وأهل بلده فأعطى ما أراد . وفي أثناء تلك الأحداث أرسل الحكم
 المستنصر إلى قائد البحر عبد الرحمن بن رصاص وأمر رجاله بالتأهب
 واعداد الاساطيل - أي اسطول المربة واسطول اشبيلية - ليكونوا على قرب
 من القائد محمد بن القاسم بن طلس وليطالعوا الحكم المستنصر بأخبارهم
 وتحركاتهم وانتصاراتهم ، فيشروه أولا بفتح طنجة وفرار ابن قنون . ثم
 التقى ابن طلس مرة أخرى مع ابن قنون ، واستمرت الحرب مرة أخرى ،
 وفر ابن قنون إلى جبل حصين يدعى جبل الريح فتحصن به ، ولكن
 جنود القائد محمد بن القاسم بن طلس استطاعوا ان يستولوا على
 الجبل وان يحيطوا به ، ثم توجهوا بعد ذلك إلى مدينة أصيلا بعد
 ان من الله عليهم بفتحها ، ودخلها الوزير القائد وتوجه إلى جامعها
 بعد ان علم ان فيه منبرا موسوما باسم معد بن اسماعيل امام الشيعة (١) ،
 فأمر باقتلعه واحرقه بالنار ، ثم اتجه إلى مدينة دلول . وفي تلك
 الاثناء وصلت اليه الاسوال والامدادات المنفقة على الحرب الدائرة بينه
 وبين ابن قنون من الخليفة الحكم المستنصر . وفي أوائل سنة ٣٦٢ هـ قتل

(١) المعز لدين الله الفاطمي .

الوزير القائد محمد بن قاسم بن طاطس بفحص مهران على يد حسن بن قنون وقتل معه مجموعة من جنوده وكانوا خسمائة رجل من الفرس^١ ومن الرجال ألف . أما باقي الرجال فقد تحصنوا بسبته وأرسلوا إلى الحكم المستنصر باليون النجدة والفتوت (١) .

وبعد ذلك استدعى الخليفة الوزير القائد الأتلي غالب بن عبد الرحمن لحرب حسن بن قنون . وكان القائد غالب رجلاً محنكاً في غاية الحزم والشهامة والنجدة والاقدام ، فأغدى عليه الحكم المستنصر الأموال وأرسل معه الرجال الأشداء وأمره بقتال الأدارسة وإخراجهم من معاقلهم ، وأوصاه بوصية هامة تدل على مدى فهم وإدراك الحكم المستنصر لأبيهم أولئك الثوار ونفسية هؤلاء المحاربين فقال له : [سر يا غالب ! سحر من لا أذن له بالرجوع إلا حياً منصوراً أو ميتاً معذوراً ، ولا تشج بالمال وابسط يدك يتيهك الناس] (٢) .

ثم قدم له عشرة آلاف دينار لصلات الخارجيين إليه من وجوه القبائل المنصرفين عن الحسن بن قنون وزعمائهم لكي توزع عليهم حسب مقدارهم استئلافاً لهم وقرن بها فاخر الكسوة للخلع به عليهم (٣) .

وفي عام ٣٦٢ هـ / ٩٣٧ م علم الحسن بن قنون بقدم ذلك الجيش

-
- (١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٨٩ - ٩٠ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ - ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .
 (٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٩٢ - السلاوي : الاستقصاء ، ص ٢٠١ - ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .
 (٣) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٠٨ .

العظيم فدب الذعر والرعب في نفسه ، فخرج من مدينة البصرة وتركها خالية خالية واصحاب أهله وماله وولده وذخائره ، واتجه بهم الى قائد نفسه المنيع (جبر النسر) التي تقع بالقرب من سبته ليتخذها معقلا وسأوى يتحصن فيه . ولكن القائد غالبا كان قد أعد للأمر عدته ، فاتجه اليه ودارت بينهما حرب شديدة استمرت عدة أيام . واستطاع غالب ان يحقق نجاحا عظيما بوصية سيده الحكم ، فبعث بالأموال التي رؤسها البربر ورضيهم ومناهم وأطلبهم ان ساروا معه فلبس ما يريدون .

وكان لتلك الخطة الحكيمة اثرها في رجال الحسن ، فتفرق شطهم ، وتشتت جمعهم وانضم اليه كبار رؤس القبائل حتى لم يبق مع الحسن ابن قنون الا رجاله المقربون وخاصته ، ولذلك انسحب الى حصنه وتحصن به ، ولكن القائد غالبا ضرب عليه الحصار من كل ناحية وقطع عنه جميع الموارد . وكان الحكم المستنصر قد أمد به بكل ما يحتاجه من الاموال والعتاد .

وفي سنة ٣٦٣ هـ . أمد به برجال وقوات من غرب الاندلس ومن رجال الثغور فاشتد الحصار على الحسن بن قنون حتى أيقن بالهلاك والبوار ، فطالب من القائد غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله ، وطأه طأه على أن يسير معه الى قرطبة . فقبل القائد غالب توبته ، ونزل الحسن بجميع ما طلب منه القائد غالب وسلم الحصن اليه . ولكن القائد غالبا لم يكشف بذلك النصر المؤزر بل عزم على استئصال شأفة الدارسة ، وتتبعهم وأخرجهم من جميع معاقلهم ، وتولية رجاله بدلا منهم واسم

يترك بالعدوة رئيسا منهم الا وخلعه وعين بدلا منه . ثم تقدم الى فاس فاستولى عليها وعين عليها محمد بن علي بن قشوش في عدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة في عدوة الاندلسيين . وانصرف بمعد ذلك عائدا الى الاندلس مستحبا معه الحسن بن قنون وجميع بقايا الادارسة بعد أن أحسن في تنفيذ وصية الحكم المستنصر في دخول المغرب وتفريق جمعهم وقطاع الدغوة للفاطميين وتوليته رجال الامويين فيها (١) .

هذا وقد حملت البشائر والتهاوى الى الحكم المستنصر بنصرة قائده غالبا ورجاله ، فكان لذلك أثر كبير في نفس الحكم الذي أمر الناس بالخروج للقائد المظفر ، فخرج الجميع لاستقباله وطلبوا رأسهم وجوه رجال الدولة في مكعب ظليم . وقد بالغ المستنصر في اكرامهم ، وغشا عن الحسن بن قنون ومن معه من الادارسة ووسع لهم في العطايا ، وكان مع الحسن سبعمائة رجل ، فأنزلهم بقرطبة وهيباً لهم الدور الرحبة لا قامتهم ، وأغدق عليهم من الاموال الكثيرة لمصرفهم وظلوا مقيمين في قرطبة (٢) .

وفي سنة ٣٦٥ هـ وقعت الجفوة بين الحسن بن قنون والحكم المستنصر لعدة أسباب منها : سوء خلق الحسن وقسوة قلبه ، فقد كان رجلا جاهلا متهورا قاسى القلب ، لم ينس له الحكم المستنصر سوء

(١) ابن ابوزرع : المصدر السابق ، ص ٩١ - ٩٢ - السلاوي : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .

معاملته للأسرى الأندلسيين حيث كان يلقي بهم من أعلى قلعته (حجر النسر) فيصلون إلى الأرض مقطوعين أربا أربا (١) . بالإضافة إلى ثقل نفقاتهم ، حيث كانت تنفق عليهم الأموال الباهظة . وكما يقال أنه كان للحسن بن قنون قطعة من غريبة الشكل كبيرة الحجم حصل عليها في بعض سواحله ، فعلم الحكم بها فأحب أن يأخذها منه ، ولكن الحسن امتنع ورفض أن يقدمها له . واجتمعت كل هذه الأسباب وأدت إلى حدوث النفرة والجفوة والكراهية بين الحكم المستنصر والحسن بن قنون ، فأمر بإخراجه من قرطبة وترحيله إلى الشرق ، فركب الحسن بن قنون من ميناء المريه بالأندلس إلى مدينة تونس ، ومنها سار إلى مصر حيث نزل عند الخليفة الفاطمي العزيز بالله الذي سر لقدمه وأكرم وفادته ووعد بالمساعدة في الأخذ بالشار من غلبه وأخرجه (٢) .

ومن الأحداث المهمة التي وقعت قبل تلك الفترة بعامين وفي عام ٣٦٣ هـ بالتحديد أن جعفرًا ويحيى ابني علي بن حمدون الأندلسي تعرضا لنكبة من النكبات . فعندما قدما إلى الأندلس برأس زيري بن مناد الصنهاجي ، أمر الحكم المستنصر بإزالة لهما في قرطبة في أحسن هيئة وأتم أمر تحت كفه ووطيته ، وفي نفس الوقت أمر الحكم المستنصر بابتساع عيدهما الذين استعفوا من خدمتهما . وتمت المبايعه بمحضر من

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٥٠ - ١٥١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .
(٢) السلاوي : المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

الفقهاء* ، فانضم هؤلاء العبيد بعد ذلك الى خدمة الحكم المستنصر . وبعد مضي فترة ليست بالقصيرة اختلف جعفر ويحيى عما اتفقا عليه مع الحكم المستنصر ، فقد كان لشراء العبيد منهما أثر سيء في نفسيهما فتكلما بكلام سيء وجاهرا بهبهما للخلفاء الفاطميين واستهاننا بالخلافة الأموية ، فظهر ما في نفسيهما من أحقاد قديمة . ولما بلغ ذلك الى طم الخليفة الحكم المستنصر أمر بالقضاء القبض عليهما ومعاقبتهما وايداعهما السجن ، وكان ذلك في شهر شوال سنة ٣٦٣ هـ . ولبثا في السجن عدة أشهر ثم عفا الحكم المستنصر عنهما وأمر باطلاق سراحهما بعد أن اعترفا بخطأهما في حقه وحق الخلافة ، ثم وصلهما بالأموال وبرهما بعطفه عليهما (١) .

وهكذا استطاع الحكم المستنصر ان يضمن سيادته على المغرب الأقصى وان يحصى بلاده من أي خطر فاطمي أو زيري يهدده من ناحية الحدود المغربية (٢) .

* * *

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٧٣ .

(٢) احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٢٣ .

الفصل الرابع

الحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر

- ١ - صورة موجزة من تطور الحياة العلمية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر .
- ٢ - الحكم المستنصر الخليفة العالم وجهوده العلمية والتعليمية .
 - أ - تنشأته العلمية وهو ولي العهد .
 - ب - شخصية الحكم المستنصر العلمية .
 - ج - جهوده العلمية والتعليمية .
 - د - إنشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة .
 - هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبة .
 - و - جامع قرطبة يتحول إلى جامعة علمية في عهده .
- ٣ - الحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر
 - أ - العلوم الشرعية .
 - ب - العلوم اللغوية والأدبية .
 - ج - العلوم الانسانية .
 - د - العلوم التجريبية .

(١) صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية في الأندلس في عهد

عبد الرحمن الناصر

نهضت الثقافة الاندلسية في فترة الخلافة نهضة شاملة في جميع ميادين الحياة ، وكان من أبرز سمات تلك النهضة وضوح الشخصية العلمية للأندلس واستقلالها وظهرها إلى حد كبير ، وما لاشك فيه ان الظروف التي اجتمعت في الأندلس في تلك الفترة قد ساعدت إلى حد كبير على رفع راية العلم غفاه عاليه ، فالوحدة والاستقلال ، والأمن والرخاء ، والتحضر والرقى والتفتح ، كل ذلك دفع إلى حياة ثقافية ناهضة ومشرقة ، وصلت إلى أعلى مستوى وأرقى مكانه خصوصا حين نعلم ان راعي تلك النهضة العظيمة عبد الرحمن الناصر ومن بعده ابنه الحكم المستنصر كانا من أعظم حكام بني أمية قاطبة . فعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر وفرا للأندلس حياة مستقرة وموحدة وهادئة إلى حد كبير ، وأتاحا تلك الحياة النهوض في مختلف مجالات العلم وخلق الأجواء المناسبة للابتكار والعطاء ، وذلك بتشجيع أهل العلم سوا كانوا من الشارقة أم المارقة (١) .

ويعتبر عصر عبد الرحمن الناصر - على وجه التخصيص - من أزهى عصور الاسلام ، لأنه كان عهد يسر ورخاء ، توطدت فيه مالية الدولة

(١) أحمد هيكل : الادب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، القاهرة ، ١٩٢٩ م ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ، ص ١٨٤ .

فامتألت خزائنها بالأموال ، وزاد الخراج فيها زيادة عظيمة باستتباب الأمن ، وزهت الزراعة ، ونهضت الصناعة . وبرزت العلوم والآداب والفنون فى جميع اطراف المملكة ، فأصبحت المعيشة ميسورة ، وعاش الناس حياة مستقرة ، وادعة نعموا فيها بكل مطالباتهم ، وحققوا فيها كل أمانيتهم ، حتى غدت قرطبة درة بلاد الاندلس ، وبلغ عدد سكانها أكثر من خمسمائة ألف (١) .

ولقد أولى حكام بنى أمية فى الاندلس العلم أكبر رعاية فاهتموا واهتمامهم منذ عصر الاسير عبدالرحمن الداخل الذى استطاع أن يوطد أمور الدولة ، وينشر الأمن ، وأن يشجع من خلفه على دفع حركة العلوم بجميع فروعها ، فسار على نهجه الامراء جميعا حتى جاء عصر الخلافة ، فوجدت عوامل جديدة دفعت عجلة النهضة الأدبية والثقافية دفعة قوية . وفى ذلك العصر أى عصر الخلافة ساد الاستقرار السياسى فى الداخل ، والهيبة والعظمة والقوة فى الخارج ، ونظمت اقتصاديات البلاد تنظيمًا متكاملاً ومنتجا عاد على الشعب الاندلسى بالأمن والرفاهية والرخاء ، وبدأت حركة جمع الكتب فى القصر الخلقى وفى منازل الامراء وكبار رجال الدولة ، وشارك الشعب الاندلسى فى نسخها ونشرها وجمعها واقتنائها والحرص عليها حتى تكونت المكتبات وامتألت بالمخطوطات ، وحملت الكتب النفيسة من كل مكان ، وحمل معها كنوز من العلم والآداب ،

(١) محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية شرقية واندلسية ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م - مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ، ص ١٨٥ .

ورحب الخليفان عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بالعلماء والأدباء وشجعاهم على المجىء إلى الأندلس وبالغوا في إكرامهم والحفاوة والترحيب بهم وافسحا لهم كل المجالات لنشر دراساتهم وأفكارهم .

فقد وفد عليهما عدد كبير من العلماء الأجلاء من مصر والشام والمغرب والعراق ، وأخذ الرحالة من طلاب العلم في الأندلس يشدون رحالهم إلى منابع العلم والأدب في الحجاز والشام ومصر وبلاد ، ينهلون من هذه الحياض المتدفقة بالمعرفة والعلم لكي يعودوا إلى بلادهم لينشروا ما تعلموه بعد أن وجدوا من التشجيع والتقدير ما شجعهم وحفزهم على تحمل جميع مشاق السفر طالبا للعلم والاستزادة منه . وبهذه الطريقة نقلت حضارة الشرق ومدنيته وطوره إلى الأندلس الخصيب البانع المزهر ، كما نقل إلى الشرق على يد المغاربة والأندلسيين ما أسهموا به بدورهم في مجالات الحضارة الإسلامية ، وهكذا أصبح هناك تبادل علمي كبير بين المشرق والمغرب والأندلسيين . ولم يكن أهل الأندلس ينقل علوم المشرق بل وسعوا في بعضها وطوروها مثل علم الأدب واستحدثوا له فروعاً جديدة . ولم يعد الأدب قاصراً على النثر والنظم والخطابة والشعر . بل شمل أيضاً بعض العلوم الإنسانية ذات الملة الوثيقـة بالحياة مثل الأخلاق وأدب الحديث وتاريخ الأدب والتاريخ بأنواعه . ولم يكتفوا بذلك كله بل جعلوا الطبع والنوادر بعض هذا الفن ، فكانهم أرادوا أن يميزوا بين الأدب والعلم . ومن أمثلة ذلك الكتاب الذي ألفه الأديب الشاعر ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد الذي كان مقرباً وأثيراً لدى الناصر نفسه ، فقد كان الناصر شاعراً يرتاح للشعر وينبسط إلى

أهله ، بل كان ينظمه ويقرب الادباء والشعراء له . فكتابه العقيد
 الفريد يعتبر من أقدم وأعظم الكتب التي ألغت في الاندلس ، وهو
 صورة ومראה صادقة لما كانت عليه ثقافة الاندلس ، كما أوضح ابن عبد ربه
 في كتابه الأدب ومفهومه وما يجب عليه ان تكون حياة الاديب أو المواطن
 المثقف ، قد نظمته كنظام الجوهرى الحاذق للعقد الثمين ، فكون حياته
 من خالص الجواهر ، واختار لكل باب من أبواب كتابه اسم جوهرة
 معروفة من الجواهر ، فهذا باب الياقوتة ، وهذا باب الزبرجد ، وهذا
 باب الزمرد ، . . . وهكذا . اما محتوياته فهي مجموعة غريبة من الموضوعات
 فهو يتتدى بعلم السياسة وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، وينتهى بالطب
 والنوادر الادبية والا حاجى والالغاز (١) .

ولا يعرف لابن عبد ربه كتاب غير العقد وديوان شعر مقيسود ، وذكر
 صاحب كشف الظنون أن له كتابا آخر سماه (اللباب في معرفة العلم
 والادب) ، وله في عبد الرحمن الناصر الارجوز الشهيرة التي فصل
 فيها مفازيه مرتبة على السنين الى سنة ٣٢٢ هـ ، وقد أوردها في
 كتاب المسجد الثاني في اخبار الخلفاء في تاريخهم من كتاب العقد
 الفريد ، وقد توفي ابن عبد ربه عام ٣٢٨ هـ (٢) .

ومن أشهر العلماء الذين وفدوا على الاندلس في زمن الخليفة

(١) على محمد راضى : الاندلس والناصر ، القاهرة ، دار الكتاب العربى
 للطباعة والنشر ، ص ٥٦ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، لبنان ،
 ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م ، المكتبة التجارية الكبرى ، ج ١ ، المقدمة .

عبد الرحمن الناصر العالم الكبير أبو علي القالى . وهو اسماعيل
ابن القاسم بن عدون بن هارون مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن
سروان من اهالى (قالى قلا) يكنى ابا علي وولد بشار جرد من ديار
بكر ، وخرج الى بغداد لطالب العلم . أما سبب تسميته بالقالى فلأنه
منسوب الى قالى قلا بلد من أعمال أرمينية كان برفقة أهلها أثناء دخوله
بغداد فنسب اليها لكونه معهم . وأما سبب تسميته بالبغدادى فلطول
اقامته هناك حتى ذاع صيته وعمت شهرته فخرج من بغداد الى المغرب .
ويقال ان عبد الرحمن الناصر سمع به وبعلمه فكاتبه ورغبه فى المجىء الى
الاندلس فوفد اليها . وقد سرع عبد الرحمن الناصر به وقربه منه ،
وبالغ فى اكرامه وأسكنه فى قرطبة لينشر علمه بها . وكان القالى اماما
فى اللغة فاستفاد منه الناس ، وكانت كتبه غاية فى التقييد والضببط
والاتقان ، وله عدة مؤلفات مشهورة تدل على سعة روايته وكثرة
قراءته . ولقد أطلق كتابا على طلابه سماه (كتاب النوادر) وكتابا آخر
يدعى (البارع) ويحتوى على لغة العرب ، (وكتابا فى المقصور والمدود
والمهموز) . ولم يؤلف كتاب مثله (١) .

(١) الضبى : بغية الملتصق فى رجال اهل الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ،
دار الكتاب العربى ، ص ٢٣١ - ابن الغرضى : تاريخ علماء الاندلس ،
القاهرة ، ١٩٦٦ م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع مجل العرب ،
القسم الاول ، ص ٦٩ - الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الاندلس ،
القاهرة ، ١٩٦٦ م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ١٦٤ - القالى :
الامالى ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ١ ، المقدمة -
المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد
العريان ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ، مطابع شركة الاعلانات
الشرقية ، ص ٥٩ .

وقد أنجبت قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر عددا كبيرا من رجال العلم والدين والادب . فلو تتبعنا جميع العلماء الذين ظهرت في تلك الفترة لملأنا الصفحات الكبيرة منهم ، ولكن حسبنا ان نذكر أعظمهم وأعلامهم شأننا في مجال العلم . ففي مجال العلوم الشرعية نبغ قاسم بن ثابت بن حزم الذي عني بجمع الحديث واللغة هو وأبوه ، وادخلا الى الاندلس علما كثيرا . وألف قاسم هذا أيضا كتابا في شرح الحديث سماه كتاب الدلائل بلغ فيه غاية الاتقان ، ومات قبل اكماله فأكله له أبوه . ويعتبر هذا الكتاب من أحسن الكتب وأعظمها . وكان قاسم هذا عالما بالحديث والفقه ومتقدما في معرفة الفريب من النحو والشعر ، وكان ورعا ناسكا ، توفي سنة ٣٠٢ هـ (١) .

ومنهم أيضا المنذر بن سعيد البلوطي ، وكان عالما فقيها وأديبا بليغا وخطيبا على المنابر وفي المحافل ، وكان ماثلا الى القول بالظاهر . ومن مؤلفاته كتاب (الانباء على استنباط الاحكام من كتاب الله) ، وكتاب (الابانة عن حقائق اصول الديانة) ، ولقد كانت له رحلة كتب فيها وطلب العلم منها فاستزاد بها (٢) .

أما في مجال الادب فلقد برز فيه الكثير من العلماء ، ومن أشهرهم ابن عبد ربه وقد تحدثنا عنه ، وفي الشعر نبغ الرمادي ، ومحمد بن يحيى القلقاط . وكان لهما دور بارز في مجال الشعر والادب . أما

(١) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٣٦٠ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٥٧ .

الفلسفة فلقد ظهر في عهد عبد الرحمن الناصر محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي الذي أمر الناصر بإخراق كتبه وممنفاته لأنها تضمنت اشارات غامضة عن الملحدين (١) .

أما في علم الطب ، وقد حفل الطب باهتمام كبير من قبل عبد الرحمن الناصر وهذا يرجع إلى ما قام به الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع في سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م من هداية عبد الرحمن الناصر كتابين من تصنيف الأوائل ، أحدهما كتاب ديسقوريدس في الطب ، وثانيهما كتاب هروشيش في التاريخ . فأما كتاب هروشيش فقد ترجمه الإندلسيون من اللاتينية إلى العربية بواسطة قاضي الناصري الوليد بن خيزران والعلامة قاسم بن أصبغ ، ولم يكن لهذا الكتاب من التأثير في كتابات مؤرخي الإندلس بقدر ما كان تأثيرهم به في مجال الجغرافيا (٢) .

أما كتاب ديسقوريدس فيعتبر فاتحه خير للاشتغال بالطب في الإندلس فقد حوى هذا الكتاب أسماء معظم النباتات الطبية وخواصها وصورها وقد طلب عبد الرحمن الناصر من الإمبراطور البيزنطي إرسال عالم حاذق بترجمته إلى اللغة العربية فوصل ذلك العالم عام ٣٤٠ هـ إلى الإندلس ، وكان راهبا يدعى نيقولا للقيام بهذه المهمة . وتألفت

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ٣١٢ .
 (٢) سعد البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الإندلس ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٩ - ٢٩٩ .

معه مجموعة من علماء الاندلس المبرزين في علم اللغات لدراسة هذا الكتاب وترجمته وتوضيح اسماؤه وأنواع النباتات التي وردت فيه . فعميت الفائدة بترجمته واستفاد أهل الاندلس به وتعددت المؤلفات بعد ذلك في الطب ، وتنوعت في فروعه ، وكثر الأطباء ، ونبغوا في ذلك العصر حتى تكونت مدرسة عظيمة بتشجيع عبد الرحمن الناصر وتبقيته الجسور المناسب للعلماء حتى يمكننا ان نطلق عليها مدرسة الطب . ومن الأطباء الذين برزوا في هذا المجال الطبيب اليهودي حسداى بن شبروط (١) ، ويحيى بن يحيى المعروف بابن التيمية وكان بصيرا بحساب النجوم والطب وغير ذلك من العلوم المتنوعة ، وكان متصرفا في معانى الشعر والفقه والحديث وعلم الجدل . وبرز أيضا محمد بن اسماعيل المعروف (بالحكيم) وكان عالما بالحساب والمناطق وكان نحويًا ولغويًا (٢) . ونكتفى بذكر هؤلاء الاعلام الذين ظهروا في عصر الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر الذي اعتبر عصره عصر العظمة والقوة بل العصر الذهبي لاندلس ، فلقد عمل كل ما في وسعه لجعل ملكته الملكية السبابة في ميادين العلوم والنهضة . ولقد أبدع ابن ابيبار في وصف مدة ولايته وحكمه بقوله [ظهر لأول ولايته من يمن بآثره وسعاده جده واتساع ملكه وقوة سلطانه واقبال دولته وخمود نار الفتنة على اضطرارها بكل جهه ، وانقياد العصاة لطاعته ، ما تعجز عن تصويره الأوهام وتكمل

(١) على محمد راضى : الاندلس والناصر ، ص ٢٦ .

(٢) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ، القاهرة ، مطبعة التقدم ، ص ١٠١ -

فى تحبيره الاقلام ، وتغييره من ابنه وولى عهد الحكم المستنصر بالله الدعوى بأمير المؤمنين بعده من زان ملكه ، وزاد فى ابهته وقام بأمره أحسن قيام فكمل جلاله وجل كماله [(١)] .

وهكذا اجتمع للاندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر من أسباب القوة والسلطان والعظمة ما جعل الاندلس يتبوأ مركز الصدارة بين الدول الإسلامية حتى اعتبر عصره من أعظم العصور قاطبة ، فلم تمل دولة من الدول سواء فى الشرق أو الغرب الى ما وصلت اليه دولة الناصر من القوة والسود والهيبة والتفوذ ، ولقد اعترف بعظمته المؤرخون المحدثون والقدماء على السواء . ولعل ابلغ ما قيل عنه فى عصرنا الحديث ما ذكره العلامة دوزى حين قال : [لقد كانت هذه نتائج باهرة ولكنها نجد اذا ما درسنا ذلك العصر الزاهر ان الصانع يشير الاعجاب والدهشه ، باكثر ما يثيرهما المصنوع . تثيرهما تلك العبقرية الشاملة التى لم يفلت شئ منها ، والتى كانت تدعو الى الاعجاب فى تصرفها نحو الصفائر ، كما تدعو اليه فى اسنى الامور . ان ذلك الرجل الحكيم النابه ، الذى استأثر بمقاليد الحكم وأسس وحدة الأمة معاً ، وشاد بواسطة معاهداته نوعاً من التوازن السياسى ، والذى اتسع تسامحه الفياض لأنه يدعو الى نصحه رجالاً من غير المسلمين لأجدر بأن يعتبر قريناً لملوك العصر الحديث لا خليفه من خلفاء العصور

(١) ابن الأبار : الحلة السمرية ، تحقيق حسين موسى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ص ١٩٨ .

الوسطى [(١) .

هذا ما كان من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، الحافل بالعلم
وأهله . ولنتقل الى عهد ابنه الحكم المستنصر لنرى كيف أصبحت
الحياة العلمية في الاندلس أكثر اشراقا وأكثر ازدهارا .

(١) محمد عبد الله عثان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، القسم
الثاني ، ص ٤٦٣ ، نقلا عن دوزي .

(٢) الحكم المستنصر الخليفة العالم

وجهوده العلمية والتعليمية

أ - تنشئته العلمية وهو ولي العهد :

ففي عام ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م من الله على الاندلس بنه جديدة
ألا وهي ولادة الخليفة العظيم الحكم بن عبد الرحمن ، ولقد سر عبد الرحمن
الناصر بمولده سرورا عظيما ، وأظهر سعادته وغبطته بالانعام على
من حوله ، وتقدمت الطيقات من الناس بالتهنيس ، وانشد الشعراء
قصائد هم مهنئين بمولد ذلك الخافل السعيد :

ومن ذلك قول الفقيه احمد بن عبد ربه :-

هـ لال نساء البدر واختاره الفجر	تلقت به شمس وأنجمه زهر
على وجهه سيما المكارم والعلو	فضاءت به الآمال وابتهج الشعر
سلالة أفراس وبیت خلايف	أكرمهم بحر ونايلهم غمر
بدا لملاة الظاهر نجم مكارم	تحف به العليا ويكفه الفخر
نساء الى العليا خير خليفه	تتبه به الدنيا ويزهى به العصر

ولقد حرص عبد الرحمن الناصر على تربية ابنه تربية خاصة توفهله
لتولي المناصب من بعده ، خصوصا لأنه كان مرشحا لمنصب الحكم
مستقبلا ، فلقد عهد اليه أبوه بولاية العهد وهو لم يتجاوز الثامنة
من العمر منذ ان كان طفلا (١) .

(١) محمد عبد الله حنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، القسم
الثاني ، ص ٣٧٨ .

كما حرص على أن يعهد به إلى كبار علماء عصره ليلقنوه العلم على الأصول الصحيحة منذ المأخولة بالأكبر ، وقد صادف اهتمام الأب رغبة في الابن كبيره على فهم دروسه واستيعابها والتفوق فيها والاستزاد منها بما فطر عليه من الموهبة والاستعداد الطبيعي ، فمجرد العناية والاهتمام تفجرت تلك المواهب والاستعدادات لتظهر من العلم جليل كسل منه المعرفة والاستزاد في طلب العلم حتى شغف به ، وأصبح من رجال العلم البارزين الذين يشار إليهم بالإنسان .

ولقد ظهرت نجابة الحكم منذ صغره فكان هو وأخوه عبد الله يتنافسان على العلم وأهله ، وفي ذلك يقول ابن الأبار : [كان الأمير الحكم بن الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين وأخوه عبد الله هـذا] يتباريان في طلب العلم ويتناغيان في جمعه ويتبادران إلى اصطلاح أهله واختصاص رجاله وأدنا منازلتهم والاحسان إليهم . (١)

ولما شب الحكم المستنصر عهد إليه أبوه بحب الجانب الثقافي والتعليمي في سلطته ، فحرص على معرفة العلماء عالماء عالما ومعرفة أخبارهم وسيرهم ومولفاتهم وتخصصاتهم حتى اجتمع له في ذلك المجال ما لم يجتمع لأحد من قبله ، ولقد سرينا في الفصل الأول اسناد أبيه له مهمة ترتيب المجلس والشعرا الفصحى لاستقبال وفد رسل امبراطور الروم ، فكان أباه قد أعد لتلك المواقف لما وجد فيه من ميل إلى

(١) ابن الأبار : الحلة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

ذلك المجال وحب لاهله ومعرفته وثيقه بهم . وهكذا أصبح الحكم وهو
 ولى المعهد راعيا للعلم وحاميا للعلماء* وشجعنا على النهضة التعليمية
 فى البلاد ، فضلا عن انه هو نفسه كان من كبار العلماء* فى ذلك
 العصر . ولو تتبعنا ما كتب عنه فى الشرق والمغرب قد يما وحدنا فى
 تاريخ الادب والفلسفة والعلوم لوجدنا الكثير برغم المدة القصيرة فى عصر
 الزمن التى عاشها وهو خليفة (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م) (١) .

ولكن ينبغي علينا قبل ان نلقى الضوء على اهتمامات الحكم المستنصر
 بالعلم وأهله ان نشير الى المجتمع الذى نشأ فيه ذلك الامير ، فيقول
 الدكتور مصطفى الشكعة [اذا نظرنا الى المجتمع الاندلسى من
 ناحية جمهورته وليست من ناحية قطاعات معينه منه وجدنا له مميزات
 باهرة وصفات طيبة تميزه عن كثير من المجتمعات الاسلاميه الاخرى ما بين
 علم ودين وثقافة وعمل ونظافة واناقة وحب للعدل وانكار للفوضى واجلال
 للعلماء* الى غير ذلك من الصفات الحميده التى توفرت فى شعب من
 الشعوب وضعت فى مرتبه ساميه دفعت به الى مدارج التقدم والازدهار .
 لقد كان شعب الاندلس يقبل على العلم للعلم ذاته وكان علماءهم
 متقنين لغنون علمهم لانهم سعوا اليه مختارين ، وكان الرجل ينفق
 كل ما عنده حتى يتعلم واذا تعلم أصبح فى مقام التكريم ويعلمو قدره
 بين الخاصه والعامة .] (٢)

(١) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى اسبانيا ، ص ٢٠١ .

(٢) مصطفى الشكعة : الادب الاندلسى موضوعاته وفنونه ، بيروت ، ١٩٧٥ م ،

الطبعة الثالثه ، دار العلم للملايين ، ص ٧١ .

ولقد حرص امراء الاندلس على أن يكونوا على مستوى عالٍ من الثقافة الدينية تسمح لهم بمجالسة الفقهاء الذين يعتبرونهم زينة المجالس عند الامراء ومستشاريهم . وكانت ثقافة هؤلاء الملوك والامراء تدفع الى احترام العلماء وتقديرهم ، فقد حرص الامراء على أن يجمعوا بين السلطة والمنصب العلمي أي بين مرتبة الحاكم القوي وبين مرتبة العالم العظيم . وكان يتحتم على الامراء أن يتفقهوا في علوم الدين حتى يجمعوا بين الاحترام الرسمي لكونهم امراء وبين الكبار الاجتماعى الذى يكسبونه باعتبارهم فقهاء . (١)

وكانت دولة الاسلام في الاندلس سعيدة بكثرة حكامها الذين كانت لهم مشاركة في العلوم والفنون ، والذين كان تقديرهم للعلماء صادرا عن طبع ومعرفة بتعمق وليس عن نفاق أو مصلح أو رياء .

وقبل ان نلقى الضوء على مدى اهتمام الحكم المستنصر بالعلم ورجاله ينبغي ان نشير الى شيوخه وعلميه وموذيبيه الذين تلقى العلم على ايديهم ، فعلى رأس هؤلاء قاسم بن اصبغ ، واحمد بن حسيب ، وزكريا بن خطاب ، وثابت بن قاسم (٢) ، وابو علي القاسم الذى عرفنا ما تقدم كيف استدعاه عبد الرحمن الناصر الى الاندلس لما رأى من علمه الواسع ، فعهد اليه بإبنة الحكم المستنصر لتعليمه ، فاخص به وأفاده أفادة عظيمة ، وقوى عنده حب العلم حتى رغبه في اقتناء الكتب ،

(١) مصطفى الشكعة : نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

فتتف عظمه بالمعلوم والمعارف ويبحث في نفسه حب العلم . وفي هذا الحد
يقول المقرئ : [ولما وفد على أبيه أبو علي صاحب كتاب (الأمل في)
من بغداد أكرم مشواه ، وحسنت منزلته عنده ، وأورث أهل الاندلس
علمه ، واختص بالحكم المستنصر ، واستفاد علمه] (١) . وكان الحكم
المستنصر قبل خلافته يحثه على التأليف ، وينشطه بواسع العلم ،
ويشرح صدره بالافراط في التكريم .

ومن تلقى العلم على أيديهم أيضا وهو ولي للعهد عثمان بن
نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمه بن عباد بن يونس القيسي المصفاي
المعروف من أهل قرطبة ، وهو والد جعفر بن عثمان (٢) . ومنهم هشام
ابن الوليد بن محمد بن عبد الجبار بن هشام الفافقي ، وكان مرونيها
نحويا أدب أسير المؤمنين الناصر ثم أدب ولي العهد الحكم المستنصر ،
وكان علم العروض أغلب عليه من علم اللغة العربية (٣) . ومنهم محمد بن
اسماعيل النحوي المعروف بالحكيم من أهل قرطبة ، وكان عالما بالانحسو
والحساب دقيق النظر مشيرا للمعاني مولدا لها لا يتقدمه في ذلك أحد ،
وعمر ثمانين عاما وأدب الحكم المستنصر ، وتوفي سنة ٣٣١ هـ (٤) . ومنهم
علي بن معاذ الرعيثي وقد كان لقويا فاستفاد منه الحكم واقتبس من علمه ،

(١) المقرئ : نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .

(٢) ابن الفرضي : تاريخ طما الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٣٠٥ .

(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ١٢٤ .

(٤) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٥٢ .

والى جانب تفوقه فى اللغة كان متفوقا فى التاريخ والانساب وقد استفاد منه الحكم واخذ عنه الكثير من العلوم والمعارف فمطمت استفادته منه (١) ومنهم ايضا الانيب محمد بن اسماعيل القزاحى الذى تلقى العلم على يديه كالأدب والنحو والحساب ، وقد استفاد منه فى دراسة العلوم بأرقى منه تحليليه عميقه ان وصف هذا الانيب بعمق التفكير ، ودقة التعبير نفس استفاله بالعلم (٢) .

وكان لهؤلاء المعلمين والمؤرخين والمشايع أثر كبير فى بلورة شخصية الحكم المستنصر العلمية وتوجيهه فى كافة مجالات العلم والمعرفة .

(١) المراكشى : الذيل والتكملة ، ص ٤١٠ .
 (٢) سعد البشرى ، المرجع السابق ، ص ٧٢ (نقلا عن المفدى : الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

ب - شخصية الحكم المستنصر العلمية :

يعتبر الحكم المستنصر في معرفة الرجال والتواريخ والانساب احوذا (١) نسج وحده ، كما كان موصوفا بالثقة بين رجال العلم حتى ان ابن الابار يتعجب اشد العجب من تغافل ابن الفرضي وابن بشكوال في كتابتهم عن تراجم العلماء من أهل الاندلس عن الاشارة الى منزلته ومكانته العلمية . فقلما كان يوجد كتاب في غزائته الا وله فيه قراءة أو وجهة نظر فسي أي فن أو علم كان ، فيكتب نسب المؤلف معرفا اياه ذاكرا مولده ووفاته ، ويأتى بمعلومات نادرة لا يكاد يعرفها احد غيره (٢) . فالحكم المستنصر يتبع طريقة التحليل ونقد المعلومات وتمحيصها أشاء اطلاعه على كتبه بحيث كان يقرأ الكتاب ويكتب فيه بخطه اما في اوله أو تشاعيفه بكامل ما يمت به له للمؤلف مع التعريف به ، وذكر انساب الرواة له (٣) . ومما يؤكد ذلك انه في أشاء جمعه لتلك الكتب الهائلة ودراستها انعكس أثر ذلك على فكره وطريقته حتى أصبح طالما بارعا في فنون العلم المختلفة حتى قيل عنه في شعفه بالكتب [وكان ذا غرام بها - أي الكتب . وقد أثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع طمعه ودق نشره وجمعت استفادته .] (٤)

ومما روى له من كتابات وتحاليل على الكتب التي طالعها ما ذكره القاضي جاعد الاندلسي في ترجمته للمؤرخ الهمني الحسين بن احمد

(١) الأحوذى : الحاذق السريع في كل ما اخذ فيه .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٧١ .

(٣) ابن الابار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

البهذاني ما نصه : [ووجدت بخط امير الاندلس الحكم بن عبد الرحمن
الناصر لدين الله ان ابا محمد البهذاني توفي بسجن صنعاء في سنة
أربع وثلاثين وثلاثمائة (١) . ومن دلالة طبعه الغزير أنه صنف كتابا في
انساب الطالبين والملوك القاديين الى المغرب ، وقد استعان في تأليفه
بما كان يتلقفه من أقواء الملوك القاديين عليه سوا في مدة ولايته
للعهد أو حكمه . فلقد عرف عنه شغفه بعلم الانساب يدل على ذلك
ما رواه ابن الأثير عن مدى اهتمامه بأنساب المؤلفين (٢) .

وهكذا يتضح لنا ما كان عليه من معرفة تامة في العلوم ، ودراسة
واسعة بكل فن من فنون المعرفة الشاملة ، بالإضافة الى ما اشار به من
الثقة بين رجال العلم حتى أصبح أمينا فيما يقوله ، فقد صار كل ما
كتبه أو أدلى برأيه أو وجهة نظره فيه على انه حجة ، لها مكانتها
وقوتها ووزنها بين أقوال العلماء (٣) .

وقد عقد بعض الكتاب المحدثين مقارنة بين الخليفتين الحكم المستنصر
والمأسون ، فوصفوا الأول بأنه عمل على تسهيل الطرق وتعبيد ها للنهضة
العلمية بحشد السواد اللازمة لها . وأنه يفتقر عن المأسون في ان حركة
المأسون العلمية كانت حركة ترجمه ونسخ ، أما حركة الحكم المستنصر فكانت
جمع وحشد وتكديس للكتب .

(١) سعد البشري : الحياة العلمية ، ص ٧٤ (نقلا عن صاعد الاندلسي :
طبقات الامم ، ص ٢٩) .

(٢) سعد البشري : المرجع السابق ، ص ٧٤ (نقلا عن المقرئ : نفح الطيب ،
ج ٣ ، ص ٦٠ - البغدادي : هديه العارفين ، ج ١ ، ص ٣٣٣) .

(٣) كمال المازجي وانطوان غطاس : اعلام الفلسفة العربية ، بيروت ، مكتبة
انطوان ولبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ م ، ص ٦٤٣ .

غير أننا لو رجعنا قليلا إلى ما ذكره المؤرخون ، وما أشار إليه
العلماء في حق الحكم المستنصر لأفغينا الوضع مخالفا تماما لما وصفه
به ذلك المؤلف ، لأن الحكم المستنصر كان حريصا على تركيز جهوده
للاستفادة من كتب العلم ، وعلى أن تكون مسورة النبال لجميع أفراد
الرعية لكي تعم الفائدة للجميع لاستخدامها والاستفادة منها . بل أننا
نلمح ونرى مدى حرصه على إثبات شخصيته العلمية وشغفه بالاطلاع فيما
قام به من عرض للأفكار وتعليق على المواد العلمية في بياض الكتب ،
وهذا ما أشار إليه المؤرخون وأصحابه به . فالمسألة لم تكن قضية جمع
وحشد فقط ، بل كانت عليه أحياء للمعلوم وترغيب للناس في طلب العلم
ودفعهم للاستزادة منه والالحاق بركب الحضارة والتأور العلمى السدى
سبق إليه أهل المشرق . وكان لا اهتمامه الشديد بالعلم والعلماء
أن اتهمه بعض الكتاب كستانلى لين بول بالقول بأن انصرافه إلى العلم
واهتمامه بالكتب وعنايته بها قد أدى إلى عدم تطلعه إلى الفزى والجهاد .
ولكى نرد في دفع هذه التهمة الباطلة والمجانبة للصواب نقول أنه
لو امعنا النظر في سيرة الحكم المستنصر وأعلانه للجهاد مع أعداء
دولته سواء كانوا من الأسباب النمارة ، أو النورمان ، أم الفاطميين
- ونستطيع أن نلاحظ ذلك مفصلا في الفصل الثانى من بحثنا - لا نرى
أن الحكم المستنصر كان بجانب حرصه على العلم وعلى توفير أجساد
العلم المناسبة لطلبة العلم كان مجاهدا ورجل سياسة وحرب من الدرجة
الأولى ، ولكن يعتبر عصره بالمقارنة بعصر أبيه عبد الرحمن الناصر يعتبر

عصر سلام نسجى مع ممالك النصارى ، وذلك بعد جهود ابيه وعقده
معاهدات السلام والصلح مع الممالك الاسبانية النصرانية (١) .

ولكى تتضح لنا صورة الحياه العلمية فى الاندلس اكثر فأكثر فى
عهد الحكم المستنصر علينا ان نبرز جهوده العظيمة فى دفع عجلة
النهضة العلمية الى الامام .

(١) معبد البشرى : الحياه العلميه ، ص ٧٥ .

جـ - جهود العلمة والتعليمية :-

احترامه للعلماء :

احترام الحكم المستنصر للعلماء وتقديره لمكانتهم جعلهم يحرسون على الاهتمام بدروسهم وتلاميذهم ، كما رفع ذلك من قدرهم عند الناس وحسب طلبتهم . ولقد وصل بعض هؤلاء الفقهاء والمتعلمين الى درجة عالية من المهابة والتقدير حتى انه كان عندما يطلب احد هم لا يرد له طلب ، وتقضى له كل حاجاته دون تردد أو تفكير . ونسوق القصة التي حفظها لنا المقرئ عن الفقيه ابراهيم ابن اسحاق ، وكان معظما عند عبدالرحمن الناصر وابنه ، والقصة طويلة وتتلخص في ان الحكم أمر أحد خصيانه باستدعاء أبو ابراهيم هذا لحاجة يريد ها ، فذهب الخصي اليه يطلبه في عجله من أمره لتلبية نداء أمير المؤمنين ، ولكن الفقيه قال له : سمعا وطاعة ، ولكن دون عجلة ارجع الى أمير المؤمنين ، واخبره انك وجدتني في بيت من بيوت الله مع طلبة العلم يسمعون مني ، ويستفيدون من أحاديثي ، وعندما ينتهي مجلسه سيحضر اليه . ولكن الخصي تضجر وتجرم لرفضه طلب أمير المؤمنين ، ونقل ذلك الى الخليفة فلم يتضجر بل استحسّن رده ، وقال له على لسان الخصي [جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين ، وامتعهم بك حتى ينقضى شغلك وتمضى معي] . ولكن أبا ابراهيم كان لكبر سنه وضعف جسمه لا يستطيع أن يدخل من الباب الرئيسي بالقصر ، وهو باب السدة فهو بعيد عنه ، فحذر باب الصنعة للدخول منه (١) وكان بابا مغلقا لا يستعمل ، وأمر الخصي بالاستئذان له من أمير المؤمنين ، لأن ذلك

(١) سمي بباب الصنعة لمجاورته لدار الصنعة . (السيد عبدالعزیز سالم : قرطبه

امسك عليه فوافق الخليفة ، وأمر بفتح باب الصنعة وانتظاره حتى ينهى
درسه ، ولما انقضى درسه توجه الى داره فأصلح من شأنه ثم توجه الى
الخليفة ، فوصل اليه من الباب المحدد ، وقضى حاجته ثم رجع من نفسه
الباب ، وعند خروجه أعيد اغلاقه مرة أخرى من قبل الخدم والاعوان الذين
كانوا متتاليين خروجه حتى يثقل ويصاد كما كان . فمكثا قضى الخليفة
حاجة العالم كما ارادها وهكذا كان العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء
احترام وتبجيل (١) .

زيارة الفقهاء في مجالسهم :

لقد حرص الحكم المستنصر على زيارة الفقهاء وتفقد أحوالهم والاطلاع
على مستوى التعليم ومدى سير الدراسة ومدى الاستفادة منها . فلقد
قام بزيارة ابو الحسن علي بن محمد الانطاكي في مجلسه وفي حلقته ،
ولقد عين الانطاكي بعض طلبته لتفويض لقراءة القرآن في ذلك اليوم
أي في يوم قدوم المستنصر ، وكان من « ولا » التلاميذ خلف بن حسين بن
مروان والد المؤرخ الكبير ابن حبان الذي تخبرنا المصنف بأنه قد قرأ
القرآن على يد الانطاكي امام الحكم المستنصر ، وهذا الموقف يوضح لنا
مدى حرصه على سير الدراسة وتفقد لها بنفسه . (٢)

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص ٦ .

استقدام العلماء الأندلسيين الى قرطابه :

كما استقدم المستنصر العلماء من كافة نواحي الاندلس الى مدينته
قرطابه ، وسمح لهم بالتعليم واللقاء دروسهم في المساجد العامة بقرطابه .
وتد لنا كتب التراجم ان المستنصر كان يختار أفضل العلماء ومن تتوفر
لديهم نصوص ليست شائعة ومعروفة عند الناس . فعلى بن معاذ الرقيشي
(ت سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) من أهل بجاية كان لغويها نسابا ، استقدمه
ليستفيد من علمه وليستفيد منه ، فجمع له كتب ابن حبيب وروايته ، واستقر
بمدينته قرطابه بحومة مسجد سلمة قرابة سنة كاملة لالقاء دروسه ثم عاد
الى مدينته بجاية مرة أخرى . وفي تلك الاشارة الخاصة بتحديد مجلس
هذا الفقيه (بحومة مسجد سلمة) ما يوحى لنا بوجود ساجد أخرى
في قرطابه لها أهميتها وثقلها غير المسجد الجامع ، وبوجود أماكن خاصة
بالاقامة ملحقة بالمسجد كان يقيم فيها هذا الفقيه لمدة عام الى أن عاد
الى مدينته . ومن استقدمهم المستنصر أيضا محمد بن فرج بن سحون
النخعي (ت عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) الذي قدم الى قرطابه ، فسمع منه
الناس ، واستفادوا من علمه ، ثم عاد الى مدينته بجاية أيضا بعد
انتها مهنته حيث توفى فيها . ومنهم محمد بن مروان بن زريق وكسان
من أهالي بلميس ، وقد كتب عنه المستنصر في مذكراته الخاصة ما يدل
على أهمية ذلك العالم (١) ، وأيضا محمد بن حسن بن عبد الله بن مدحج
الزبيدي من اشبيلية ، استقدمه المستنصر الى قرطابه فمال بها جاهها عظيمها
ورياسه ، وكان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة حتى استأدبه

(١) محمد عيسى : نفس المرجع ، ص ٣ .

المستنصر لابنه هشام ، ثم قدمه الى القضاء والشرطة . وقد قرى عليه بعض كتبه في اللغة وبعض ما ألفه لأنه كان اماما في اللغة (١) . ومنهم محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي المعروف بالرياضي من أهل قرطبة . كان فقيها موثقاً اخذ عن كتاب سيويه وقد اختصر به المستنصر فصار الى خدمته في مقابلة الكتب (٢) .

استقدام العلماء المشارقة الى الاندلس وتكريمهم :

كان المستنصر شديد الاهتمام باستقدام العلماء المشارقة الى قرطبة والترحيب واكرام مشاهير ورفع منازلهم عنده ، ومن هؤلاء الذين وصلوا الى الاندلس والقرطبة بالذات علي عهد اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي السدي رحل من مصر الى الاندلس على الرحب والسعة والتكريم (٣) . وأيضا العلامة المقرئ عبد الملك بن ادريس الجعفي الذي رحل ثم عاد الى الاندلس ومعه كتاب الوقف والابتداء عن نافع برواية ورش . وما ان علم الخليفة الحكم بذلك حتى بعث في طلبه فاطلع على ما عنده واستفاد منه وغيره كثيرا (٤) .

انشاء المكاتب لتعليم الأولاد :

حرص المستنصر على انشاء مكاتب في مدينة قرطبة ليتعلم فيها أولاد

-
- (١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٨٩ .
 (٢) ابن الفرضي : المصدر السابق ، ص ٦٠ .
 (٣) محمد عيسى : المرجع السابق ، ص ٤٠ .
 (٤) المراكشي : الذيل والتكملة ، القسم الاول ، ص ١٣ .

الفقراء الضعفاء والمساكين بالمجان ، ثم جعل للمعلمين الذين يقومون بتدريسهم أوقافا من دخل حوانيت السراجين لكي يضمن لهم مرتبا ثابتا يتقاضونه لكي يعينهم على الحياة وصعوبتها . ويعتبر هذا العمل وتلك الخطوة الرائدة من أفضل اعماله وأحسنها . وفي هذا الصدد يقول ابن عذاري [ومن مستحسّنات اعماله اتخاذ المؤهدين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالى المسجد الجامع بكل رضى من أرباض قرطبه ، وأجرى عليهم المرتبات ، وعهد اليهم بالاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم . وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالى المسجد الجامع ثلاثة وياقبيها فى كل رضى من أرباض المدينة ، وفى ذلك يقول ابن شخبز :-

وساحه المسجد الأعلى مكلّسة

مكاتبها لليتامى من نواحيها

ولو مكنت سور القرآن من كلهم

نادتك يا غير تاليها وواعيها (١)

ويمكن اعتبار المستنصر بهذا العمل أول خليفة فى العالم سن التعليم المجانى ، وبهذه الطريقة أصبح شعب الاندلس متمعا بالعلم فقرأوا ، قبل أغنيائهم ، فاعتمدت بذلك الأمة ، واقبل الناس يتهافتون على تلقى العلوم ، وانتشر التعليم انتشارا عظيما ، وزاد الوعي الثقافى ، وتفتحت ثم نضجت

(١) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٣٤٠ - ٣٤١ .

العقليات بذلك النور الذى منه الله به عليهم حتى أصبح هناك نوع من التنافس على حفظ كتب العلم ، ومن يحفظ فله جائزة قيمه ، فأقبل الناس يحفظون ويتعلمون بشغف كبير . ولم يقتصر التعليم على الرجال فقط بل كان تعليم النساء شائعا فى الاندلس وأقبلت الكثيرات على التعليم ، وعلى حفظ الدواوين فى الادب وعلى كتابة الشعر ، حتى ظهر نتيجة لتلك الحركة كثير من النساء العالمات الفاضلات ذوات المكانة المرموقة (١) وبلغ من حبهن للعلم انه كان فى الربض الفريسي حوالى مائة وسبعين امرأة يكسبن رزقهن من نسخ الكتب . ومن اشهر هؤلاء لبنى كاتبة الحكم المستنصر ، فقد كانت حاذقة بالكتابة نحوية شاعرة بصيرة بالحساب عروضية وخطاطة ولها مشاركة فى كثير من العلوم (٢) .

وبذلك انتشر التعليم انتشارا واسعا فى بلاد الاندلس حتى ان معظم شبانها كان متعلما . وفى هذا الصدد يعلق احد مؤرخى الافرنج بقوله : [ان سكان اسبانيا الاسلامية الا قليلا كانوا يقرأون ويكتبون على حين كان اهل الطبقة العليا فى أوروبا المسيحية أميين لا يقرأون ما عدا أفرادا قلائل من الشمامسة جعلوا الكتاب من شأنهم] (٣) .

اهتمام الحكم المستنصر بتأليف الكتب والحصول على النادر منها :

ارتفع المستنصر فى مجال اهتمامه بالكتب الى درجة عالية جدا لم يدانه فيها أحد ، فقد تجلت مظاهر اهتمامه بها والحصول عليها بعدة

(١) عبد الكريم التواتى : مأساه انهيار الوجود العربى فى الاندلس ، ص ٦٦ -

شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٣٤ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، القسم الثانى ، ص ٦٩٢ .

(٣) محمد كرد على : ظاهرا الاندلس وحاضرها ، ص ٨٧ .

طُرق منها : تشجيع التأليف والاعتناء به والا شابة عليه واكرام العالمين واحترامهم وحشهم عليه سوا* كانوا في داخل الاندلس أو في خارجها . فمثلا وجه الحكم المستنصر إلى أبي الفرج الاصبهاني الف دينار ، ليرسل له نسخة من كتاب الأغاني من قبل ان يحصل عليها احد في العسراق أو ينسخها احد منه ، فارسل له نسخة منقحة حسنة الخط ، فسر بها سرورا عظيما ، كما ارسل له أيضا كتابا آخر ألفه في انساب بني أمية ، يشيد فيه بأجدادهم وآثارهم وهمهم . فسر به ، وجدد له الصلة مسرة أخرى (١) .

كما فعل ذلك مع القاضي ابوبكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم (٢) . ومع محمد بن القاسم بن شعبان بصر ، ومحمد بن يوسف الوراق الذي قام بتصنيف كتاب ضخيم له في (سالك افريقيا ومالكها) ولقد ألف في اخبارها وملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتباً جمّة ، وكذلك في اخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماة ونكور والبصرة ، وغيرها من التوايف الحسان (٣) .

أما في داخل الاندلس فقد كان نشاط الحكم المستنصر في مجال التشجيع على التأليف كبيراً جداً ، وقد اتخذ في هذا السبيل عدة وسائل منها : الاعفاء من الغزو في مقابل تأليف كتاب ، وهذان ما حدث

-
- (١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ - المراكشي ، المعجب ، ص ٦١ - ٦٢ .
 (٢) المقرئ : نفس المصدر ، ص ٣٦١ ، ص ٣٦٢ .
 (٣) الضبي : بغية المتوسم ، ص ١٤١ .

مع الفقيه عبد الله بن مغيث (ت عام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م) المعروف بابن الصغار
 ووالد القاضي يونس قاضي الجماعة بقرطبة ، والذي يحد ثنا فيقول : [لما
 اراد الحكم المستنصر غزو الروم سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة تقدم الي
 والدي ليكون في صحبتته فاعتذر بضعف في جسمه ، فقال المستنصر لا حميد
 ابن نصر قل له : ان فمن لي ان يوافق في اشعار خلفائنا بالمششرق
 والاندلس مثل كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس أغنيته من الغزو .
 فخرج احمد بن نصر اليه بذلك فقال : افعل ذلك لا مير المؤمنين ان شاء
 الله . فقال المستنصر : ان شاء ان يكون تأليفه في منزله فذلك وان شاء
 ان يكون في دار الملك المطلة على النهر فذلك له ، قال فسأل ان يكون
 ذلك في دار الملك ، وقال انا رجل مورود في منزلي وانفرادي فسي دار
 الملك لهذه الخدمة اقطع لكل شغل فاجيب الي ذلك وكمل الكتاب في
 مجلد صالح وخرج به احمد بن نصر الي الحكم المستنصر فلقبه بالمجلس
 بطليطلة فسر الحكم به (١)] .

ومن هذه الوسائل التشجيعية ايضا تقديم الجوائز الكبرى واسناد
 الوظائف المهمة الي العلماء الذين يعملون على التأليف مثلما حدث
 مع احمد بن عبد الملك الاشبيلي (ت ٤٠١ هـ / ١٠١١ م) . فلقد كان
 احفظ لا قوال مالك واصحابه ، جمع للحكم امير المؤمنين كتابا حافلا
 سماه كتاب (الاستيعاب) ، وقد جمعه له مع ابي بكر محمد بن عبد الله

(١) الضبي : بغية الملتص ، ص ٣٣٣ - ابن خاقان - مطبع الانفوس ،

القرشي ، ثم رفعه الى الحكم ، فوصلهما بجائزة كبيرة . ثم قد مهمما للشورى (١) .

وحدث هذا أيضا مع محمد بن ابي الحسين ، وكان عالما باللفظة والأدب وكان اثيرا عند الحكم المستنصر ، وقد أمره بمقابلة كتاب (العين) للخليل مع ابي طلي البغدادي (٢) . وأيضاً مع احمد بن سعيد بن مقدس من أهل البصرة ، وكان نحويا غريباً للكتب ، ولقد نسخ للمستنصر بالله رحمه الله كثيراً (٣) . اما اسحاق بن سلمة بن وليد بن بدر بن اسهد بن مهلهل بن ثعلبة بن مودة ، فقد كان حافظاً لاخبار اهل الاندلس ومعتنيا بها ، وجمع كتاباً في اخبار الاندلس أمره بجمعه المستنصر بالله (٤) . ومحمد بن ابان بن سيد اللخمي من أهل قرطبة ، وكان عالماً بالعربية واللغة حافظاً للأخبار والانساب والايام والشاهد والتواريخ ، وكان مكنياً عند الحكم المستنصر ، وألف الكتب وكتب عنه ، وكرمه وقربه منه (٥) .

هكذا كان الحكم المستنصر أكثر الخلفاء الاندلسيين تسامحاً وحرية فكر حتى قال عنه دوزي : [لم يحكم اسبانيا يوماً من الأيام حاكم طلي هذا الدرجة من العلم . نعم ان كل من جاءوا قبله من امراء الاندلس وخلفائها كانوا رجالاً ذوي علم وولع بجمع الكتب ، ولكن احدا منهم لم

(١) الضبي : بغية الملتص ، ص ٧١ .

(٢) ابن الغرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٧٣ .

(٣) ابن الغرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٦٧ .

(٤) ابن الغرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ٦٧ .

يطلب الكتب القيمة والنادرة بهذه المهمة (١) .

تهيئة الجو العلمي للعلماء :

ونظرا لما كان عليه الحكم المستنصر من حب للعلم ورغبة منه في تشجيع العلماء على التأليف فقد حرص على اعداد المراجع العلمية لهم وعلى اعداد المكان المناسب لتأليفهم ، بل كان حريصا أيضا على متابعتهم في عملهم وتشجيعهم وتوفير كل ما كانوا يحتاجونه . ولم يكتف في هذا الصدور بالساعات والهبئات المادية فحسب بل ساعد من الناحية العلمية في اعدادهم بما يحتاجون من مصادر وبحوث قيمة ، فقد ارسل الى الكاتب المصري ابراهيم سعيد عبد الرحمن بن يونس صاحب كتاب (تاريخ مصر والمغرب) كتابا استعان به هذا المؤرخ في تصنيف كتابه فيما يخص الاندلس ، وكذلك أمر المستنصر محمد بن الحسين وابنه سيد ، وأما على القالى بمقابلة كتاب العين للخليل بن احمد في دار الطبع التي بقصر قرطبة ، واحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضى المنذر بن سعيد (٢) ، فلقد حرصوا على استحضار كافة النسخ والحصول عليها وذلك لتحقيق النصوص تحقيقا سليما (٣) . وهكذا نلاحظ الجهود الكبيرة التي بذلها المستنصر في توفير الأجواء المناسبة لدفع الحركة العلمية ورعايتها ، فهو بما طبع عليه من محبة للعلوم والآداب وبما اكتسبه في صغره من المعرفة والثقافة ، كل ذلك دفعه بشكل قوى الى العمل على ارساء قواعد النهضة العلمية في بلاد

(١) انجل جنثال بلنسيه : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١٠ - ١١ .

(٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٣) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا ، ص ١٠ .

وتشجيع العلماء ورجالات الفكر والأدب واغداق الاموال والصلات عليهم .
ولم يقف عند هذا الحد بل سعى الى توفير اجواء العلم المناسبة من
استحضار الكتب النفيسة والمؤلفات النادرة لكى يبنى صرحا عظيما حضاريا
شامخا وقف له التاريخ باجلال ، وأشاد به المؤرخون والعلماء بمسورة
لم يلقها غيره من خلفاء الاسلام .

د - انشا * مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة :

نتيجة لاهتمام الحكم المستنصر بالعلم وأهله ، تكونت لديه مكتبة ضخمة ، وذلك لأنه رغب في البحث عن كل كتاب أو مخطوطه يمكن ان تضيف جديدا الى العلم وأهله ، فوجه مجموعة من رجاله الى كل مكان للبحث والتنقيب والاستقصاء من جميع الكتب النادرة والقيمة ، وأمد همهم بالأموال الجمة لشراؤها ، أو كتابتها ، أو نقلها حتى جلب الى الاندلس منها ما لم يوصف ، وحملت اليه من كل جهة . وفي ذلك يقول ابن الأبار : [كان حسن السيرة فاضلا عادلا مشغوقا بالعلوم ، حريصا على اقتناء دواوينها ، يبعث فيها الى الاقطار والبلدان ، ويبدل في أعلامها ودفاترها أنفس الاثمان ، ونفق ذلك لديه ، فحملت من كل جهة اليه ، والطك سوق ما نفق فيه جلب اليها ، حتى غصت به بيوتته وضائقته بها خزائنه] (١) . وكان له عملاء في بغداد والقاهرة والاسكندرية وبلاد الشام وبلاد فارس يتعاونون له الكتب العلمية والأدبية ويوصلونها له ، وفي ذلك يقول ابن الأبار أيضا : [كان له ورائون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجال يوجههم الى الآفاق عنها] (٢) .

ونتيجة لذلك اجتمع لديه من المؤلفات والمخطوطات والكتب القيمة ما يفاهى ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمنة الطويلة (الا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستنصر) (٣) . وقد تنهيا له ذلك لفرط محبته

(١) ابن الأبار : الحط السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن الأبار : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٢٠٢ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

فكثرت تحريك الناس واقبالهم على القراءة والاستزادة من العلوم والمعارف ،
وتعلم مذاهب الأولين . ولقد بلغ اهتمام الحكم المستنصر بالكتيب
والحصول عليها درجة عالية جدا لم يدان فيها أحد . وقد عرفنا فنى
الجزء الماضى مدى حرصه على وصل العلماء وتهئية الأجواء المناسبة
لهم للتأليف وتشجيعه عليهم واعنائهم من كل مهمة بسببه وتهئية الكتيب
والمصادر لهم ، فنشأ عن ذلك مكتبه ضخمة حوت جميع أنواع المؤلفات
والمعارف فى كل اتجاه ، ونتيجة لضخامة المكتب وكثرة كتبها ضاقت عنها
خزائنه فى ابها* القصر الملكى ، ولذلك قرر انشاء مكتبة كبيرة تتسع
للك الشروات الضخمة . وفى ذلك يقول المقرئ : [كان يستجلب المصنفات
من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها
خزائنه . (١)] وعند ما عزم على انشاء المكتبة استمر العمال فى نقلها
من خزائن ابها* القصر الملكى الى المكتبة الجديدة مدة ستة أشهر
لضخامتها وكثرة محتوياتها حتى انه قيل ان عدد الكتب قد بلغ أربعمائة
ألف مجلد (٢) .

وكانت مكتبة المستنصر مرتبة على أحدث الطرق العلمية المستخدمة فى
عصرنا هذا ، فقد كانت مقسمة الى فهارس وكل فهرس الى أوراق مكتوب عليها

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

(٢) صاعد الاندلسى : طبقات الامم ، ص ١٠٢ - ابن خلدون : العبر ،

ج ٢ ، ص ١٤٦ .

أرقاماً معينة . وقبل ان عدد الفهارس قد بلغت أربعة وأربعين فهرساً
كل منها عشرون ورقة ، ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط (١) .

ولقد قسمت المكتبة الى عدة أقسام ، فجزء منها للكتب ، وجزء للادراج
والفهارس ، وجزء للنساخين والمجلدين ، وجزء للمراجعين للكتب الستى
تدخل المكتبة أى الكتب الجديدة المستقادمة من كل مكان ، لأن الحكم
المستنصر حرص على ان يجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى
الخط والمجلدين فى التجليد (٢) . اما المشرف على تلك المكتبة الضخمة
فقد كان أخو الحكم المستنصر ، ويدعى عبدالعزيز بن عبد الرحمن الناصر .
وحوت المكتبة من الدرر الثمينة والذخائر الشىء الكثير ، فقد احتوت على
الكتب التى جمعها الامير عبد الرحمن الاوسط ، والذخائر والتحف الستى
جمعها عبد الرحمن الناصر ، بالإضافة الى ما جمعه هو نفسه من شرواح
طبية نفيسة (٣) .

ولقد اختلف فى تقدير محتوياتها ، فقد رها بعضهم بأربعمائة ألف
مجلد ، وقد رها بعضهم الآخر بستمائة ألف مجلد . ولم تكن الاندلس
مقتصره على تلك المكتبة الضخمة فقط ، بل كانت توجد فى قواعد الاندلس

-
- (١) ابن الأبار : الحلة ، ج ١ ، ص ٢٠٣ - ابن حزم : جمهرة انساب
العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، الطبعة
الرابعة ، دار المعارف بمصر ، ص ٩٢ - المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ،
ص ٣٦٢ - ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .
(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : المصدر السابق ،
ص ١٤٦ .
(٣) عبد الكريم التوانى : مأساة انهيار الوجود العربى بالاندلس ، ص ٦٥٩ .

الآخري سيعون مكتبه زاخرو بالكذب النفيسه القيمه ، وهذا يدل على مدى التقدم العلمى العظيم الذى وصلت اليه الاندلس فى تشجيع الحركة الفكرية والعلميه فى البلاد (١) .

ولم يقتصر الشغف والاقبال على جمع الكتب واقتنائها على الخليفة المستنصر فحسب بل اعتنى الكثير من كبراء عصره وطوائفه بانشاء مكتبات خاصة حوت الكثير من الكتب القيمه ذات النفع العظيم . وحتى النساء المثقات اشتغلن بجمع الكتب وانشاء المكتبات ، ومن أشهرهن عائشة بنت احمد بن قادم ، وكانت من أبرع النساء فى الأدب والشعر ، وكانت مكتبتها من أغنى المكتبات الخاصه بها حوته من ذخائر وتحف . ولم يقتصر هذا الاهتمام على ايناء المسلمين فحسب ، بل تعداه الى سائر الاجناس والديانات من يهود ونصارى ، فلقد برع أفراد الطائفتين باجادة اللغة العربية ، وبالتالى استطاعوا تذوق ثمارها بما أتىح لهم من فرص . ومن أشهر هؤلاء الطبيب اليهودى حسداى بن شبروط طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر ، ففى ظله وتحت رعايته وتشجيعه كتب اليهود فى قرطبه باللغة العربية وألفوا الكتب عنها (٢) . ولقد اشتهر أهل قرطبه بتقديرهم للكتب وشغفهم باقتنائها حتى أصبح ذلك عندهم دلالة على الوجاهة والرفاسه ، وحتى أن بعضهم كان لا يعرف قيمة الكتاب وما دتسه

(١) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام ، الجزء الاول ، القسم الثانى ، ص ٥٠٩ .

(٢) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ٥٠٩ .
- ليقر بروفسال : حضارة العرب ، ترجمة دوقان قرقوط ، ص ٦٤ .

ولكنه كان يحصر على شرائه لكى يزين به مكتبه ويسد به نقصا فى المكتبه ،
أول يقال ان فلانا عنده الكتاب الفلانى من دون الناس (١) .

ويقص علينا القزى قصة رواها عن احد رواد سوق الكتب فى قرطبه
ويدهى الرجل بالحضرمى ، فيقول : [أقمن سره بقرطبه ولا زمت سوق كتبها
مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء ، الى أن وقع وهو بخط
فصيح وتفسير ملوح ، ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد فى شغفه
فيرجع الى الضادى بالزيادة طلى الى أن بلغ فوق حده ، فقلت لى :
يا هذا أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوى . قال :
فأرانى شخصا عليه لباس رياسة ، فدنوت منه وقلت له : أعز الله سيدنا
الفقيه ان كان لك غرض من هذا تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق
حده . قال : فقال لى : لست بفقيه ولا أدرى ما فيه ولكنى أقمت خزانة
كتب واحتفلت بها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، ويقى فيها موضع يسع
هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما
أزيد فيه . والحمد لله طلى ما أنعم به من الرزق فهو كثير . قال
الحضرمى : فأخرجنى وحملنى طلى ان قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيرا
الا عند ملك ، يعطى الجوز من لا له اسنان . وأنا الذى أعلم ما فى
هذا الكتاب ، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا وتحول قلبي
ما بيدى بينى وبينه] (٢) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) القزى : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١١ .

وهكذا أسهم الخليفة الحكم المستنصر في جعل سوق الأدب والمعلم في الاندلس من أكثر الأسواق رواجاً ، فأثمة العلماء والطلاب من جميع البقاع للشراء والاستزاد في معلوماتهم وللدراسته ، وأثمة العلماء للشراء المزيت من الكتب ولبيع مؤلفاتهم بأثمان مغرية . وكان لتشجيع المستنصر واهتمامه بالكتب ان فتحت الأبواب لجميع العلماء للتأليف وللإثابة عليهم حتى قيل عن الحكم انه لم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والتشجيع عليها ، وایصال صلاته الى العلماء حتى في الامصار والمناطق الخارجة عن الاندلس كما فعل مع ابن الفرج الاصبهاني للحصول على مؤلفه الاغانى قبل ان يحصل عليه احد (١) . ولقد اعتبر الحكم المستنصر في حبه وشغفه بالعلم بعد عهد ابيه عبد الرحمن الناصر كالأئمة العباسی بعد عهد هارون الرشید . فقد كان يحضر زاحراً في الأدب والتاريخ وطالما كبريا بالعلوم الدنيوية مشجعاً على دراستها وموئداً فيها للرأى الحر والتفكير المنطقى السليم . وقد جاءت بعد حركة جمع الكتب حركة تنسيق وتبويب ونسخ وتعليم شارك فيها جميع أفراد الشعب وعلى رأسهم المستنصر الذى حرص على كل كتاب يقرأه ان يدون ملاحظاته ورأيه فيه . (٢)

وكان المستنصر يقضى جزءاً من وقته بين ابها وأروقه مكتبة القصر ، يطالع فيها ويقرأ ويبحث ويعلق ، وكان من أعظم اصفياه في هذه القرآت الشخصية المفيدة محمد بن يوسف الحجارى ، والفتى ساهور الفارسى (٣) .

(١) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٣٦٢ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) طى محمد راضى : الاندلس والناصر ، ص ٦٨ .

(٣) عبد الكريم التوانى : المرجع السابق ، ص ٦٦٠ .

هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبه وتحويله الى جامعة علمية :

يعتبر مسجد قرطبه الجامع من أعظم وأعظم الاعمال المعمارية التي قام بها المسلمون في الشرق والغرب . ويعد محرابه من أروع محاربه الجوامع الاثرية الباقية حتى وقتنا الحاضر ، وهذا انما يدل على ان المسلمين كانوا من أعظم مهندسي الدنيا حتى مطلع العصور الحديثة ، وعجوبة هذا المسجد وميزته وجماله مركزه في الزيادة التي اضافها الحكم المستنصر في عهده الزاهر ، والتي استطاع فيها أن يؤلف بين الوضع القديم والجديد بصورة فنية حفظت للبناء جدته وتكامله وجماله (١) .

ويروى لنا هذا الجامع في تطوره قصة البيت الأموي الذي أسسه عبد الرحمن الداخل والتي وصلت بعده الخلافة الأموية الى أوجها وعظمتها في أيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وكذلك وصل الجامع الى أوجه وعظمته في أيامها (٢) .

ولقد حرص حكام البيت الأموي ان يضيفوا الى هذا المسجد قدر ما استطاعوا فكان كل منهم يجتهد في الاضافة اليه ووضع اسمه فيه (٣) .

ويقع المسجد الجامع بقرطبه على امتداد الواجهة الشرقية للقصر الخلافي ، والوشمال قنطره قرطبه (٤) .

-
- (١) حسين مؤنس : رحلة الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ص ٧٢ .
 - (٢) حسين مؤنس : نفس المرجع السابق ، ص ٧٩ .
 - (٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
 - (٤) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

ويصفه الحميرى بقوله : [من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة ، واحكام
صنعه ، وجمال هيئته ، واتقان بنيه ، تهتم به الخلفاء المروانيون ، فزادوا
فيه زيادة بعد زيادة ، وتتمها اثر تميم ، حتى بلغ الغاية في الاتقان
فصار يحار فيه الطرق ويعجز عن حسنه الوصف] (١) .

ويعد هذا المسجد مفخرة من مفاخر قرطبه حيث يقول فيه ابو محمد
ابن عاتيه :

بأربع فاقت الا مزار قرطبه	منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثتان والزهره ثالثه	والعلم أكبر شئ وهو رابعها (٢)

وكان هذا المسجد موضع تعظيم واجلال وتكريم من قبل أهل الاندلس
جميعا لأن التابعين - رضوان الله عليهم - مثل حنشى المنعاني وغيره
قد تولوا تأسيسه والشاركة في بنائه ، ولذلك أطلق عليه الجامع الأعظم ،
والجامع المبارك ، والجامع المكرم . وبلغ من احترام أهل الاندلس
وتعظيمهم له انهم اهتموا به وطوروه ، ولم يحاولوا ان يشيدوا غيره ، رغم
ما كان لهم من أهبة الخلافة وظامة الملك وكثرة الاموال . ولكن حرصا
منهم على التقاليد ، والتمسك بمناهج أجيالهم الأولى (٣) .

ولم تقتصر وظيفة جامع قرطبه على اتياره مركزا دينيا ومسجدا بـسـلـ

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٥٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

كان يتخذ لبعض المهام الكبرى في الدولة مثل بيعة الأمراء والخليفة الجديد ، وكانت تعلن من فوق منبره العظيم الامور الهامة في الدولة ، وتقرأ الأوامر الخلافية لسمعها الجميع ، وفيه يعقد مجلس قاضي القضاة .
 وفضلا عن ذلك كله كان مركزا لجامعة قرطبة الشهيرة التي نمت وازدهرت في فترة الخلافة الزاهية ، فقد كانت تنظم بين أروقته حلقات الدراسة من كل فرع ولون ، والتي جعلت من قرطبة أعظم مركز للدراسات العلمية على اختلاف مجالاتها (١) .

ولقد افتتح الحكم المستنصر خلافته بالنظر في زيادة المسجد الجامع بقرطبة وهو أول عمل حرص على تنفيذه عند ولايته للحكم . وقد قلند هذا الامر لحاجبه وسيف دولته جعفر المصحفي ، وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر رمضان من عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، وهو ثاني ايام حكمه المسعيد (٢) .

وكان سبب تلك الزيادة ان عند السكان في مدينة قرطبة عند ازداد زيادته كبيرة في عصر عبد الرحمن الناصر ، حتى غرق بهم المسجد ولم يعد يتسع لجموع المصلين في أيام الجمع والاعياد ، ما دعا الحكم المستنصر الى التفكير في الزيادة فيه وتوسعته حتى تتسع جنباته لتلك الجموع الهائلة من الناس . فقرر الخروج بنفسه لتقدير تلك الزيادة ، ثم دراسته

(١) محمد عبد الله خان : الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٩ م ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ص ٢٢ .
 (٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

التخطيطات اللازمة للبناء وتفصيل وحدة البنيان ، ثم أمر بعد ذلك باحضار
المختصين من مهندسين ، وبنائين ، وعرفاء ، وفعالين ، والآلات والمسواد
اللازمة للبناء ، وكل احتياجات المسجد سواء من رجال أو مواد بناء ، وبعد
ذلك أمر باحضار الاحجار اللازمة للبناء من جبل قرطبه .

وقد حددت الزيادة المطلوبة فكانت محددة من قبله المسجد الذى
نهاية الفضاة القبلى ، واعتدت الزيادة نحو الجنوب فمدت صفوف من
الاقواس القديمة جنوبا سافة ٩٥ ذراعا أى ٤٦ مترا . ولكن قبل أن يبدأ
المهندسون أعمالهم للمسجد اعترض العلماء وأهل التمديد على البناء
حسب الاتجاه القديم ، لأن القبلة القديمة كانت منحرفة الى ناحية المغرب ،
فاضطر الحكم المستنصر توقيف العمل ثم استشار أهل الرأى والعلم ففى
تحريفها ناحية الشرق ، ولكن الفقيه أبى ابراهيم - وكانت له مكانة خاصة
عند الخليفة الحكم المستنصر - اعترض على ذلك قائلا : [يا أمير المؤمنين ،
انه قد صلى الى هذه القبلة خيار هذه الأمة من أجنادك الأئمة
وملحاه المسلمين وعلماهم منذ افتتح الاندلس الى هذا الوقت تأسيين
بأول من نصبها من التابعين كعيسى بن نصير ، وحشى المنعانيين ،
وأمثالهم ، رحمهم الله تعالى ، وانما فضل من فضل بالاتباع وهلك من هلك
بالابتداع . فأخذ الخليفة برأيه وقال : نعم ماقلت ، وانما مذهبنا
الاتباع .] (١) . وهكذا تم بناء قبة المحراب فى جمادى الاخر من

(١) المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الاول ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

سنة ٣٥٤ هـ . وفي نفس هذه السنة وصلت الفسيفساء* للمسجد الجامع
للتزيين به ، فزين به وجه المحراب ووجه العقدين في الشرق والغرب ،
وزينت به أيضا القبة الوسطى التي تعلو المحراب (١) .

ويذكر ابن عذاري : ان الحكم المستنصر ارسل الى ملك الروم طالبا
منه الفسيفساء* لتزيين المسجد مع العمال لتركيبها كما فعل مع الوليد بن
عبد الملك عندما تم بناء* مسجد دمشق ، فتم له ما أراد وارسل ملك الروم
الفسيفساء* والصناعين المهرة ، فعملوا في المسجد مع رجال من الصانعين
في الاندلس الذين تعلموا الصنعة منهم فائقوها وتم التزيين في أحسن
صوره (٢) .

وهكذا تم بناء* قبة المحراب وسجل على القاعدة المشبكه لهذه القبة
الكتابة التذكارية الآتية بدو*ة بقوله تعالى [. . .] ذلك عالم الغيب
والشهادة العزيز الرحيم هو الحق لا اله الا هو فادعوه مخلصين اليه
الدين لله الحمد لله رب العالمين موفق الامام المستنصر بالله عبد الله
الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله لهذه البنية المكرمة ومعينه على نيتته
الخالدة في التوسع لرعيته . . ما اليه واليهم الرغبة فيما ابتدأ من فضله
فيهم وصلّى الله على محمد وسلم . . . أمر الامام المستنصر بالله عبد الله
الحكم أمير المؤمنين وفقه الله مولاة وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والجزء* ، ص ٣٤٢ نقلا عن ابن

عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

بتشبيك هذه البنية ، فتم يعون الله بنظر محمد بن تليخ واحمد بن نصر
 وخالد بن هاشم اصحاب شرطته ومشارف بن عبد الرحمن الكاتب . . . [(١)] .
 ويعلو عقد المحراب نقش كوفى جميل فيه يظهر بوضوح امر الحكم المستنصر
 لحاجبه بعمل الفسيفساء فى البيت المكرم ، ولقد تم ذلك بالفعل فى عام
 ٣٥٤ هـ ، وفى نفس هذه السنة التى أقام فيها قبة المحراب ، وزينت الجدران
 بالفسيفساء تم عمل المشرع الى الساباط المتصل بالمقصورة عن طريق العقد
 المجاور للمحراب من اليمين ، والمخزن المتصل بالمقصورة عن طريق العقد
 الذى يلى عقد المحراب من اليسار (٢) .

وفى سنة ٣٥٤ هـ سجل ذلك فى نقش كتابى نصه [بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ
 الرَّحِيْمِ ﴿١﴾ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِيتْنَا اَوْ اَخْلَاْنَا * رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
 عَلَيْنَا اِثْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا * رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا كَافَّةَ
 لَنَا بِهِ * وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا * اَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِيْنَ ﴿٢﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
 اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣﴾ . الملك لله على الهدى وصلى الله على محمد
 خاتم الانبياء ، امر الامام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين
 وفقه الله مولا ، وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذا
 المشرع الى مصلاه ، فتم يعون الله ، بنظر محمد بن تليخ واحمد بن
 نصر وخالد بن هاشم ومشارف بن عبد الرحمن الكاتب . الحمد لله . [(٣)] .

-
- (١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
 (٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .
 (٣) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

وفي عام ٣٥٥ هـ أمر الحكم المستنصر بوضع المنبر القديم الى جانب
المحراب . وفي عام ٣٥٦ هـ أمر الحكم المستنصر بهدم الميضاة القديمة
التي بناها الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل وبنى بدلا منها أربع
مبشرات في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي منها اثنتان
كبيرة للرجال واثنان صغيرى للنساء ، وأجرى فيها الماء من سفح جبل
قربها الى أن صبت ماءها في أحواض من الرخام لا ينقطع جريانها ليلا
ونهارا وكانت مصنوعة من الداخل من الرصاص لكي تحفظه من كل دنس (١) .

ولقد تغنى الشعراء بتلك القنوات وفاضها التي كانت تمر بها المياه ،
فهذا الشاعر محمد بن شخير يشهد قائلا :

وقد خَرَقَتْ بِلُحُونِ الْأَرْضِ عَنْ نُطْفٍ
مِنْ أَغْذِي الْمَاءِ نَحْوَ الْبَيْتِ تَجَرُّ بِهَا
طَهْرَ الْجَسْمِ إِذَا زَالَتْ طَهَارَتُهَا
رَى الْقُلُوبَ إِذَا حَرَّتْ صَوَادِيهَا
قَرَنْتَ فَخْرًا بِأَجْرِ قَلٍّ مَا اقْتَرَنَا
فِي أُمِّهِ أَنْتَ رَاعِيهَا وَحَامِيهَا (٢)

وقد اختتم الحكم المستنصر أعماله الانشائية الخاصة بالمسجد الجامع
بقربها ببنا دار للصدقة غربي المسجد الجامع لتوزيع الصدقات المتواليه
وابتني للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الغربي (٣) .

-
- (١) المقرئ : نفح الطيب ، المجلد الاول ، ج ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ - ابن
غازي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .
(٢) ابن غازي : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .
(٣) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

و - جامع قرطبة يتحول الى جامعة علمية في عهده :

بعد أن طعنا ما كان من توسعة الحكم المستنصر بجامع قرطبة ، ننتقل
لنرى كيف تحول الجامع الى تلك الجامعة العريقة . فنقول ان المسلمين
لم يتخذوا المسجد في فترة من الفترات للعبادة فحسب بل كان مركزا
دينيا وطنيا في وقت واحد . ولما كانت قرطبة عاصمة الخلافة في الدولة
الاموية بالاندلس فقد نشطت فيها الحركة العلمية نشاطا بارزا حتى غدت
مركزا لاهل العلم والعلماء ، وصارت قاعدة للعلوم ومركزا للاداب ، وارتبط
اسمها الى حد كبير بالعلم ، بل أصبح العلم من سماتها البارزة الواضحة ،
وضربت الأمثال بشهرتها العلمية وابقبال أهلها على مجالس العلم وتزورها
بلاد الأندلس في ذلك المجال . ويتضح لنا ذلك من قول ابن رشد
لابن زهر في مجال تفضيل قرطبة على اشبيلية [ما ادرى ما تقول غير انك
اذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حطت الى قرطبة حتى تباع فيها ،
وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حطت الى اشبيلية . (١)] .

ولقد اجتذبت قرطبة فعول العلماء والادباء والشعراء ، فقصدها
من كل مكان ، وأصبحت بلاد الأندلس مرتعا خصباً لنشاطاتهم العلمية
وانتاجهم المشرعوصا حينما وجدوا الهيئة المألوفة لنشر كل طوبىهم
وأفكارهم بالاضافة الى الترحيب بهم من قبل حكامها الذين حرصوا على
توفير الأمن والاستقرار ، وأمدوهم بكل ما يحتاجونه لتنمية مواهبهم

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ،
(نقلا عن المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٤٧) .

وقد راتهم ، ووفروا لهم كل السهل للانتاج والتأليف بصورة لم يعهدوها ،
فشاركوهم في ساجلاتهم الادبية وفي ندواتهم الشعرية ، ولقد حرص
الحكم المستنير بنفسه على كل ذلك حتى استحق ان يطلق عليه لقب
ال خليفة العالم (١) .

وكان من أبرز اهتماماته اهتمامه الكبير بجامع قرطبة ، فبفضل جهوده
ومثابرته تحول الجامع الى جامعة علمية بكل ما تعنيه هذه الكلمة في
عصرنا الحاضر ، وما ساعد على تحقيق هذا الهدف ما عرفه من
اهتمام بجمع الكتب الثمينة ذات القيمة العلمية ، وما انفق من أموال في
سبيل ذلك حتى تكونت لديه المكتبة الضخمة التي استفاد منها جميع
رعاياه .

وكان جامع قرطبة شأنه شأن بقية الجوامع في الامصار الاسلامية
يقوم باداء رسالته العلمية في المجتمع الاندلسي ، وكان طما* المسلمون
يقومون بتدريس العلوم الشرعية في المقام الأول ، ولكن الحلقات في جامع
قرطبة لم تقتصر على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية فحسب بل تعدتها
الى جميع العلوم الطبيعية من رياضة وفلك وكيمياء* وطب وجغرافيا وتاريخ
وغيرها من العلوم (٢) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة ، ج ٢ ، ص ١٦١ .
(٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم في اسبانيا الاسلامية ، ص ١ - ٢ ، عبد الحليم
منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، القاهرة ، دار
المعارف بمصر ، مطبعة معهد دون بوسكو ، الاسكندرية ، ط ٤ ، (١٩٧١ م)
ص ٥٤ - ٥٥ .

ونتيجة لتدريس جميع المواد العلمية تحول جامع قرطبة الى جامعة
عظيمة لكثرة العلماء والاساتذة الذين يحاضرون فيه ، وكثرة الحلقات
المعقودة في أروقة للبحث والدراسة .

ولقد حرص الحكم المستنصر على امداد جامعة قرطبة بكل ما تتطلبه
من امكانيات مادية وتنظيمات ، فقد عين أخاه النذر بن عبد الرحمن
عميداً لها ، برعى أمورها ويدبر شؤونها ويتفقد أحوالها . ولم يكتف
الحكم المستنصر بالقائم العيني على أخيه النذر بل كان يراقب بنفسه
تطور الامور وسيرها بالجامعة ، ويتتبع سير اخبارها ، ويضهر على
امدادها بكل جديد ومفيد ، حتى بلغت تلك الجامعة في عهده شأواً
عظيماً ، وبلغت قرطبة مكانة عظيمة فحق لها ان تسمى دار العلوم .
ولم تقتصر تلك الجامعة على الطلبة الاندلسيين فحسب ، بل تواجد اليها
الطلبة من جميع انحاء العالم الاسلامي والمسيحي معا في جوارح
من التسامح والود (١) .

ولقد سبقت جامعة قرطبة في تأسيسها الجامع الأزهر في القاهرة ،
والمدرسة النظامية في بغداد (٢) .

ومن اشهر من درس في جامعة قرطبة العالم الكبير أبو طلي القاسي ،

-
- (١) محمد كرد طي : الاسلام والحضارة العربية ، ص ٢٠٦ - عبد الكريم التواني :
المرجع السابق ، ص ٦٦٠ - ٦٦١ - محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة
العلمية في الدولة الاسلاميه ، بيروت ، دار العلم للملايين ، وكالة المطبوعات
الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤١ .
- (٢) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ، الطبعة الاولى ، ١٩٤٩ م ، مطبعة
العالم العربي ، ص ٦٨٩ .

وابن القوطيه ، وابوبكر معاويه القرشى وغيرهم من فطاحل العلم والادب . اما
القالى فقد املى دروسه فى الادب ، وأما ابن القوطيه فكان امام اللغة
والتاريخ ، فقد املى كتبه وشروحه على طلبته وطال عمره فسمعه جيسل
بعد جيل . وكان أبوبكر معاويه القرشى استاذ العلوم الشرعيه وبخاصة
علم الحديث (١) .

وفى الحقيقة كان الجاسع مقر العلم والتعليم الذى يؤدى رسالته
فى تعليم الناس وفتح أبواب المعرفة لهم والرقى بحياتهم الدينية
والدنيوية . واتصف جاسع قرطبة فى عصر الخلافة بالنشاط العلمى الكبير
الذى كان بمثابة مصدر إشعاع اضاء لاندلسيين وغيرهم الكثير ممن
دروا المعرفة التى قادتهم الى درجة رفيعه من الحضارة والتقدم (٢) .

وهذه الطريقة وتلك الرعاية الفائقة اقبل الجميع من مختلف النحل
والطل الى قرطبة لتلقى العلوم ، ولقاد اتاح الحكم المستنصر لهذا جميعا
فرص تلقى العلم فى قرطبة ، فلم يقتصر عطفه ورعايته على أهل العلم
وطلبته من المسلمين فقط ، بل تعداه الى جميع الفئات الاخرى . ومن
أبرز شواهد تلك الرعاية رعايته للعالم ريشوندو الالبيرى المسنى وبهيم
ابن زيد عند العرب ، والذى كان اثرا لدى الحكم المستنصر لمكانته
العلمية وتبحره فى علوم الفلك والفلسفة وعلوم اللغات العربية واللاتينية ،

(١) عبد الحميد العبادى : المجلد فى تاريخ الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٤ ،

دار العلم ، الطبعة الثانية ، ص ١٢٥ .

(٢) سعد البشرى : الحياه العلميه ، ص ١٤٦ .

فكان برعاء ويعطف عليه ويقربه منه حتى استطاع ان يشغل مكانة كبيرة في القصر (١) . ولقد اشد كثير من العلماء الاوربيين والاسبان بجهود الحكم المستنصر العلمي وبرعايته للعلماء وبالحركة العلمية في عهد التي لم يعرف العلماء لها نظيرا من قبل ولم تتسم بالتعصب قط . وفي هذا الصدد ينقل لنا محمد عبدالله عنان في موسوعته دولة الاسلام في الاندلس أقوال المستشرقين دوزي وموديسني Lafont عن تسامح الحكم المستنصر فالستشرق دوزي يقول عنه : [ان افداق الحكم على العلماء الأسبان والاجانب لم يعرف حدا ، وقد كانوا يهرعون الى بلاطه ، وكان الطبيب يشجعهم ويوليهم رعايته ، حتى الفلاسفة استطاعوا في ظلهم ان ينصرفوا الى بحوثهم دون خوف] (٢) .

اما موديسني Lafont فيقول عنه أيضا : [كانت دولة الحكم الثاني دولة الاداب والحضارة كما كانت دولة ابيه دولة العظمة والبهائم . وان الرواية العربية لتحبو الحكم بكثير من جميل الذكر ، فهل نفقسي نحن عن تسجيل اعجابنا بما لهذا الاموي المستنصر من الصفات الباهرة لأنه كان مسلما ولم يكن نصرانيا . . . لقد قدم الأدلة على ان الرغبة في السلم لم تكن لأنه لا يعرف الحرب ولا النصر . ولكن لأنه كان يؤثر الهام القرقي ويؤثر الكذب على خزائن السلاح واكليل الجامعات الحقيقي على اكليل الحروب الدوى لقد تحول بلاط قرطبة الى نوع من

(١) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٥٧ .

(٢) محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، القسم

الثاني ، ص ٥٠٨ .

الأكاديمية العظيمة ، واغدى على عشرات العبقريّة فيض الاغداق والكسـم
 الراضع ، ونستطيع ان نقدر مدى التضحيات العظيمة ومدى الصبر والمثابرة
 والنفقات التي أمكن أن يتحقق بها انشاء تلك المجموعة المدهشة من
 أربعائة الف الى ستائة الف مخطوط وهى محتويات مكتبة قصر بنى مروان . .
 ان هذا المستودع الزاخر من ثمرات العقل وتلك الحضارة التي وصل اليها
 العرب فى عصر الحكم كانت قد وضعت بذورها من قبل ، وتماقب أمراء
 بنى أمية منذ عصر عبد الرحمن الداخل فى تعهد ها بالفرس والنساء ،
 وقد كانوا جميعا من أهل العلم والادب ، ومن حباة العلوم والآداب . . .
 لقد جاء هذا الخليفة الشهير الذى يعشق الآداب فى عهد سعيد من
 السلم ، ولما كانت بذور التمدن موجودة من قبل فقد تفتحت فى ظل
 رعايته وازدهر الفرس ازدهارا عظيما حتى انه بعد الحرث الكثير والمطر
 الفزير بدت شمس وضوء رابعة منعمة [(١)] .

ويقول عنه ايضا ليفى بروفنسال : [طينا ان نبرز فى المقام الأول ذلك
 الاسم الخالد الحكم الثانى طالما لا غبار عليه - راعيا مهيبا عظيما
 للآداب والعلوم صديقا للفنون] (٢) .

أما غونثالط بالنسيا فيقول : [ان تسامح الحكم مع العلماء لم يكن
 له حدود ما دفعهم للالتفاف حول بلاطه ، ولقد قام بحمايتهم وتشجيعهم
 حتى الفلاسفة منهم ، أعطى العربى لكى يقوم الرياضيون والفلكيون بالتدريس
 طنا لتلاميذهم] (٣)

(١) محمد عبد الله خان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٨٠٠ .
 (٢) محمد عيسى : تاريخ التعليم فى اسبانيا ، ص ١٠٠ . نقل عن (غونثالط
 بالنسيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٤٤١) .

(٣) الحياة العلمية في الاندلس في عهد الحكم المستنصر

كان عهد الحكم المستنصر في مجال الحياة العلمية في الاندلس - كما سبق ان ذكرت - امتدادا لما تحقق في عهد ابيه عبد الرحمن الناصر ، بل لا أغالى اذا قلت أن عهد الحكم المستنصر يمثل ذروة ما وصلت اليه النهضة العلمية في الاندلس في كافة عصورها . وسيرى القارىء - هذه الحقيقة ناصعه تتكلم عن نفسها من خلال التراجم التى سأعرضها فيما يلى لمن برز من علماء الاندلس في شتى مجالات العلوم الشرعية ، واللغوية ، والأدبية ، والانسانية والتجريبية .

أ - العلوم الشرعية

ففى مجال العلوم الشرعية برز في عهد الحكم المستنصر علماء كثيرون فى القراءات والفقه والحديث . والى القارىء تراجم أبرز هؤلاء العلماء فى كل فرع من هذه الفروع .

علم القراءات

كان علم القراءات من العلوم التى استحوذت على انتباه أهل الاندلس ، وخاصة اذا علمنا مدى العلاقة الوثيقة بينه وبين القرآن الكريم ، وبناؤه عليه فقد برز علماء اجلاء فى مجال القراءات . ولقد اقتبسوا علومهم فى هذا المجال بالذات من أهل الشرق الذين كانوا آنذاك فى ذروة تطوره - العلم ونشاطهم الفكرى ، ومن العلماء البارزين فى هذا المجال :

- طوى بن محمد بن اسماعيل من بلدة انطاكية بالشام قدم الى الاندلس

سنة ٣٥٢ هـ فاستقبله المستنصر اجل استقبال واكمرم وفادته ونزل من الناس منزلة رفيعة ، وكان عالما بالقراءات رأسا فيها مقدما على أهل وقته في علومها ومعرفة سائلها ، ولقد برع في القراءات جميعا باختلاف صورها ، وادخل الى الاندلس طما كثيرا من القراءات ، فقرأ الناس عليه وكتبوا عنه ، وقد توفي سنة ٣٧٧ هـ (١) .

- الفقيه محمد بن الحسين بن محمد المقرئ من أهل القيروان . درس هذا العلامة القرآن وعنى بقراءاته والتعرف على وجوه القراءات المختلفة ، فلقد جود القرآن وثبت من قراءته ، وكان حسن الصوت ، رحل الى الاندلس وقد أخذ عنه العلماء وطلاب العلم ، وكان الناس يقرؤون عليه ويأخذون عنه ، توفي سنة ٣٦٨ هـ (٢) .

- حكم بن محمد بن هشام ويعتبر من أبرز القراء الذين كانت لهم معرفة تامة بالقراءات . قرأ القرآن بالقيروان ثم في مصر ثم قدم الى الاندلس حيث اكرمه المستنصر بالله وقربه اليه ، ثم عاد الى المغرب حيث اتحنه عبد الله الشيعي لقوله الحق ، فعاد الى الاندلس مرة أخرى ، فاکرمه المستنصر ايضا ورحب به . وقد كان يقرئ القرآن الى ان توفى رحمه الله سنة ٣٧٠ هـ (٣) .

-
- (١) ابن الغرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثاني ، ص ٣١٧ .
 - (٢) ابن الغرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١١٤ .
 - (٣) ابن الغرضي : نفس المصدر ، القسم الاول ، ص ١٢١ .

الفقيه

يعتبر الفقه من أهم العلوم التي نشط فيها الاندلسيون في مجال الدراسات الدينية ، وعملوا على نشرها وازدهارها والبحث في سائلها ومناقشة ما جدد على المسلمين من أمور مستحدثة دعتهم اليها البحث والنظر في احكامها وموقف الشريعة منها . وكان علم الفقه من أول ما اشتغل به طما^{*} الاندلس اذ كان للفقيه عندهم مكانة ومنزلة لا يسمو اليها احد . وكان أهل الاندلس يتهجون في فقههم مذهب الامام مالك بن انس صاحب دار الهجرة (١) .

ومن ابرز الفقهاء في عصر الخليفة المستنصر :

عبد الله بن محمد بن قاسم التفرى ، وكانت له رحلات علمية الى الشرق وكان فقيها ودينا وورعا في طلب الحق لا يخاف أحدا في قول الحق والتصريح به ، وكان اصحابه يشبهونه بسفيان الثوري علامة الشرق وفقهها . سمع به المستنصر وبمعرفة الواسعة في الفقه قاستقد منه واستقفاه ثم رحل عن قرطبه وعاد اليها ، فاستقبله طلاب العلم وطما^{*} الفقه بأحر استقبال واكرم ترحاب واخذ عنه الناس كتاب (معاني القرآن) للزجاج واستفاد منه العلماء وأخذوا عنه طما غزيرا وشبههم ابن الغرضي الذي أجاز له العلامة التفرى روايته . وكان لهذا العلامة وقفات شرقية في جهاد النصارى مع المستنصر وتوفي سنة ٣٨٣ هـ (٢) .

(١) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) ابن الغرضي : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٢٤٥ .

- محمد بن يحيى بن مفرج القاضي . حافظ جليل ، حدث بالاندلس وصنف كتباً في فقه الحديث وفي فقه التابعين ، منها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات ، وفقه الزهري في أجزاء كثيرة . وجمع مسند حديث قاسم ابن ابيغ للحكم المستنصر ، وتوفي عام ٣٨٠ هـ (١) .

- اسحاق بن ابراهيم بن سرة . كان حافظاً للفقه على مذهب الامام مالك واصحابه مقدماً فيه . وكان مشاوراً في الاحكام صدراً في الفتيا ، وكان يناظر عليه في الفقه ، كان وقوراً مهيباً ، خرج غازياً مع الحكم المستنصر بالله ، وقد توفي سنة ٣٥٢ هـ (٢) .

- زكريا بن يحيى بن زكريا التميمي . كان فقيهاً نبيلاً في الفتيا وفقد الشروط ، وكان قد تولى القضاء في أيام الناصر والمستنصر وكان ثقة ، وقد كتب الناس عنه كثيراً . توفي عام ٣٥٩ هـ (٣) .

- محمد بن عبد الله بن أبي شعبة . كان من أهل اشبيلية ومعدوداً في فقهائها وله مكانة كبيرة بينهم (٤) .

- عايد احمد بن عايد ابو القاسم الطليطلي . وهو فقيه مشهور ، وقد توفي سنة ٣٦٢ هـ (٥) .

(١) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٤٨ ، الضبي : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الأول ، ص ٧٢ .

(٣) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الأول ، ص ١٥١ .

(٤) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ٨٦ .

(٥) الضبي : بغية الطائفة ، ص ٣٢٣ .

- محمد بن عبد الله بن الوليد بن محمد القرشي المعيطي . كان فقيها جليلا زاهدا ورعا حافظا للفقه طالما بالرأى على مذهب الامام مالك وأصحابه ، وقد قدم الى الشورى وهو ابن ثلاثين سنة ، وتوفى سنة ٣٦٧ هـ (١).

- قاسم بن خفاف بن عبد الله بن جبير المعروف بالجبيرى . كان فقيها طالما حسن النظر ، استقفاه المستنصر على طرطوسة وأعمالها ، وقد عهد الى الحكام بمشاورته فكان صدرا فى أهل الشورى . وكان المستنصر يجتمع ضده ويناظر طيه فى الفقه ، وكانت الدراية أغلب من الرواية ، ولقد توفى سنة ٣٧١ هـ (٢) .

- محمد بن عبد الله بن سيده من اهل بجاية . كان فقيها ، حافظا للمسائل ، ولقد هوب المستخرجة للامام المستنصر ، وتوفى سنة ٣٦٣ هـ (٣) .

- احمد بن عبد الوهاب بن يونس ، المعروف بابن على الله ، كان رجلا حافظا للفقه طالما بالا اختلاف ذكيا بصيرا ، وكان يميل الى المذهب الشافعى فتفقه فيه وناظر طيه ، وكان له حظ فى العربية واللغة وكان يعد من المقابليين للمستنصر (٤) .

- ابو عبد الله محمد بن الحارث بن اسد الخشنى القيروانى المفرجى . كان حافظا طالما بالفتيا حسن القياس ، وشاعرا بليغا ومفرما بالكهيمياء .

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٢٨ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٣٦٩ .

(٣) ابن الفرضى : نفس المصدر ، القسم الثانى ، ص ٢٣ .

(٤) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٤٧ .

استطاع بعد انتقاله الى قرطبه ان ينس ثقافته اللغوية والفقهية وان يوطد علاقته بالحكم المستنصر الذي صنف له كتباً كثيرة ، منها كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك ، وكتاب الفتيا ، وكتاب تاريخ الاندلس ، وكتاب تاريخ الافريقيين ، وكتاب النسب ، وكتاب اخبار القضاة بالاندلس . والاتفاق والاختلاف لمالك بن انس وأصحابه ، وقيل انه صنف مائة ديوان للحكم المستنصر ، وجمع له كتباً في زجال الاندلس . هذه الثروة كلها كانت من انتاج الخشني وحده فرحم الله العلماء المسلمين فلقد أفادوا أهل الاندلس بعلمهم (١) .

الحديث

اهتم المسلمون بدراسة الحديث وحفظه ومعرفة صحيحه من سنيقه ، وترتب على ذلك ازدهار علم الحديث ، فتناولوه العلماء بالتأليف والبحث ومناقشة ما استجد من الموضوعات في مجال علوم الحديث . ومن أبرز علماء الحديث في عهد الحكم المستنصر :-

- قاسم بن اصبح بن محمد بن يوسف البهاني . من علماء قرطبه ، وقد كان صاحب مكانة علمية بارزة وطم غزير . تهافت عليه طلاب العلم ، وقد سمع منه الحكم المستنصر واستفاد بعلمه الواسع في مجال الحديث ، واستفاد من اخوته أيضا الذين تلقوا العلم على يديه ، وقد طال عصره حتى أخذت عنه طبقات تلو طبقات من طلاب العلم ، والحق الصغار بالكبار في الأخذ

(١) الخشني : قضاء قرطبه ، المقدمة - ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ١١٢ .

فيه ، وكان بصيرا بالحديث ورجاله والى جانب ذلك كان بارعا فى علوم اللغة والشعر ، وكان يستشير الخليفة فى البت فى الأمور الفقهية والقضائية (١).

• ابن عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى القاضى ، ويعتبر أصح محدث وحافظ فى الأندلس ، وقد سمع فى دراسته للحديث طس العلامة قاسم ابن اصبح ، وحديث بعلمه وصنف كتبها فى فقه الحديث وفى فقه التابعين منها فقه الحسن البصرى فى سبع مجلدات ، وفقه الزهرى فى أجزاء كثيرة ، وجمع مسند حديث قاسم بن اصبح للحكم المستنصر . وكان له تلامذة عظام فى مختلف الاقطار حيث روى عنه بالاندلس ابو الوليد الفرضى . وما يدل على غزارة علمه وتمكنه فى اختصاصه انه روى عن مائتين وثلاثين شيخا ، وقد مات سنة ٣٨٠ هـ (٢) .

• محمد بن فوج بن سبهون النحلى ، تنقل فى اقطار عديدة ، ومن جملتها مكة المكرمة فسمع من علمائها . وقد روى عن شيخ الحديث البخارى رواية النسفى . وقد ازدحم على مجلسه طلاب العلم ورواد الحديث حتى سمع به الخليفة المستنصر وادرك ما يحتاج به من علم ومعرفة بالحديث ودراية بعلمه ، فاستقدمه الى قرطبة للتدريس والحديث بها ، وكان ذلك عام ٣٦١ هـ حيث قدم الى قرطبة ودرس بها وصنف كتبه بها . واجتمع عليه خلق كثير أخذوا بالحديث عنه (٣) .

(١) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٣٢٠ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٧٨ .

- خالد بن سعد الذي يعتبر اماما في الحديث ، حافظا له بصيرا بعلمه ، عالما بطرقه ، مقدما على أهل وقته . وقد قيل انه حفظ عشرين حديثا في وقت واحد . وكان الخليفة المستنصر بالله يقول [اذا فاخرنا أهل الشرق يحيى بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد] ، ولخالد ابن سعد كتاب في رجال الاندلس ألفه للمستنصر ، وقد توفي هـ ٣٥٢ (١) .

- يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي . سمع من شيوخ أجلاء مثل كتاب التفسير ليحيى بن سلام على يد علي بن الحسن ، وسمع الواضحة ، ورجل الناس اليه من جميع كور الاندلس ، وكان ما رواه كتاب (الموطأ) وحديث الليث بن سعد وغيرها من أحاديث الشيوخ ، ولم يشهد بقرطبة مجلس مثل مجلسه ، ولقد سمع منه هشام المؤيد بالله ابن الحكم المستنصر ، وتوفي سنة ٣٦٢ هـ (٢) .

- زباج بن الحارث . يذكره ابن الفرضي فيقول : انه رأى في تاريخ ابن حارث ملحقا بخط أمير المؤمنين الحكم بن عبد الرحمن . وكان زباج يظن ، سمع من بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح . وكان سريع الحفظ ، قيل انه كان يحفظ عشرين حديثا في ساعة ، وتوفي في الأربعين من عمره (٣) .

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الاول ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١٩٢ .

(٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ١٥٨ .

- محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن بردة الشافعي البغدادي . تفقه
للشافعي على أبي إسحاق العروزي ، وأبي سعيد الأصطخري . ووصل
إلى الأندلس سنة ٣٦١ هـ فأكرمه الحكم المستنصر وأحسن وفادته ، فقصد
كان من أطم الناس بذهب الشافعي ، ولم يصل إلى الأندلس أحد
أفهم منه بالذهب الشافعي ولا أحسن قياما به منه . ولم تكن له كتب ،
ويقال أنها ذهبت له مع أموال في المغرب . ولقد اتهم بالاعتزال فخرج
من الأندلس إلى تيبهرت وتوفي بها سنة ٣٦٧ هـ (١) .

- يعيث بن سعيد الوراق . سمع من محمد بن معاوية القرشي المعروف
بأبن الأحمر ، وقاسم بن أصبغ ، وكان من أروى الناس ، وألف (مسند حديث
ابن الأحمر) بأسر من المستنصر . وألف (مسند حديث أبي بكر محمد ابن
معاوية القرشي) من تأليفه وما سمع منه (٢) .

(١) ابن الفرضي : نفس المصدر ، القسم الثاني ، ص ١١٤ .

(٢) الحميدي : جذوه المقنيس ، ص ٣٨٦ .

ب - علوم الفلسفة والأدب

النحو

لقد اهتمى الاندلسيون باللغة والأدب منذ وقت مبكر ، فقد كانوا يحرصون على تلقين ابنائهم الفصحى من النشور والمنظوم ليرثوها فيهم الطلقات الأدبية منذ الطفولة (١) . ولما كان الأدب يقوم أساسا على قواعد اللغة العربية الفصحى ، فكان من العيب الكبير أن يخرج أحد على تلك القواعد ويقع في اللحن . لذلك حرص الاندلسيون على الاهتمام بقواعد اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، فنبغ منهم الكثير من النحويين الذين أضافوا مادة غزيرة الى ذلك العلم ، وكان أبرزهم في عهد الحكم المستنصر :

- محمد بن الحسن الزبيدي ، وكان يعد من أشهر النحاة ، فقد كان علامة ويعد من أئمة اللغة العربية . ألف كتابا اسما (الواضح) واختصر كتاب (العين) اختصارا حسنا ، وجمع في الابنية وفي لحن العامة وفي اخبار النحويين كتابا مشهورة ، وله تعانيف في فنون الأدب ، وكان بالإضافة الى ذلك شاعرا كثير الشعر (٢) . وقد لقي من المستنصر كل تشجيع وتعظيم وقد خلع عليه خلعه سنه بعد تصفحه لكتابه اختصار كتاب العين (٣) .

- العلامة ابن سديد ، وكان اماما في اللغة العربية ومقدما فني

(١) لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٢٣ .

(٢) الفبي : بغية الطمس ، ص ٦٦ .

(٣) ابن حبان : المقتبس ، ص ١٣٣ .

علومها . ولقد ألف في اللغة مصنفات عديدة قيل انها بلغت مائة مجلد ، تناول فيها طوعا كثيرة ومتعددة . وله في العربية الكتاب المسمى (كتاب العالم والتعلم على السئلة والجواب) ، وله أيضا (شروح على كتاب الاخفش) (١) .

- فرج بن مالك النحوى المعروف بالهفل ، كان نحويا لغويا عالما بمعانى الشعر ، وله مكانة كبيرة في علمه (٢) .

- محمد بن يحيى بن عبد السلام الراعى نحوى مشهور ، ويقال عنه انه كان يعد من كبار النحويين ، ولا يقصر عن اكابر أصحاب المبرد ، مما يدل على غزارة علمه في النحو (٣) .

الأدب

وحظى مجال الأدب في بلاد الاندلس باهتمام كبير بين الناس ، وخاصة العلماء والأدباء الذين انكبوا على دراسة الأدب والاهتمام بنواحيه المختلفة . ويعتبر ميدان الأدب هو الميدان الذى حاز على أغلبية النشاط الفكرى بنواحيه المختلفة . ولا نستطيع أن ننكر مكانة الأدب وشيوعه فى المجتمع الاندلسى عامة بل نكاد نجزم قائلين ان المجتمع الاندلسى مجتمع متأدب ، ظلت عليه الصبغة الأدبية والفطرة الشاعرية لما كان للبيئة من

(١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٤٠٢ .

(٢) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ١٤٢ .

(٣) الضبى : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

معطيات جمالية ، أنت لديهم القدرة على العطاء بصورة متدفقة فظهر
لدينا أدباء بارعون ، وشعراء موهوبون . أضف الى عامل البيضة القدرات
الشعرية والطلاقات الأدبية التي جعلت منهم خطباء مصقعين وأدباء متمكين
وشعراء مبدعين . ومن أبرز الأدباء الذين حفظ لنا التاريخ فنونهم الرائعة
- الاديب العلامة احمد بن فرج الجبائى ، وكان واقر الأدب ، خصيب
الشعر ، جزيل القول معدودا فى العلماء وفق الشعراء ، وله كتاب يسمى
كتاب الحقائق ، وهذا الكتاب يعد من أثنى الكتب التي ضمت بين دفتيها
روائع الشعر الاندلسى وانتاج ادبائه . ولقد ألفه للحكم المستنصر الذى
كان يرمى الفنون والاداب ويوليها عناية . وقد طرأ فى كتابه هذا
كتاب الزهرة ، هذا الكتاب الأدبى الشرقى لمؤلفه ابى بكر محمد ابن
داود . الا أن منهج هذا الأخير كان قائما على تقسيم الكتاب الى مائة
باب وفى كل باب مائة بيت ، فى حين ان مؤلف الجبائى كان مقسوما على
ماقتى باب ، كل باب مائتا بيت ليس فيها باب تكرر اسمه ، ولم يورد لغير
اندلس شيئا ، ولقد اثنى العلماء والادباء والمشتغلون بالأدب على
هذا الكتاب لأن مؤلفه الجبائى قد أحسن الاختيار ، وأصاب الهدف
المنشود والغاية المتوخاة من وراء هذا المحصول الأدبى البديع فأتى
بكتابه الحقائق نادرا فى موضوعه وفريدا فى معناه . وله كتاب آخر يسمى
كتاب (المنتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم) ، وله كتب أخرى قيمة .
ومن المؤسف ان نهاية هذا العالم الجليل كانت السجن ، حيث نقم
عليه المستنصر لتصرف بلغه فيه ، فنفت اشجانه وأحزانه فى قوالب

شعره بدعيه (١) .

- الأديب العلامة أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب المؤلف الأدبي القيم (العقد الفريد) الذي يعد من أركان الأدب وأصوله ، فهو مرآة لثقافة الاندلسيين تعكس ما كانوا عليه من بلاغة وجزالة اللفظ وأدب راق عظيم . كان مؤلفه ادبياً شاعراً ، ولقد جمع شعره حتى ان الحميدى يذكر بأنه شاهد عند عشرين جزءاً من جطة ما جمعه للخليفة المستنصر . وكان له في العلم جلالة وفي الأدب رياسة مع دين ونزاهة بلغت اسمى المراتب (٢) .

- عبدالله بن محمد بن منيخ بن عبدالله الانصارى . من اشراف قرطبه ، وكان من أهل المعرفة والنباهة والذكاء واليقظة والحدق والفهم ، ومن أهل الأدب والتاريخ والشعر الراقى والكتابة البليغة مع الدين والنسك والعبادة . ولقد جمع كتاباً من شعر الخلفاء من بنى أمية ، وله كتاب (التوابين) من تأليفه . وكان اثره عند الحكم المستنصر ، قريباً منه ، توفي عام ٣٥٢ هـ (٣) .

-
- (١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٠٥ - ابن دحيه : المطرب في اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، حامد عبد المجيد ، احمد بدوى ، مراجعة : طه حسين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ٩٥٤ م ، ص ٤ - ٥ .
 (٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ١٠٥ - لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٧٥ .
 (٣) الضبي : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ - الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

الشعر :

ولقد ازدادت البيعة الاندلسية بعدد كبير من الشعراء الذين
اسهموا بنصيب وافر في اثراء الأدب الاندلسي بألوان متعددة ففى
موضوعات الشعر ففى عهد الحكم المستنصر ، وكان من أبرزهم :-

١- يوسف بن هارون الكندى ، ويعرف بالرمادى ، وهو شاعر كثير
الشعر ، سريع القول ، مشهور عند العامة والخاصة فى الاندلس ،
واتفق الجميع على انه (افتتح الشعر بكندة وختم بكندة) حتى ان كثيرا
من شيوخ الأدب فى وقته يرون ذلك أى أنهم يعنون امرأ القيس ، والعتبي ،
ويوسف بن هارون .

ومدح الرمادى أبا على القالى عند قدومه الى الاندلس بقصيدة
رائعة أولها :

من حاكم يهين وين غزلى الشجو شجوى والمويل عويل
كما مدح الرمادى الحكم المستنصر . وألف فى السجن كتابا رائعا سماه
(كتاب الطير) وصف فيه كل طائر معروف ، وذكر خواصه ، وذكر كل
قطعه بمدح ولى العهد هشام بن الحكم ستشغفا به الى ابيه ففى
اطلاقه بعد ان سجنه الحكم المستنصر هو وجماعة من الشعراء لانهاهم
بذم السلطان فى قصيدة شعرية . وقد عاش مدة طويلة بعد ذلك ومدح
الملك والرؤساء (١) .

(١) الحميدى : جذوة المقنن ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

— محمد بن الحسين التميمي الحمانى الطينى الزابى ، وطنه بلد
من أرض الزاب فى عدوة الأندلس . كان شاعرا مكثرا وأديبا مفتنا من
بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة . وكان معاصرا للحكم المستنصر ، وله
أولاد نجباء مشهورون فى الأدب وفى الشعر (١) .

— أبو بكر الفيلس . شاعر مبدع ، كان فى أيام الحكم المستنصر ،
وله مع الحاجب أبى الحسن جعفر بن عثمان المصطفى مجامع بالشعر ،
وله قصيدة بعث بها الى أبى بكر اللوى اثر طعة اهلها يعظه فيها بقوله :

تبين فقد وضع المعلم	وان لك الامر لو تفهم
هو الدهر لست له آئنا	ولا انت من صرفه تسلم
وان اخطاك له اسهم	اصابتك بعد له اسهم
لياليه تدنى اليك الردى	دوائب فى ذاك ما تسأم (٢)

(١) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٥١ - الضبى : بغية الملتصق ،

ص ٦٨ .

(٢) الحميدى : نفس المصدر ، ص ٣٩٢ - الضبى : نفس المصدر ، ص ٥١٨ .

الموشحات :

وتعتبر الموشحات فنا من فنون الشعر ابتدعه الاندلسيون ولم يسبقهم فيه احد . وقد نشأت الموشحة لكي تكون في خدمة الغناء ففى الاندلس نظرا لطبيعة الحياة الرغدة الناعمة ، فهو عبارة عن قطعة موسيقية أقرب منها الى قصيدة شعرية ، فهي تتسم بسهولة في اللفظ وموسيقى في الكلمات . اما معانيها فهي سهلة لا تحتاج الى جهد لكي تفهم ، حتى تصلح لأن تغنى ، وتتيح للمغنى تجويد غائه فيها . يقال ان أول من ابتدعها محمد بن محمود القبرى ويقال انه مقدم ابن معافى القبرى . ويحيى اسم احمد بن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) في مقدمة يتدعى هذا الفن الذى ربما اقتبسه من القبرى . ولكن المؤلف الفعلى للموشحات هو ابو بكر عباد بن ما السما التوفى عام ٤٢٢ هـ .

اما أشهر الموشاحين فكانوا : الأعمى التطلى ومحمد بن عباد ابن القزاز وعباد بن ما السما . ويحيى بن بقى ، وابن زهر ، ولسان الدين بن الخطيب .

ولقد أصبحت الموشحات من الفنون الذائعة في الأدب الاندلسى بعد مغيب القرن الرابع الهجرى ومجى القرن الخامس الهجرى . ولذلك فالقرن الرابع الهجرى لا يعنى كثيرا في دراستنا للموشحات في عهد الحكم المستنصر لانه توفى عام ٣٦٦ هـ ، أى قبل اطلاله بمدة ليست بهيئة (١) .

(١) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ، ص ٣٧١ - ٣٧٣ .

جـ - العلوم الانسانية

التاريخ والجغرافيا :

احتل علم التاريخ والجغرافيا مكانة بارزة بين العلوم التي استحوذت على اهتمام أهل الاندلس ، فقد عنى الكثير من علماءهم بالتاريخ والجغرافيا وخاصة تاريخ بلادهم ومعرفة اقاليمه وجغرافيته ، والواقع ان الاندلسيين قد برزوا في ذلك وكأنهم قصدوا اظهار ما لهذا المقع الناقص من افضلية يتميز بها بين بلاد العالم الاسلامي (١) .

ومن أبرز المؤرخين في عهد الحكم المستنصر :-

.. المؤرخ العلامة محمد بن يوسف ابو عبد الله التاريخي الوراق الذي ألف كتباً كثيرة في التاريخ والجغرافيا . فقد ألف للمستنصر كتاباً ضخماً في جغرافية افريقيا ومالكها وسماء (سالك افريقيا ومالكها) . كما انه أتبع ذلك بأخبار ملوك افريقيا وسيرهم وحروبهم والغالبين عليهم في كتب جمه . وكذلك ألف في مدن مختلفه مثل تيهرت ، ووهران ، وتونس ، وسجلماسة ، ونكور والبصرة ، وله توالييف كثيرة في مستوى جيد تشمل الكثير من المعلومات الهامة عن تلك المدن (٢) .

.. أبو بكر محمد بن عمر الذي اشتهر بابن القوطية ، نسبة الى مسارة القوطية ابنه غيطشة القوطي . وكان بارعاً في اللغة والحديث والأدب والس

(١) لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

جانب ذلك فهو مؤرخ ممتاز ألف كتابا في (تاريخ افتتاح المسلمين الاندلس) وهو من المراجع الهامة في تاريخ تلك الحقبة ، وقد سرد تلك الاحداث وما بعدها في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر . ولا ين القوطية مؤلفات عديدة منها كتاب (تصارييف الافعال) وكتاب (المقصور والمدود) وغيرها من الكتب . وكان حافظا لاخبار أهل الاندلس ، طما برواية سير أرائها وأحوال فقهاها وشعرائها عن ظهر قلب . وطال عصره حتى سمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، وروى عنه جماعة من الشيوخ والكهول ممن وليس القضاء وقدم الى الشورى وتعرف في الخطط مع ابننا الطولك وغيرهم ، وتوفي سنة ٣٦٧ هـ بعد أن أدى للعلم خدمات جليلة (١) .

- احمد بن محمد بن موسى الرازي ، وهو اندلسي أصله من الري . له في تواريخ وسير ملوك وحكام الاندلس كتاب كبير . كما انه ألف في مدينة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها كتابا على النسق الذي اتبعه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . وله كتاب ضخيم يقع في خمسة أجزاء في انساب شاهير الاندلس من العلماء والحكام والولاة (٢) .

- مطرف بن عيسى الغساني ، من أهل غرناطة . كان من أهل العلم والرواية للحديث ، وكان ذا طم غزير فقد ألف للخليفة الحكم المستمصر كتابا سماه (المعارف في أخبار كورة البصرة وأهلها ووائرها وأقاليمها

(١) ابن الغرضي : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ٢٦-٢٧ - ابن خلكان وفيات الأعيان ، ص ٣٦٨ .

(٢) الضبي : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

وغير ذلك من ضائعها) ، وهو كتاب من أحسن الكتب وأمتعها أفاد به أهل الاندلس ، واثبت فيه اهتمامه بالناحية الجغرافية للبلاد بمعد أن وقف على أهميتها وكونها عاملا مهما في مجريات الأحداث التاريخية (١).

- اسحاق بن سلمه بن وليد بن بدر القينى من أهل ربة ، سمع من وهب بن مسرة الحجازى وغيره . وكان حافظا لأخبار أهل الاندلس معتنيا بها ، وجمع كتابا في أخبار الاندلس أمره بجمعه الستتصر رحمه الله وقد كتب عنه (٢) .

الفلسفة :

لم تكن الفلسفة تشغل بال العلماء في الاندلس في بدايات عهدهم بقدر ما كانت تشغل بالهم العلوم الشرعية وطوم اللغة والآداب . الا أننا نلاحظ ان التغيير في نظرتهم الى الفلسفة قد بدأ حينما وفدت على الاندلس من المشرق المذاهب الفكرية والمجالات المذهبية ، فبعد ورود تلك التيارات نلاحظ اقبال بعض الاندلسيين على دراستها بـلـل واهتمام بعضهم لتلك الافكار (٣) . فأول من عرف بالاشتغال بالفلسفة محمد بن عبد الله بن مسرة الباطنى ، وكان هذا الفيلسوف على طريقة من الزهد والعبادة حتى استطاع ان يفتن جماعة من أهل قرطبة

(١) ابن بشكوال : الصلة ، القسم الثانى ، ص ٦٢٢ .

(٢) ابن الغرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٧٣ - الحميدى :

الجدوه ، ص ١٦٩ - الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

(٣) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وان يؤثر فيهم بافكاره الباطنية المنحرفة التي تنطوى على آراء شاذة
تقدح في الدين وتضطرم مع افكار الشريعة الاسلامية . وما سهل عليه
مهمته تلك ما كان يتمتع به من عقلية فذة وطلاقة في القول . وكانت له
آراء غامضة واشارات صوفية وتوالييف في معانى غريبة اخاطته بهالة من
الشك وصورته بصورة جعلت العلماء يكفرونه ويتهمون به بالزندقة (١) . وعند ما
وصل خبره الى الخليفة عبد الرحمن الناصر سعى في القبض عليه والتحقيق
معه حتى اتضح له ما كان يروجيه من افكار باطنية . ثم أخذ يتتبع اتباعه
ويلاحق أنصاره وحللة آرائه ومؤيديه . ولقد خلف ابن سره عدد من
تلاميذه مثل رشيد الدجاج القرطبي ، والياس الطليطلي ، وغيليل ابن
عبد الملك ومحمد القيسي (٢) .

وقد اهتم القاضي ابن زرب بطلب اصحاب ابن سره والكشف عنهم ،
ولم يكتف بذلك بل انه اعد مؤلفا في الرد على آراء ابن سره مسنة
٣٥٠ هـ واتى بجماعة منهم واستكشف حقيقتهم ثم أخذ ما تمكن من جمعه
من مؤلفات ابن سره وأحرقها امامهم وهم ينظرون (٣) .

ومن الجدير بالذكر انه في عهد الخليفة الحكم المستنصر كانت
هناك حرية تامة للبحث والنظر في جميع المسائل ولكن من غير قدح في
الدين ومن غير نشر افكار شوشة ومضطربة يفرع لها العامة . ففي عهده

-
- (١) الضبي : المصدر السابق ، ص ٢٨ - لطفى عبد البديع : المصدر السابق ،
ص ٤٧ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
(٣) النباهي : تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٧٨ .

قرب العلماء وسهل لهم متطلباتهم ، وتبهاً له ذلك لشدة رغبته فى العلوم وثقافات الأمم الأخرى . واقتداً بأهل العلم والحكمة من الملوك السابقين (١) ، فظهر فى عهده بعض من الفلاسفة أمثال محمد بن الحسن المذحجى وكانت له قدم راسخه فى طم المنطق والحكمة ، فألف رسائل فى ذلك . وكان الى جانب ذلك له معرفة بالأدب والشعر والطب . وقد عاش الى ما بعد القرن الرابع الهجرى (٢) .

وهكذا لم يضيق الحكم المستنصر على طما^٣ الفلسفة بل شجعهم ، وأتاح لهم الحرية التامة شريطة ان تكون فى حدود لا تخرج عن أطوار الشريعة الاسلاميه .

ومن ظهر فى عهده أيضاً احمد بن حنبل بن حفصون ، ولكنه كان مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ، متعللاً بالحاجب جعفر المصنف فأتوا به الى الحكم المستنصر وقره منه (٣) .

(١) لطف عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) الضبى : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٣) صايد الاندلسى : طبقات الامم ، ص ١٥٣ .

د - العلوم التجريبية

الرياضيات والفلك :

أشرت فيما مضى الى النشاط العلمي لأهل الاندلس في ميادين العلوم الشرعية والأدبية واللغوية والانسانية ، وننتقل للحديث التقدم العلمي في ميدان العلوم التجريبية .

ما لا شك فيه ان أهل الاندلس كان لهم باع طويل في تطوير تلك العلوم حتى انصرف الكثير منهم الى الاشتغال بها والنبوغ فيها ، وخصوصا في فترة الخلافة الزهرية ، تلك الفترة التي ازدهرت فيها الحركة العلمية بصورة عامة ، وكان من الطبيعي ان تشمل في ازدهارها تلك العلوم . واذنا اضعنا الى ذلك موقف الحكم المستنصر من تلك العلوم ومدى حرصه على تشجيع الدارسين لها والشتغلين بها اذ ركنا نبوغ الكثير من العلماء في ذلك المجال .

فقد ازدهر علم الفلك في عهد الحكم المستنصر الذي أولا كل رعاية واحاط الشتغلين به بتشجيعه ، واستحضر من العراق ومصر امهات الكتب فيه سواء قد يها وحد يها فأدى ذلك الى نبوغ الكثير من الفلكيين الذين تخصصوا في حركات النجوم واستخدام آلات الرصد ، فأثبتوا نبوغهم وتفوقهم في ذلك المجال ، بما قاموا به من تصحيح وتحسين الجداول الفلكية ، وتقويم نتائج من سبقهم .

ونتيجة للارتباط العميق بين الدراسات الرياضية والفلكية نلاحظ

ان العديد منهم قد جمع الى تفوقه ، في الرياضيات براحة في علم
الفلك . ولقد ازدهرت تلك الدراسات حتى اصبحت تدرس في الجوامع
مع العلوم الشرعية والأدبية الأخرى .

ومن أبرز العلماء الذين تفوقوا في تلك العلوم أحمد بن محمد
الانصارى الذى برز في علم الرياضيات وتفوق في علم الفلك ، فكان يقوم
بالتدريس لطلبته في جامع قرطبة في عصر الخليفة الحكم المستنصر ، وقد
شهد له استاذة سلعة المجرى بالتفوق في هذا المجال . وقد كان
لمسلة مدرسته عظمة خرجت التلاميذ النجباء الذين برعوا في تلك العلوم .

ويحتبر العلامة الفلكى أبو القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمحريطى
امام الرياضيين في وقته وأظم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم ،
وكانت له عناية بارصاد الكواكب ، ولقد شغف بفهم كتاب بطليموس المعروف
(بالمجسطى) ، وله كتاب في علم الحساب وظم العدد المعروف لى
أهل الاندلس بالمعاملات ، وله كتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من
زيج (١) البتاني . كما انه اهتم بزيج محمد بن موسى الخوارزمي ، وحول
تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي ، ووضع اوساط الكواكب فيه لأول تاريخ
الهجرة ، ثم زاد فيه جداول حسنة . وتوفى أبو القاسم مسلمة بن أحمد

(١) الزيج وسيلة من الوسائل الهامة في الدراسات الفلكية ، وقد عرفه ابن خلدون
بأنه صناعة حسابية على قوانين عددية فيها يخص كل كوكب عن طريق حركته
وما ادى اليه برهان الهيئته في وصفه به بسره ويطر واستقامه ورجوعه وغير
ذلك ، ويعرف به مواضع الكواكب في افلاكها .
(سعد البشرى : الحياه العلمية في عصر الخلافة في الاندلس ، ص ٣٩٢) .

قبيل مبعث الفتنه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة للهجرة ، وقد انجسب تلاميذ لم ينجب عالم بالانديلس مثل ابن السمع ، وابن الصفسار ، والزهرى ، والكرمانى ، وابن خلدون (١) .

.. عبد الله بن محمد المعروف بالسرى ، وكان عالما بالعدد والهندسة والحساب وله كتاب مشهور في البيع وكان ينسب اليه العلم في الكيمياء وكان معظما عند الحكم المستنصر ومقرها لديه (٢) .

الطب والصيدلة :

اعتنى المسلمون في الدولة الاسلامية بعلم الطب اهتماما بالغا ، فكما ان الاسلام حرص على معالجة العقول من الامراض الفكرية والانحرافات الدينية ، فقد حرص أيضا على معالجة الابدان وتطهيرها والاهتمام بها ، لأن العقل السليم في الجسم السليم . وتبعاً لهذا فقد ظهر لدى المسلمين اهتمام كبير من المسلمين في الانديلس بالطب وأموره . ولقد نبغ فسي عهد الحكم المستنصر اعلام كثيرون في الطب .

ويبدو ان الحكم المستنصر قد استحدث نظاماً جديداً للأطباء المشتغلين والطحفين بخدمته ، فقد انشأ ديواناً يضم أولئك الأطباء وينزلهم بهم على درجات متفاوتة حسب قدراتهم ومهاراتهم (٣) . ومن

(١) صاعد الانديلس : طبقات الامم ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) صاعد الانديلس : طبقات الامم ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) سعد البشرى : المرجع السابق ص ٣٥٦ .

أشهر هؤلاء :-

١ - الطبيب احمد بن حكم بن حفصون ، وكان نابغا في معرفة أسباب الامراض ، جيد القريحة في معرفة العلاج ثم وصف الدواء . ونظـمـرا لشهرته قدمه الحاجب جعفر المصحفي في ديوان الأطباء في بلاط الحكم وبذلك قدم له خدمات كثيرة ونال بذلك مكانة طيبة بين أطباء البلاط طوال عهده (١) .

٢ - ابو الوليد محمد بن الحسين المعروف بالكشاني . لقد أدرك هذا الطبيب صدرا من خلفه الحكم المستنصر ، وكان رجلا فصيحا محبوبا ، وذلك لما جبل عليه من خلق حسن ومعرفة تامة بعلمه ، فلم يكن ممن يترفع بعلمه عن خدمة الناس بل استخذه في مداواة المريض وعلاج السن وذوى الحاجة والفقير غير القادر على دفع الثمن ، وكان لطيفا مع مرضاه ماهرة في صنعة تقتلها . ومن العجيب انه توفي بمرض لم يستطع ان ينقذ نفسه منه وكان ذلك مقدرا عليه (٢) .

٣ - عزو أحمد ابنا يونس الحرانسي . لقد رحلا الى الشرق في عهد عبد الرحمن الناصر ، وقدما الى الاندلس في عهد الحكم المستنصر ، فألحقهما بخدمة واستخلصهما لنفسه من سائر اطباء وقته لما يتميزان به من قدره وتفوق على علاج الامراض ، ومعرفة تامة بها . ولقد توفي عـزـو

(١) ابن جليل : طبقات الاطباء ، ص ١١٠ - صاعد الاندلسي : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) ابن جليل : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

ويبقى احمد اثيرا عند الحكم المستنصر الى آخر أيامه (١) .

٤ - محمد بن عبدون الجبلى . لقد رحل الى الشرق ، ودار فى بلدائه ، وتمهر فى الطب ، واحكم كثيرا من أصوله ، واهتم بعلم الخطق ، شتم عاد الى الاندلس والتحق بخدمة الخليفة الحكم المستنصر بالله وابنته هشام المؤيد بالله فى الطب ، وكان قبل ان يتطهب مؤمرا فى الحساب والهندسة ، وله فى التفسير كتاب حسن ، وكان من أبرز وأعظم المعلمين فى الطب ، ولم يبق طالب الا وتلقى العلم على يديه ، ولم يجاره أحد فى صناعة الطب وتفوقه فيه وضبطه له وحسن تدريبه عليه (٢) .

وخلاصة القول ان العلوم بجميع أنواعها سواء كانت من العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والانسانية والتجريبية قد لاقت كل اهتمام وعناية من الحكم المستنصر ، فكان تشجيعه للعلماء فى هذه الدراسات المختلفة عاملا كبيرا من عوامل الازدهار العلمى فى عهده .

(١) صاعد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٢٤ - ابن جليل : نفس المصدر السابق ، ص ١١٢ .
 (٢) ابن جليل : المصدر السابق ، ص ١٠٩ - صاعد الاندلسى : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

انخاتمہ

الخاصة

يلاحظ القارىء بعد هذه الدراسة الشاملة لعهد الخليفة الحكم المستنصر عدة نتائج هامة يمكن تلخيصها فيما يلى :-

١ - حرص الخليفة عبد الرحمن الناصر على تهيئة ابنه الحكم للخلافة ، فقد حرص على ان يختار بين رجاله وجلسائه من العلماء الافاضل ممن يعينه على تنشئته تنشئة تعينه على تولي الخلافة من بعده ، وإدارة شئون الدولة ومعالجة أمور الرعية بحكمة وروية والبعاد عن الصفائير التي لا تلحق بمركز الخليفة ، كما عهد اليه منذ وقت مبكر بمسئوليات ان تعينه بالرباط والتوجيه بالاعراف على شئون العلم والعلماء ، أى أنه أصبح اسمه بوزير التعليم كما نسميه في بلادنا في وقتنا الحاضر ، وكان لذلك أثر كبير في عقل شخصيته وبروزها ، وتدريبه على المواقف حتى اذا ما تولي الخلافة باشر شئون الحكم والرياسة فكان فيها الرجل المبرز القادر على تصرف الأمور ووضعها في نصابها بحنكة وذكاء نادرين .

٢ - بعد ان تربي الحكم في تلك المدرسة العالية وتدريب على خوض الأمور والمهام الصعبة تسلم كرسى الخلافة بعد وفاة ابيه في شهر رمضان ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . وبعد ان بويح له البيعة الخاصة ثم العامة انصرف الى ادارة دفة الدولة بكل نشاط وحماس وقوة واقتدار . فلقد تمت توليته بالبيعة الأولى أو الخاصة التي بايعه فيها كبار رجال الدولة وعلى رأسهم اخوته جميعا حال وفاة ابيه وبصورة فائقة في السرعة لا تسمح لأحد بالتفكير في الخروج عليه أو عدم

بمايعته بالخلافه . ثم كانت البيعة الثانية أو العامة التي توافدت فيها أفراد الشعب من كل مكان لبمايعته والتسليم عليه بالخلافه .

٣ - أن جهاد الحكم المستنصر مع ملوك وأسرار الأسبان النصراني أثبت لهم انه ليس بأقل من والده قوة وعزما على استفعال شأقتهم والوقوف في وجههم حتى أصبحوا يقدون عليه جماعات تلو جماعات للتقرب منه والتزلف اليه حاملين معهم هداياهم القيمة ومصطحبين أبنائهم رهينة لديه . وكان الحكم المستنصر بدوره يقابل تلك الوفود باستقبالات رائعة يحضرها الأدباء والشعراء حيث يلقون القصائد في مدحه والتغنى بعظمة الخلافة امام ضيوفه . وعلى الرغم من ذلك فلم يكن الحكم المستنصر يغفل عن جانب الحذر والحيلة من هؤلاء النصراني وأرائهم فيك العميون في الثغور والموانئ لتتبع حركاتهم خفية ، وعندما كانت تحدث من أحدهم أي بادرة تدل على نكوصه عن عهده معه كان يسارع الى حربه . وقد حدث فعلا ما كان يخشاه مسن خروج بعضهم عليه مثل حاكم قشتالة الذي قام بالاغارة على أراضي المسلمين واحراق مزارعهم وكان ذلك ورجال وفده الذين بعثهم الى الحكم المستنصر مازالوا في طريق عودتهم اليه ، بعد أن أحسن الحكم المستنصر استقبالهم في قرطبة ، فما كان منه الا أن أمر بالقاء القبض عليهم والسج بهم في السجن عقابا لما قام به أميرهم ، ثم بادر بالزحف على بلاد امارة قشتالة ليلقن أميرها درسا لن ينساه .

٤ - أن الحكم المستنصر في جهاده ضد النورمان لم ينتظر تعرض الاندلس لخطر الفسارات الفاجئة التي كانوا يقومون بها على شواطئ الاندلس وثورها . كما كان يحدث في عهد أسلافه وإنما حرص على بث الجواسيس والمراقبين لتتبع أخبارهم ومعرفة وجهتهم للاستعداد لسرد غاراتهم إذا ما اتجهوا إلى الاندلس ، كما اهتم بهنبا* المزيد من القوة البحرية وتحصين الشواطئ والثغور الأندلسية . وعندما أحس النورمان باستعدادات الأندلسيين الحربية البحرية المكثفة وتأهبهم لملاقاتهم وصد غاراتهم لاندوا بالفرار وجاءت البشائر إلى الخليفة تبشيره بفرارهم وخوفهم من ملاقات الاندلسيين والاغارة على شواطئهم وثورهم .

٥ - أنه بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومد سلطانها على كافة بلاد المغرب وعلى وجه التخصيص المغرب الأقصى تطلع الفاطميون إلى نشر الدعوة الشيعية في الأندلس والقضا* على ملك الأمويين بها ، وبعد أن شعر عبد الرحمن الناصر بهذا الخطر أخذ يتصدى له بكل ما أوتي من قوة وحسن سياسة فاتجه إلى الاهتمام بالبحرية الأندلسية لاستخدامها في الدفاع عن الشواطئ الأندلسية وفلسى بسط النفوذ الأموي على المغرب الأقصى الذي اتخذ منه بمثابة خط دفاع أمامي عن الاندلس ، كما أخذ يناصر أعداء الفاطميين في بلاد المغرب ويهدم بأسباب القوة والتمرد عليهم ، وقد سار على هذه السياسة من بعده ابنه الحكم المستنصر ، بل كان نجاحه

فى تحقيقها اكثر من نجاح أبهى . ولقد ظل الحكم المستنصر شوكة
فى خلق الفاطميين حتى بعد رحيلهم الى مصر . ولم يتركه
الفاطميون بدورهم هانىء البال بل وضعوا له نوابا عنهم —
آل زيرى فى حكم المغرب يقومون باثارة الهرج ضدّه والخروج عليه .

ولقد تكلفت تلك الممارك والخصومات بين الحكم المستنصر
والفاطميين ونوابهم آل زيرى بالنصرة للحكم المستنصر الذى استطاع
ان يسد كل ثغرة تأتى عن طريقهم . وفى هذه الاثناء خرج
الادارسة حكام طنجة من بنى محمد بقيادة الحسن بن قنون وخلصوا
طاعة الأمويين ، فما كان من الحكم المستنصر الا أن أعد لكل أمر
عدته ، فرسم لمماريتهم والقضاة عليهم الخطط الجديدة ، وجذب كبار
رؤوسهم بالأموال الجمّة . وقد تكلفت غططه فى هذا الصدد بالنجاح
الساحق الذى أثمر عن استسلام الحسن بن قنون زعيمهم وحضوره
الى قرطبة بصحبة جيش الحكم المظفر فعاش فى كنف الخليفة الذى
ان حدث منه ما لم يكن فى الحسبان ، فأمر باخراجه من الأندلس
حيث توجه الى تونس ومنها الى مصر لاجئا الى الفاطميين مرة أخرى .

٦ - وفى ظل تلك الاحداث الجسام ازدهرت الدولة الاسلاميه فى
الأندلس ازدهارا عظيما ليس من الناحية السياسية وقوة الخلافة
فحسب بل من حيث النهضة العلمية وتطور العمران والحياة الاجتماعية
وذلك نتيجة للعناية الفائقة التى بذلها عبد الرحمن الناصر لرفع

ستوى الحياة العلمية ومستوى المعيشة وخلق الأجواء المناسبة
للابتكار والابداع . ولقد وجد أهل العلم من المشاركة والمشاركة
على حد سواء . كل تقدير ورعاية وتشجيع أدبى طوس فكان مهـد
الخليفة عبد الرحمن الناصر نصرا ذهبيا احتل فيه الاندلس مكانة
مرموقة بين بلدان العالم الاسلامى والأوراسى معا .

٧ - كما ان ابنه الحكم الذى اهتم أبوه عبد الرحمن الناصر بتربيته
وهأداه لتولى الخلافة من بعده قد ظهرت نجابته وهو ما زال وليها
للمعهد فلم تكن مجالسه تخلو من العلماء والشعراء والساسة
والفقهاء والشايخ الذين تلقى العلم عنهم وفى مقدمتهم قاسم ابن
اصبح ، واحمد بن دحيم ، وزكريا بن خطاب ، وثابت بن قاسم ،
وأبو علي القالى الذى غرس فيه حب العلم واقتناء الكتب وحفظها
بعد قراءتها وكتابة تعليقات على هواشها ان لم يكن القصد من
الكتب الاقتناء وحده بل الاستفادة منها ، وترغيب الخاصة فى إقامة
المكتبات ونشر ما فى الكتب من معلومات بين طلاب العلم والأدب .
كما كان احترامه للعلماء وتقديره لهم ان جعلهم يحرسون على
طلبتهم من حيث التحصيل والتلقى ورفع مستواهم العلمى . ولم يكف
الحكم المستنصر بتشجيع العلماء ماديا بل كان حرصا على تهجيلهم
واحترامهم فقد كان يقوم بزيارتهم من وقت لآخر لمشاهدتهم مـسـح
طلابهم ومعرفة أحوالهم ، ومن زارهم العالم أبا الحسن على ابن
محمد الانطاكى .

ومن شدة حرصه على جعل قرطبه مركزا للعلم كان يستقدم اليها كل من يسمع بعلو مكانته في العلم والأدب أو في أي ناحية من نواحي المعرفة ويعهد اليه بمهمة القاء دروس عامة في مسجدها الجامع . فقد استقدم الى قرطبه على بن معاذ الرعيني وكان عالما لغويا وطلب منه القاء دروسه في مسجد سلمه سنة كاملة . وهيئاً ولا مثاله من العلماء الزائرين المسكن المريح والحياة الرغدة .

ومن ابتكاراته في النهوض بالعلم انشاء مدارس أوليه لتعليم أولاد الفقراء بالمجان . وبذلك يعتبر الحكم الست نصر أول من فكر في مكافحة الأمية بين الرعية . ولم يقتصر التعليم في عهده على الرجال فقط ، بل شاع كذلك بين النساء فأقبلت الكثيرات على التعليم وحفظن المتن والدواوين الشعرية ونتيجة لذلك ظهر في الاندلس ما يقرب من مائة وسبعين امرأة يشتغلن بالعلم ونسخ الكتب ، ومن أشهر هؤلاء لبني كاتبة الحكم المستنصر .

ولقد بلغ اهتمام الحكم بتشجيع العلماء على تأليف الكتب درجة كبيرة وذلك بمنحهم الجوائز المادية كما ابتكر لذلك طرقا حافزة منها اعطاء المؤلف من الجهاد مقابل تأليف الكتب وتخصيص جوائز مادية كبيرة واسناد اعمال هامة في الدولة للمؤلفين ، ومع اعداد المصادر والمراجع وتأمين جميع وسائل الراحة والاستقرار لهم . كل هذه الوسائل شجعت العلماء على تأليف الكتب ودفع عجلة الحركة

العلمية الى الامام .

٨ - انشأ مكتبة القصر والمكتبات الفرعية والخاصة نتيجة لاهتمامه الكبير بالعلم والكتب فتكونت في قصر الخلافة مكتبة عظيمة . وقد اثنى الحكم المستنصر عناية كبيرة بالبحث عن الكتب النادرة ونقلها بالنسخ أو الشراء فحلت اليه الكتب من جميع الجهات . ولقد اختلف في تحديد عدد الكتب في هذه المكتبة فقال بعضهم انها كانت اربعمائة ألف كتاب ، وقال آخرون انها ستمائة ألف . وهذا ان يدل على شيء فانما يدل على ضخامة تلك المكتبة وكثرة كتبها حتى اختلف في عدد ها ، وكان المشرف على تلك المكتبة أخوه عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر .

ولم تقتصر العناية بالكتب وجمعها على الحكم المستنصر وحده بل امتد ذلك الى كبار رجال الدولة بل تجاوزتهم الى معظم أهل قرطبة والمناطق الأخرى . وحتى النساء كانت لهن عناية باقتناء الكتب ، ومن اشتهرن في هذا المجال عائشة بنت احمد ابن قادم .

٩ - وإذا نظرنا الى اهتمام الحكم المستنصر بالناحية العمرانية نجد أن من أبرز أساليبها جامع قرطبة الذي عد من أجمل جوامع العالم من الناحية العمرانية بهدائش نقوشه وكتاباتة . اما محرابه فكانت تضرب بجماله وروعة نقوشه الأشكال ، وقد حرص الامراء الأمويون

على تزيينه وتوسيعه وتحسينه لدرجة لا تدخل في الحساب ، ولقد
افتتح الحكم المستمر عهد بتوسعة هذا الجامع وسنى في غربته
دارا للمدقة وميتا للفقراء .

ولم يكف الحكم المستمر بأن تقام في الجامع صلاة الجمعة
والجماعات في أوقاتها بل حوله إلى جامع تزدان أروقته بالعلماء
الاجلاء الذين كانوا يقومون بالتدريس فيه .

١- نتيجة لتلك الجهود برز العلماء الاجلاء في مختلف جوانب العلم .
ففي علم القراءات برز المقرئ محمد بن الحسين بن محمد المقرئ .
وفي علم الفقه برز الكثير من العلماء أشهرهم محمد بن يحيى بن مفرج
القاضي ، وعبد الله بن محمد بن قاسم التفرى ، وإسحاق بن إبراهيم
ابن سره . أما أشهر علماء الحديث فهم قاسم بن أصبغ ، ومحمد
ابن فرج بن سيعون النحلي ، وزينب بن الحارث .

كما برز في علم اللغة والأدب الذي اعتنى به الأندلسيون غاية
فائقة الأدباء والنحويين والوشاحين . فمن أبرزهم في علم النحو
محمد بن الحسن الزبيدي ، والعلامة ابن سيد . أما أشهر الأدباء
فأحمد بن فرج الجباني ، وابن عبد ربه . وأما أشهر الشعراء
فيوسف بن هارون الكندي ، وأبو بكر الفيلس . ومن برز في فن
الموشحات الأعشى التطيلي ، ومحمد بن عباد القزاز . وفي التاريخ
والجغرافيا برز محمد بن يوسف الوراق ، وأبو بكر محمد بن عمر

القوطيه ، واحمد بن محمد الرازي .

وفى الفلسفه محمد بن عبدالله بن سره الباطنى ، وكان من
تلامذته طما مشهورون منهم رشيد الدجاج والياس الطليطلى .

وفى العلوم التجريبيه برز فى علم الفلك احمد بن محمد
الانصارى ، وأبو القاسم النجريطى . واما علم الطب والصيدله
فقد برز فيه كثير من العلماء أشهرهم عز واحمد ابنا يونس الحرانى ،
واحمد بن حكيم وغيرهم .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فيما توصلت اليه من نتائج فى هذه
الدراسه .

والله أسأل ان يكتب لى التوفيق والنجاح .

قائمة

المصادر والمراجع

(أ) المصادر

١ - ابن الأثير (ت ٦٥٨ هـ)

الحله السيرة ، جزءان ، تحقيق
وتعليق حسين مؤنس ، الشركة العربية
للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ، ١٩٦٣ م .

٢ - ابن أبي زرع (ت ٧٢٦ هـ)

الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار
ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ،
طبعة محمد خاللي ، ١٩٣٦ م .

٣ - ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)

الكامل في التاريخ ، تسعة أجزاء ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية
١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م .

٤ - ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)

الصلة ، جزءان ، الدار المصرية للتأليف
والترجمة ، مطابع سجل العرب ، ١٩٦٦ م .

٥ - ابن جليل (ت في القرن الرابع الهجري)

طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد
سيد ، امين المخطوطات بدار الكتب
المصرية ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي
للاثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٦ - ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)

جمهره انساب العرب ، تحقيق وتعليق
عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ،
الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧م .

٧ - ابن حبان (ت ٦٩٩ هـ)

المقبس ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن
الحجي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ،
مطبعة سحيا ، ١٩٦٥م .

٨ - ابن خاقان (ت ٥٢٨ هـ)

مطمح الانفس وسرح النفس في ملح أهمل
الاندلس ، مطبعة الجوانب بقسطنطينية ،
الطبعة الأولى ، ١٣٠٢ هـ .

٩ - ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)

اعمال الاعلام في من يبيع قبل الاحتلام من
ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق أ . ليفسي
بروفنسال ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ،
بيروت ، ١٩٥٦م .

١٠- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)

تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبرود يسوان
البتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
والهبر من ذوى السلطان الأكبر ، سبعة
أجزاء ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١١- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ثمانية
أجزاء ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر
للطباعة والنشر ، مطبعة الغرب ، بيروت
١٩٧٢ م .

١٢- ابن دحيمة (ت ٦٣٣ هـ)

المغرب في اشعار اهل المغرب ، تحقيق
ابراهيم الابيارى ، حامد عبد المجيد ،
واحد بدوى ، مراجعة طه حسين ،
المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

١٣- ابن سـميد (ت ٦٨٥ هـ)

المغرب في حلق المغرب ، جزآن ، تحقيق
وتعليق شوقي ضيف ، دار المعارف
بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ م .

١٤- ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

العقد الفريد ، ستة أجزاء ، تحقيق
محمد سعيد العربي ، المكتبة التجارية
الكبرى ، لبنان ، ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣ م .

١٥- ابن عذاري (ت نحو ٦٩٥ هـ)

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،
أربعة أجزاء ، تحقيق ومراجعة
ج . س . كولان ، وليفي بروفنسال ، دار
الثقافة ، بيروت .

١٦- ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ)

تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية
للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ،
القاهرة ، ١٩٦٦ م .

١٧- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ)

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ،
ستة أجزاء ، تقديم السيد شهاب الدين
النجفي ، اعادة طبعه بالأوفست ، منشورات
مكتبة المثنى ، بغداد .

١٨- الحميدى (ت ٤٨٨ هـ)

جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس ، الدار
المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة
١٩٦٦ م .

٢٤- القالسي (ت ٣٥٦ هـ)

الامالي ، جزآن ، المكتب التجاري للطباعة
والنشر والتوزيع ، بيروت .

٢٥- المراكشي عبدالواحد (ت ٦٤٧ هـ)

المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق
الاستاذ محمد سعيد العربيان ، مطابع
شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ
٠م ١٩٦٣

٢٦- المراكشي عبد الطيب (ت ٧٠٣ هـ)

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلب ،
سنة اسفار ، تحقيق محمد بن شريفه
واحسان عباس ، بيروت .

٢٧- المقري (ت ١٠٤١ هـ)

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ،
خسة أجزاء ، حققه وضبط غرايبه وطبق
حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد ،
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٦٩ هـ .

٢٨- النباهي (كان حيا سنة ٧٩٣ هـ)

تاريخ قضاة الاندلس ، المكتب التجاري
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

(ب) المراجعـــــــــــــــــع

- ١ - ابراهيم بهـــــــــــــــــون
الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى
سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م.
- ٢ - ابراهيم العـــــــــــــــــدي
الاساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ،
دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ م.
- ٣ - احمد مختار العـــــــــــــــــدي
في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الثقافة
الجامعية ، الاسكندرية ، (بدون طبعه) .
- ٤ -
في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار
النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ م.
- ٥ -
في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة
العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م.
- ٦ - احمد هيكـــــــــــــــــل
الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ،
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م.

٧ - ارشسيالد لويــــــــس

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر
المتوسط ، ترجمة محمد عيسى ، القاهرة ،
١٩٦٠م

٨ - انجل جنثالث بالنفيسا

تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ،
مطرم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة ، ١٩٥٥م

٩ - حسن ابراهيم حسن

تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثانية ،
١٩٥٨م من كتاب الفاطميون في مصر ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٨م

١٠ - رجب محمد عبد الحليم

العلاقات بين الاندلس والسالك النصرانيه
منذ عصر الاماره حتى نهاية القرن الخامس
الهجرى ، رساله دكتوراه ، كلية الآداب ،
جامعة القاهرة ، سنة ١٩٨٠م (لم تطبع)

١١ - حسين مؤنس

رحلة الاندلس ، الشركة العربية للطباعة
والنشر ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٦٣م

١٢- سعاد ماهر

البحرية الاسلاميه وآثارها الباقية ،
دار المجمع العلمي بجدد ، الطبعة الثانية ،
جدد ، ١٣٩٩ هـ .

١٣- سعد البشوري

الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس ،
رسالة ماجستير مقدمة من جامعة ام القري
بنكة المكرمه ، ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ (لم
تطبع) .

١٤- سعيد عبدالفتاح عاشور

أوروبا العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو
المصرية ، الطبعة الخاصة ، القاهرة ،
١٩٧٢ م .

١٥- السيد عبدالعزيز سالم

قرطبة حاضرة الخلافة ، دار النهضة
العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ م ،
جزئين .

١٦-

المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، الجزء
الثاني .

١٧- السيد عبدالعزيز سالم

تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من
الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ،
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٩٨١ م .

١٨-

تاريخ مدينة العربية قاعدة اسطول الاندلس ،
دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ،
بيروت ، ١٩٦٩ م .

١٩- السيد عبدالعزيز سالم واحمد مختار العبادي

تاريخ البحرية الاسلاميه في المغرب
والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر ، بيروت .

٢٠- سيمون حاييم ك

صبح البشكسيه او الازمن طي عهد الحكم
المستنصر والدوله العاصميه ، ١٩٧٦ م .

٢١- شكيب ارسلان

الحلل السندسيه في الاخبار والآثار
الاندلسيه ، دار مكتبة الحياه ، بيروت ،
المجلد الثاني .

٢٢- صابر ديباب

سياسة الدولة الاسلاميه فى حوض البحر
المتوسط من أوائل القرن الثانى للهجرة
حتى نهاية العصر الفاطمى ، عالم الكتب ،
الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٢٣- عبد الحميد الشرقاوى

الملاحه البحريه الاندلسية فى القرنين الثالث
والرابع ، رسالة ماجستير مقدمه من جامعه
القاهرة ، ١٩٣٥م (لم تطبع) .

٢٤- عبد الحميد العبادى

الجمال فى تاريخ الاندلس ، دار القلم ،
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٢٥- عبد الحليم منتصر

تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ،
دار المعارف بمصر ، مطبعة معهد لودون
بوسكو ، الاسكندرية ، الطبعة الرابعة ،
١٩٧١م .

٢٦- عبد الرحمن العجسى

تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى
سقوط غرناطة ، ساعدت جامعه بغداد على
نشره / دمشق ، دار العلم ، الكويت ، دار
القلم ، الرياض ، دار القلم ، الطبعة
الاولى ، ١٣٩٦ .

٢٧- عبد العزيز البندري

الاسلام بين العلماء والحكام ، منشورات
المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦م .

٢٨- عبد الكريم التواتي

مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ،
مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، الطبعة
الاولى ، ١٩٦٧م .

٢٩- علي عبدالله القحطاني

الدولة العامرية في الاندلس ، رسا لقماجستير
مقدمه من جامعة ام القرى بمكة المكرمة ،
١٤٠١م (لم تطبع) .

٣٠- علي محمد راضي

الاندلس والناصر ، دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر ، القاهرة .

٣١- لطفى عبد البديع

الاسلام في اسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .

٣٧- محمد عبد الله خان

دولة الاسلام في الاندلس ، عصر الخلافة
والدولة العاصرية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٣٨-

تراجم اسلاميه شرقيه واندلسيه ، مكتبة
الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ٣٩٠ هـ /
١٩٧٠ م .

٣٩-

الاثر الاندلسي الباقي في اسبانيا والبرتغال ،
مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ،
القاهرة ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م .

٤٠- محمد عيسى

تاريخ التعليم في اسبانيا ، رسالة لنيل
درجة الدكتوراه - مقدمة من جامعة الوتونوما
بمدريد ، ١٩٧٩ م - ١٩٨٠ م .

٤١- محمد كرد عيسى

الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٤٢- محمد كرد علي

غابر الاندلس وحاضرها ، مطبعة لجنسة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون
سنة طبع .

٤٣- كمال اليازجي وانطوان غطاس

اعلام الفلسفة العربية ، دار المكشوف ، مكتبة
انطوان ولبنان - بيروت ، الطبعة الثالثة ،
١٩٦٨ م .

٤٤- مصطفى الشكعة

الادب الاندلسي موضوعاته وفنوناته ، دار
العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ،
١٩٧٥ م .

٤٥- ه . أ . فشر

تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة :
محمد مصطفى زيادة ، والسيد الباز العريني
دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، القسم
الاول .

٤٦- هشام أبو رميلة

نظم الحكم في عصر الخلافة ، رسالة ماجستير
مقدمة من جامعة القاهرة ، سنة ١٩٧٦ م ،
(لم تطبع) .

Abdurrahman Ali Elhajji: Andalusian diplomotic
relations with western Europe during
the Umayyad period (A.H. 138-366),
A.D. 755-976, Daral Irshad, Beirut,
1910.

- ٤٧

الفهرس

شكر وتقدير

المقدمة

التعريف بأهم المصادر والمراجع

الفصل الأولالخلافة عبد الرحمن الناصر يهيئ ابنه الحكم للخلافة

- ٢٠ - اعداد عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم لتولى الخلافة
٣٣ - تولية الحكم المستنصر الخلافة

الفصل الثانيجهاد الحكم المستنصر ضد الممالك والاماراتالاسبانية النصرانية ضد النورمان

- ٣٩ - نظرة عامة عن أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها بالأندلس حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر .
٥١ - علاقات الحكم المستنصر بالممالك الأسبانية النصرانية :
أ - جهاد الحكم المستنصر ضد مملكة ليون ، ومملكة نبرة ، وامارة قشتالة .
٥١ ب - عهود السلام بين الحكم المستنصر وملوك الأسبان وأمرائهم النصارى .
٥٨ ج - نقض ملوك وأمراء الأسبان النصارى لعهدود السلام وعودتهم إلى شن الغارات على الأراضي الإسلامية .
٦٥

الصفحة

- ٦٩ ٣ - جهاد الحكم المستنصر ضد النورمان :
- أ - النورمان وغاراتهم على الأندلس قبل عهد
٦٩ الحكم المستنصر .
- ب - غارات النورمان على الأندلس في عهد الحكم
٨١ المستنصر .

الفصل الثالثالنزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصروالفاطميين

- ٨٨ ١ - النزاع بين عبد الرحمن الناصر وخلفاء الفاطميين على
المغرب الأقصى .
- ١٠٠ ٢ - النزاع على المغرب الأقصى بين الحكم المستنصر
والمعز لدين الله الفاطمي .
- ١١٠ ٣ - الحكم المستنصر يقضى على محاولة آخر أمراء الأدارسة
الحسن بن قنون في استعادة نفوذ الأدارسة على
المغرب الأقصى .

الفصل الرابعالحياة العلمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر

- ١٢١ ١ - صورة موجزة عن تطور الحياة العلمية في الأندلس في عهد
عبد الرحمن الناصر .
- ١٣١ ٢ - الحكم المستنصر الخليفة العالم وجهوده العلمية والتعليمية :
- ١٣١ أ - تنشئته العلمية وهو ولي العهد .
- ١٣٧ ب - شخصية الحكم المستنصر العلمية .

الصفحة

- ج - جهود العلميه والتعليميه ١٤١
- د - انشاء مكتبة القصر والمكتبات الفرعيه والخاصه . ١٥٢
- هـ - توسعته للمسجد الجامع بقرطبه وتحويله الى
جامعة طليه . ١٥٨
- و - جامع قرطبه يتحول الى جامعه علميه في عهد . ١٦٥
- ٣ - الحياه العلميه في الاندلس في عهد الحكم المستنصر : ١٧١
- أ - العلوم الشرعيه ١٧١
- ب - علوم اللغة والأدب ١٨٠
- ج - العلوم الانسانيه ١٨٧
- د - العلوم التجريبيه ١٩٢

١٩٨

الخاتمه

قائمة المصادر والمراجع :

- أ - المصادر ٢٠٨
- ب - المراجع ٢١٥

